

www.kotobarabia.com
التحدي الاستعماري الصهيوني
وجهة نظر إسلامية
د. محمد مورو
www.kotobarabia.com

التحدي الاستعماري الصهيوني

وجهة نظر إسلامية

د. محمد مورو



إهــــداء

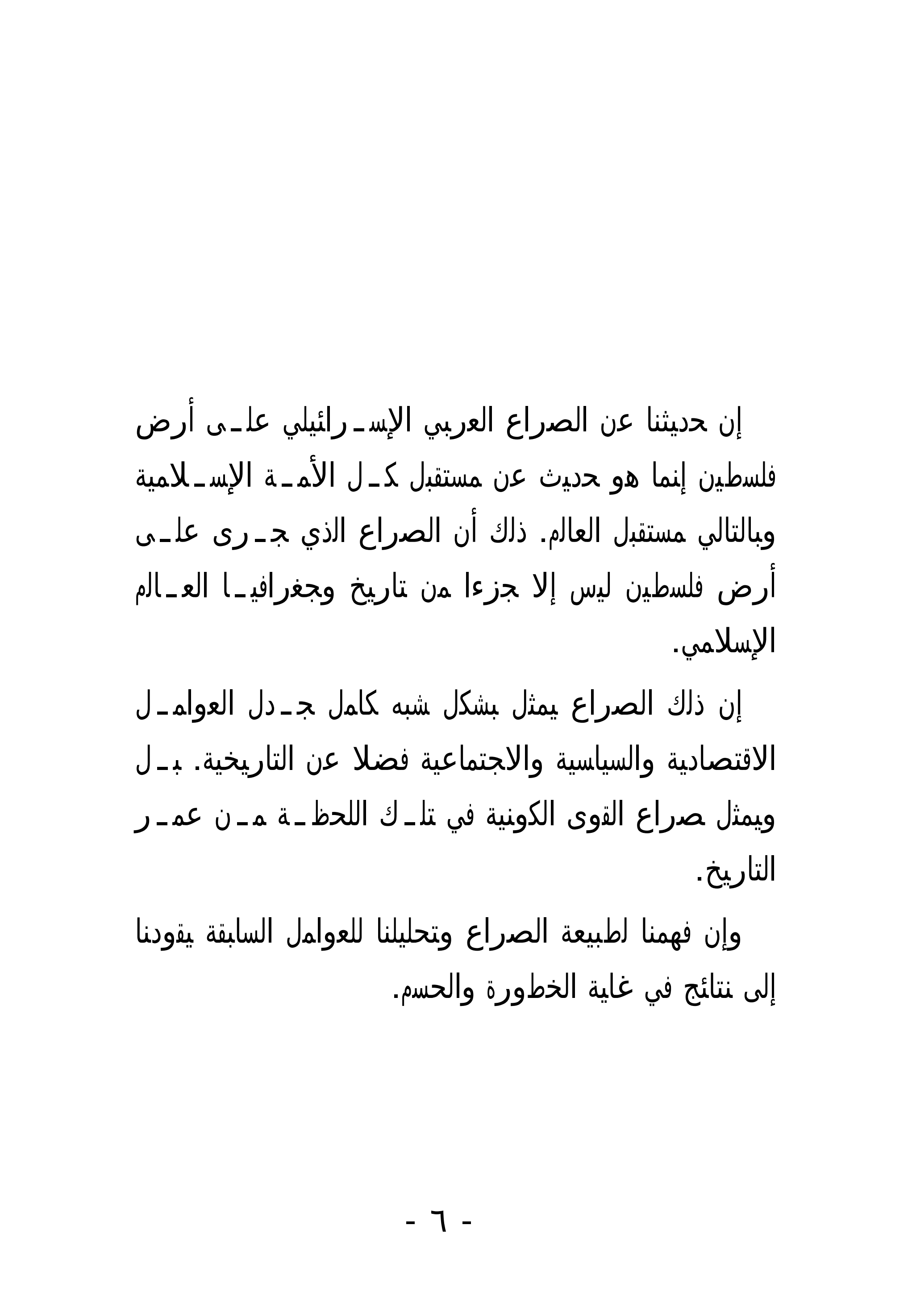
إلى أمي الحبيبة.. أم عمر

وإلى أختي الكريمة.. أم نوارة



الباب الأول

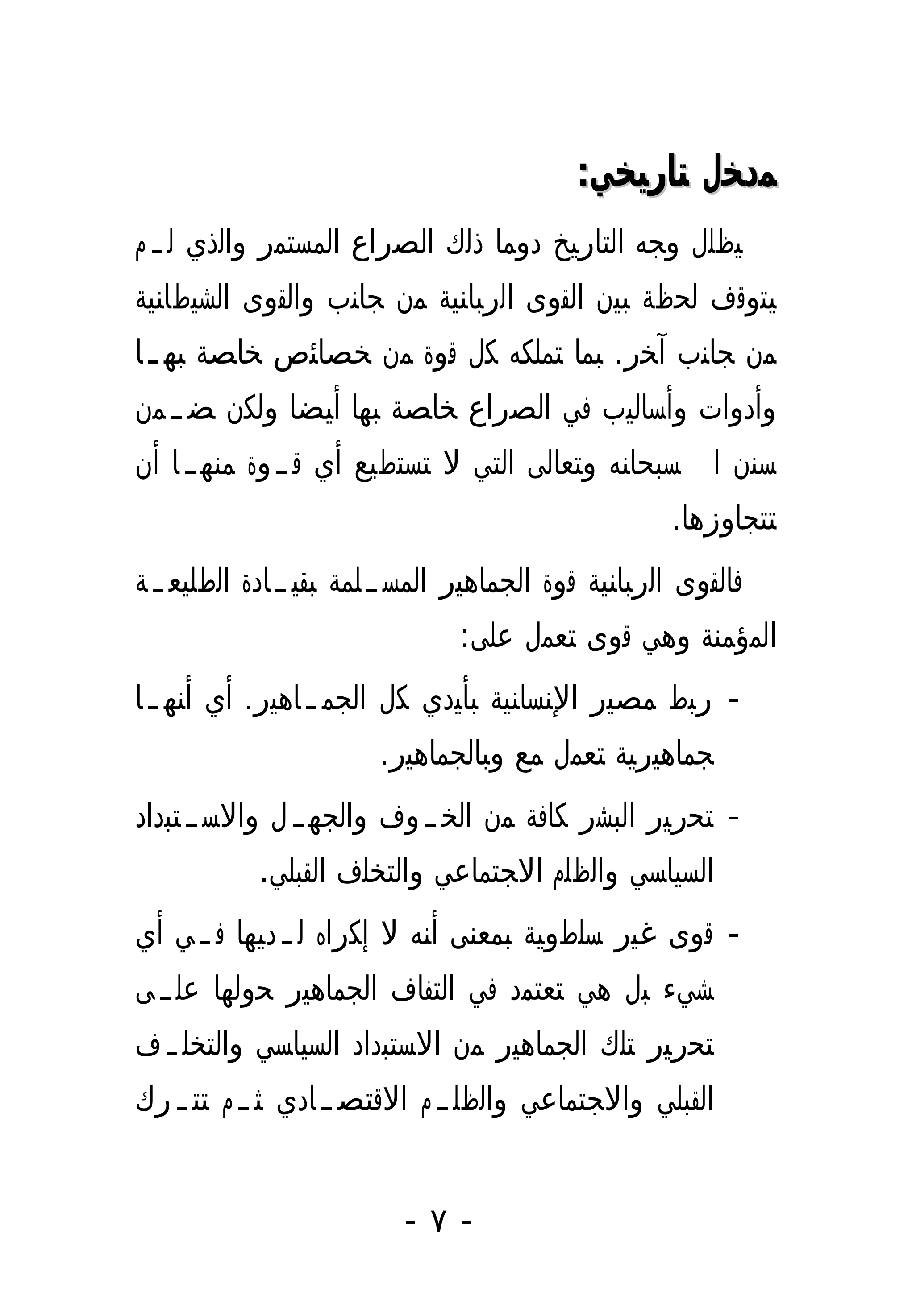
منهـــج لفهـم الصـــراع



إن حديثنا عن الصراع العربي الإسـرائيلي علـى أرض فلسطين إنما هو حديث عن مستقبل كـل الأمـة الإسـلامية وبالتالي مستقبل العالم. ذلك أن الصراع الذي جـرى علـى أرض فلسطين ليس إلا جزءا من تاريخ وجغرافيـا العـالم الإسلامي.

إن ذلك الصراع يمثل بشكل شبه كامل جـدل العوامـل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية فضلا عن التاريخية. بـل ويمثل صراع القوى الكونية في تلـك اللحظـة مـن عمـر التاريخ.

وإن فهمنا لطبيعة الصراع وتحليلنا للعوامل السابقة يقودنا إلى نتائج في غاية الخطورة والحسم.



مدخل تاريخي:

يظلل وجه التاريخ دوما ذلك الصراع المستمر والذي لـم يتوقف لحظة بين القوى الربانية من جانب والقوى الشيطانية من جانب آخر. بما تملكه كل قوة من خصائص خاصة بهـا وأدوات وأساليب في الصراع خاصة بها أيضا ولكن ضـمن سنن ا سبحانه وتعالى التي لا تستطيع أي قـوة منهـا أن تتجاوزها.

فالقوى الربانية قوة الجماهير المسـلمة بقيـادة الطليعـة المؤمنة وهي قوى تعمل على:

- ربط مصير الإنسانية بأيدي كل الجمـاهير. أي أنهـا جماهيرية تعمل مع وبالجماهير.
- تحرير البشر كافة من الخـوف والجهـل والاسـتبداد السياسي والظلم الاجتماعي والتخلف القبلي.
- قوى غير سلطوية بمعنى أنه لا إكراه لـديها فـي أي شيء بل هي تعتمد في التفاف الجماهير حولها علـى تحرير تلك الجماهير من الاستبداد السياسي والتخلـف القبلي والاجتماعي والظلـم الاقتصـادي ثـم تتـرك

للجماهير حقها في اختيار قناعاتها الدينيـة والسياسـية والاجتماعية. فإذا بالجماهير تختار الإسـلام لأن هـذا يوافق فطرتها ولأن تصميم الكـون والحيـاة والعقـل البشري يقود إلى هذا تماما.

- قوى تعمل على إزالة كل أشكال التسلط من على وجه الأرض لتحرير كافة البشر (مفهوم الجهاد الإسلامي).

والقوى الشيطانية قوى غير جماهيرية. تعزل الجمـاهير باستمرار عن الوعي والعلم والمشاركة في بناء حياتها بـل تمارس عليها استبدادا سياسيا بمعنى أنها تصـادر حرياتهـا وحقها في الاختيار فهي تفكر لها. ثم هي تربطهـا بـالقيود القبلية والاجتماعية ولا تترك لها فرصـة للاختيـار الحـر وتقمعها اقتصاديا بمعنى أنها لا تلبي لها حاجاتها الاقتصادية المشروعة.

فهي في النهاية أن تمارس فئة من البشر التسلط والـتحكم في الجماهير مستخدمة في ذلك إعلامها وشرطتها وأجهزتها القمعية المختلفة.

وبالتالي فإن أي نجاح في انتزاع حق من حقوق الجماهير في الحرية السياسية ورفـع المعانـاة الاقتصـادية وتسـليح

الجماهير بالوعي هو في النهاية لصالح القوى الربانية. ضد القوى الشيطانية والعكس دائما صحيح.

ولقد حمل لواء القوى الربانية المستضعفون بقيادة الأنبياء وانتهى هذا اللواء إلى محمد بن عبد ا ﷺ. وكـان ظرفـا تاريخيا فلذا حققت القوى الربانية انتصارا ساحقا على القوى الشيطانية وبدأت الجماهير تمارس حقها في العلـم والـوعي والحرية وبناء المجتمع اللاسلطوي واللاطبقي.

ولكن القوى الشيطانية بعد أن هزمت. لم تستسلم وبـدأت تطل برأسها من داخل المجتمع الإسلامي ذاته على مستويين:

المستوى الأول: هو إزاحة القيادات الواعية عن طريقها.

والثاني: هو ضرب النظرية السياسية الإسـلامية وتزييـف الإسلام المحمدي والصحيح لصالح إسلام أسري وطبقي.

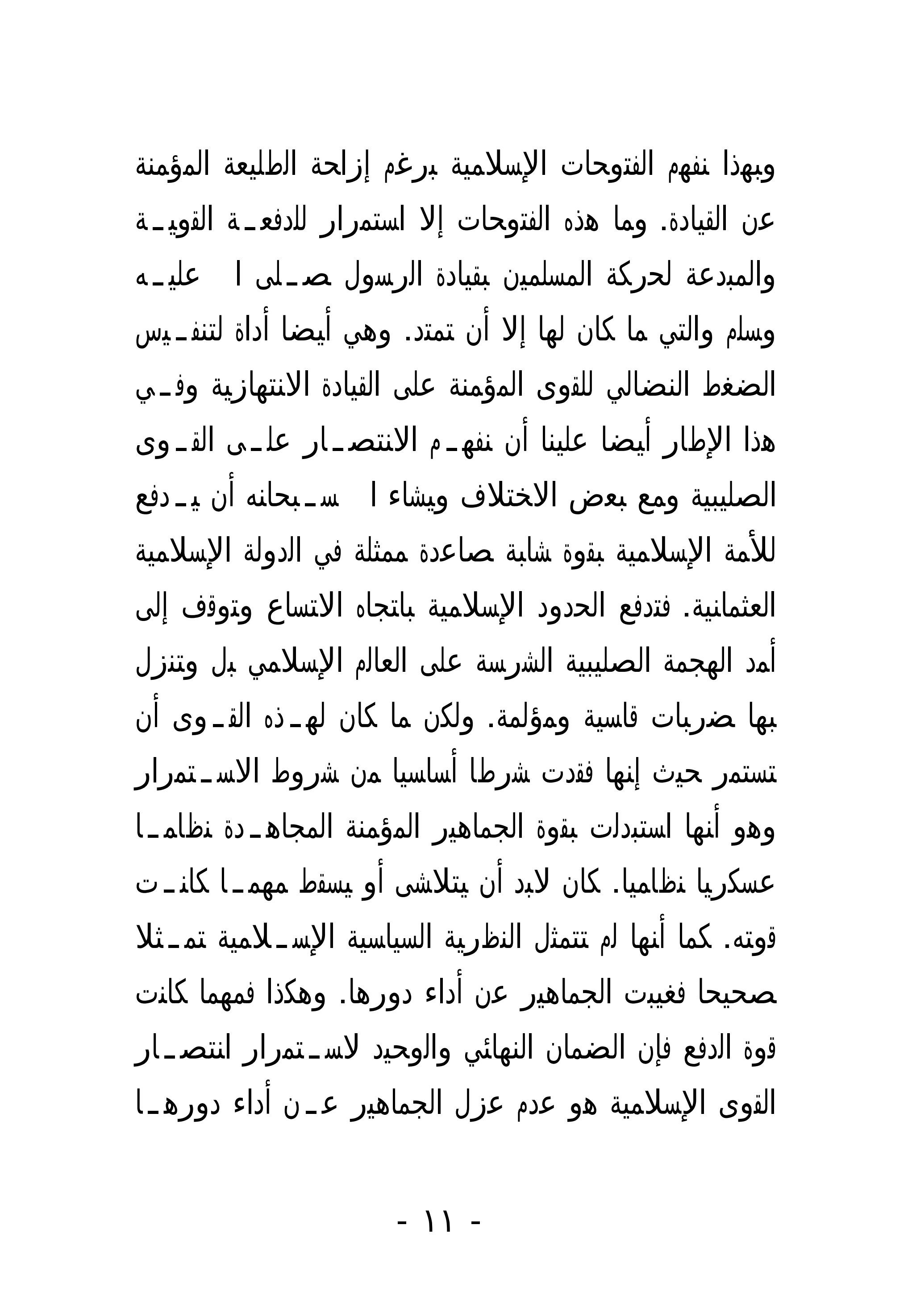
وكان أن بدأت حركة القوى الشيطانية ضد الإمام علـي رضي ا عنه لإزاحته ومن معه من طليعة مؤمنـة باتجـاه إقامة حكم انتهازي يصادر المفاهيم الإسـلامية الصـحيحة ويزيفها لصالحه.

وبدأت ضرب المفاهيم الإسلامية بلا هوادة، ويبدو أن تلك القوى قد أزاحت الطليعة المؤمنة عن قيادة الجماهير وكانت

على وشك ضرب نهائي للمفاهيم، عن طريق بث العصبية القبلية وتزييف الإسلام وتفسيره تفسيرا طبقيا وعائليا لصالح المستكبرين. لولا أن الإمام الحسين رضي ا عنه قد حفر بدمه الذكي رافدا عميقا لاستمرار تدفق المفاهيم الإسلامية الصحيحة وحركة الجماهير بقيادة طليعتها المؤمنة في مواجهة الاستكبار. ولقد نجح الحسين عليه السلام في أن يفجر في لحظة تاريخية فذة وعي جزء من الأمة. ولولا ذلك لانتهى الإسلام برغم أن الإمام الحسين لم ينجح في إزاحة الاستكبار عن مواقع القيادة.

وهكذا تبدأ حقبة ذات طبيعة جدلية خاصة في الصراع تتمثل في جماهير مؤمنة بقيادة طليعة مؤمنة في مواجهة حركة استكبار وقيادة داخل الأمة الإسلامية وفي مواجهة قوى كفر خارجية – ولا يعني هذا أن ليس ثمة تناقض بين قوى الكفر الخارجية وبين قيادة الأمة الإسلامية من المستكبرين وإن كانوا في النهاية جزءا من القوى الشيطانية.

وبحسب قدرة الطليعة المؤمنة على دفع القيادة غير الشرعية للأمة الإسلامية على أخذ مواقف إلى الأمام بقدر ما كان يتحقق من انتصار خارجي على قوى الكفر المباشرة.



وبهذا نفهم الفتوحات الإسلامية برغم إزاحة الطليعة المؤمنة عن القيادة. وما هذه الفتوحات إلا استمرار للدفعة القوية والمبدعة لحركة المسلمين بقيادة الرسول صلى ا عليه وسلم والتي ما كان لها إلا أن تمتد. وهي أيضا أداة لتنفيس الضغط النضالي للقوى المؤمنة على القيادة الانتهازية وفي هذا الإطار أيضا علينا أن نفهم الانتصار على القوى الصليبية ومع بعض الاختلاف ويشاء ا سبحانه أن يدفع للأمة الإسلامية بقوة شابة صاعدة ممثلة في الدولة الإسلامية العثمانية. فتدفع الحدود الإسلامية باتجاه الاتساع وتوقف إلى أمد الهجمة الصليبية الشرسة على العالم الإسلامي بل وتنزل بها ضربات قاسية ومؤلمة. ولكن ما كان لهذه القوى أن تستمر حيث إنها فقدت شرطا أساسيا من شروط الاستمرار وهو أنها استبدلت بقوة الجماهير المؤمنة المجاهدة نظاما عسكريا نظاميا. كان لابد أن يتلاشى أو يسقط مهما كانت قوته. كما أنها لم تتمثل النظرية السياسية الإسلامية تمثلا صحيحا فغيبت الجماهير عن أداء دورها. وهكذا فمهما كانت قوة الدفع فإن الضمان النهائي والوحيد لاستمرار انتصار القوى الإسلامية هو عدم عزل الجماهير عن أداء دورها

فالجماهير المؤمنة الواعية هي الضمان الوحيد لاستمرار رسالة الإسلام. وهي الضمان ضد الانهيار والضغط على بنيان الأمة سواء من الداخل أو من الخارج.

وهكذا فإن قوى الشيطان قد وعت درس الحملة الصليبية جيدا وأدركت أنه لن يكفي ضرب الأداة العسكرية للأمة الإسلامية لإسقاطها ولكن لابد من ضرب الجماهير المؤمنة وطليعتها عبر تدمير هويتها الإسلامية وتزييف وعيها وإخراج تلك القوة الاحتياطية الهائلة من الساحة تماما وإلا فإنها ستظهر من وقت لآخر من تحت الرماد وكنار عملاقة تحرق في طريقها كل شيء.

فكانت الحقبة الاستعمارية التي ركزت على هدفين:

١- محاصرة العالم الإسلامي جغرافيا (الكشوف الجغرافية) وضرب أداته العسكرية.

٢- عملية غزو ثقافي وحضاري شامل وغسيل مخ مستمر لتغييب وتدمير القوى الاحتياطية الكامنة (قوة الجماهير المؤمنة وقيادتها الطليعية) وذلك عبر:

(أ) تشجيع إقامة حكومات غير جماهيرية لا تسمح للجماهير بالمشاركة في أداء مهمات الحكم

والحياة وذلك عبر خلق تناقضات طبقية واجتماعية، فتارة يسمح للبرجوازية (كطبقة) بالصعود إلى السلطة وتكريس تقييد الجماهير عن أداء دورها. (المرحلة الليبرالية).

أو عبر خلق فئة العسكرتاريا بالتحالف مع قطاعات صغيرة من الطبقة المتوسطة وتحقيق تغيرات اجتماعية محددة (دون مشاركة من الجماهير) ثم يتم مصادرة تلك المكاسب مرة أخرى في مقابل الضرب المستمر لقواعد الحركة الإسلامية وجماهيرها وقياداتها.

(ب) خلق فئة من الرأسمالية الطفيلية المرتبطة بمصالح الغرب وفئة من المثقفين المشوهين الذين يزاولون عملية غسيل المخ المستمر وليكونوا الوجه الآخر لعملية الضرب المستمر للإسلاميين والتبرير النظري لذلك.

وهكذا ضربت الحركات الإسلامية الشعبية بلا هوادة ولا رحمة على أيدي أنظمة عميلة وتم تصفية واغتيال وشنق وسجن كل من ينتمي إلى الطليعة المؤمنة.

إلا أن ذلك الضرب ضد القوى المؤمنة تـم عبـر عـدة مراحل:

المرحلة الأولى:

إسقاط الخلافة وضرب ما تبقى من النظريـة السياسـية الإسلامية.

المرحلة الثانية:

زرع كيان يهودي عنصري في قلب الأمـة يحـول دون ظهور تلك الطليعة مرة أخرى ويشكل ذراعا فولاذيا لضرب تلك الطليعة، بل وضرب حتى مجرد احتمالاتها الجنينية فـي رحم الأمة.

وهكذا أصبح شكل الصراع في تلك الحقبة هو صراع بين القوى الشيطانية ممثلة في الحركة الصهيونية بدعم كامل من الغرب الصليبي (أمريكا وأوروبا).

وذلك في مواجهة القوى الربانية التـي تمثلهـا جمـاهير مؤمنة بقيادة طليعة واعية مع ملاحظة وجود حـاجز قـوي يمنع الطليعة من أداء دورها وهي أنظمة الحكم العميلة التي

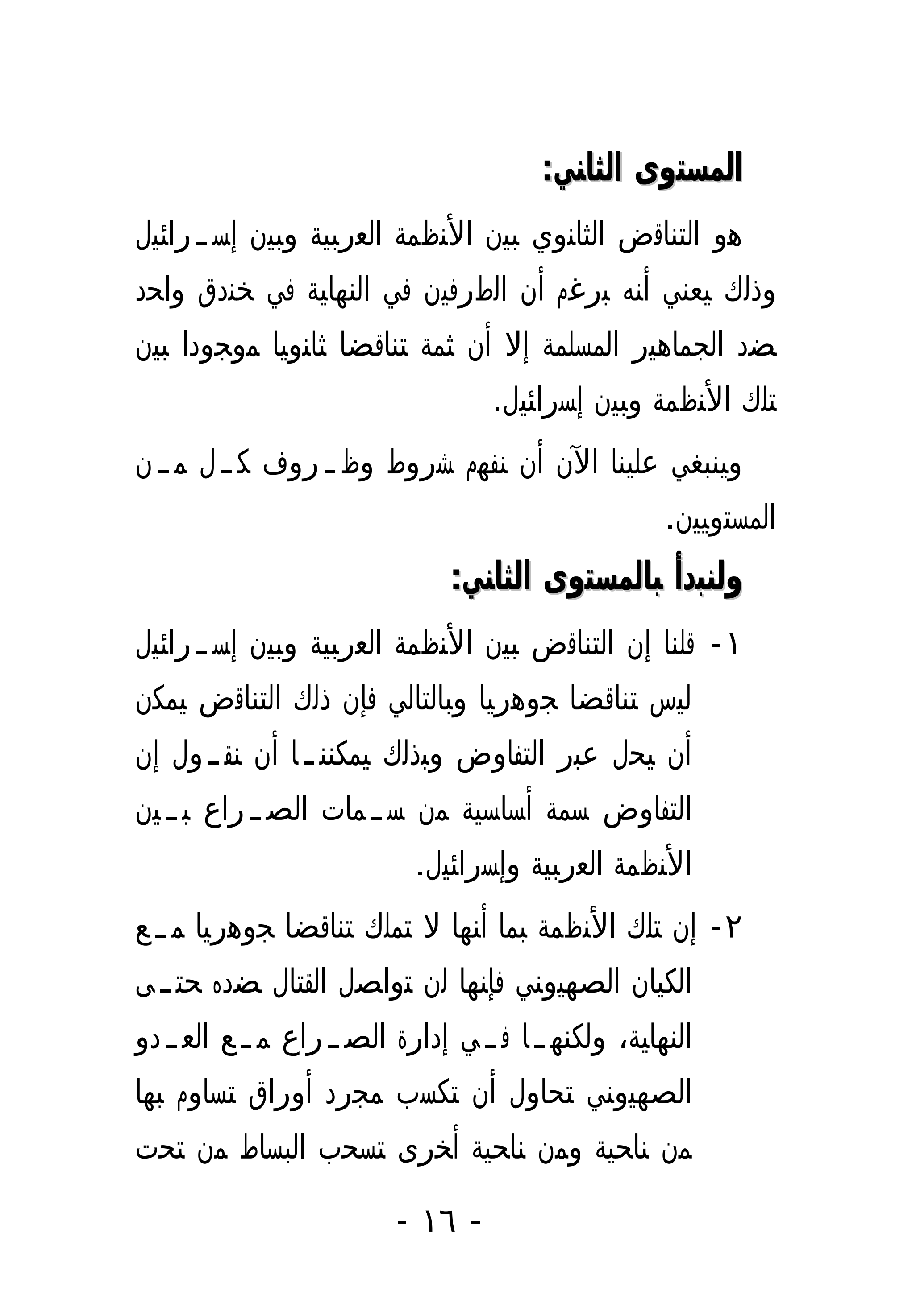
لا تكتفي بمجرد منع الطليعة من أداء دورها بـل تطاردهـا وتنكل بها.

وفي إطار ما تقدم. فإن الهدف الحالي للقوى الشيطانية هو ضرب الجماهير المؤمنة وطليعتها وضرب حتى احتمالاتهـا الجنينية.

وبذلك يكون هذا الفهم مدخلا لفهم طبيعة الصـراع فـي المنطقة. يأخذ الصراع الإسلامي الصهيوني شكله الخـاص عبر مستويين:

المستوى الأول:

يمثل تناقضا جوهريا بين الطليعة المؤمنـة وجماهيرهـا وبين رأس الحربة الشيطانية إسرائيل. كما ينبغي فهم تناقض رئيسي آخر بين الطليعة المؤمنة وبين الحكومـات العميلـة وبقدر ما تكون تلك الحكومات شرسة في منع الجماهير عن أداء دورها تجاه صراعها مع إسرائيل بقدر ما يزيد تنـاقض الجماهير مع تلك الحكومات.



المستوى الثاني:

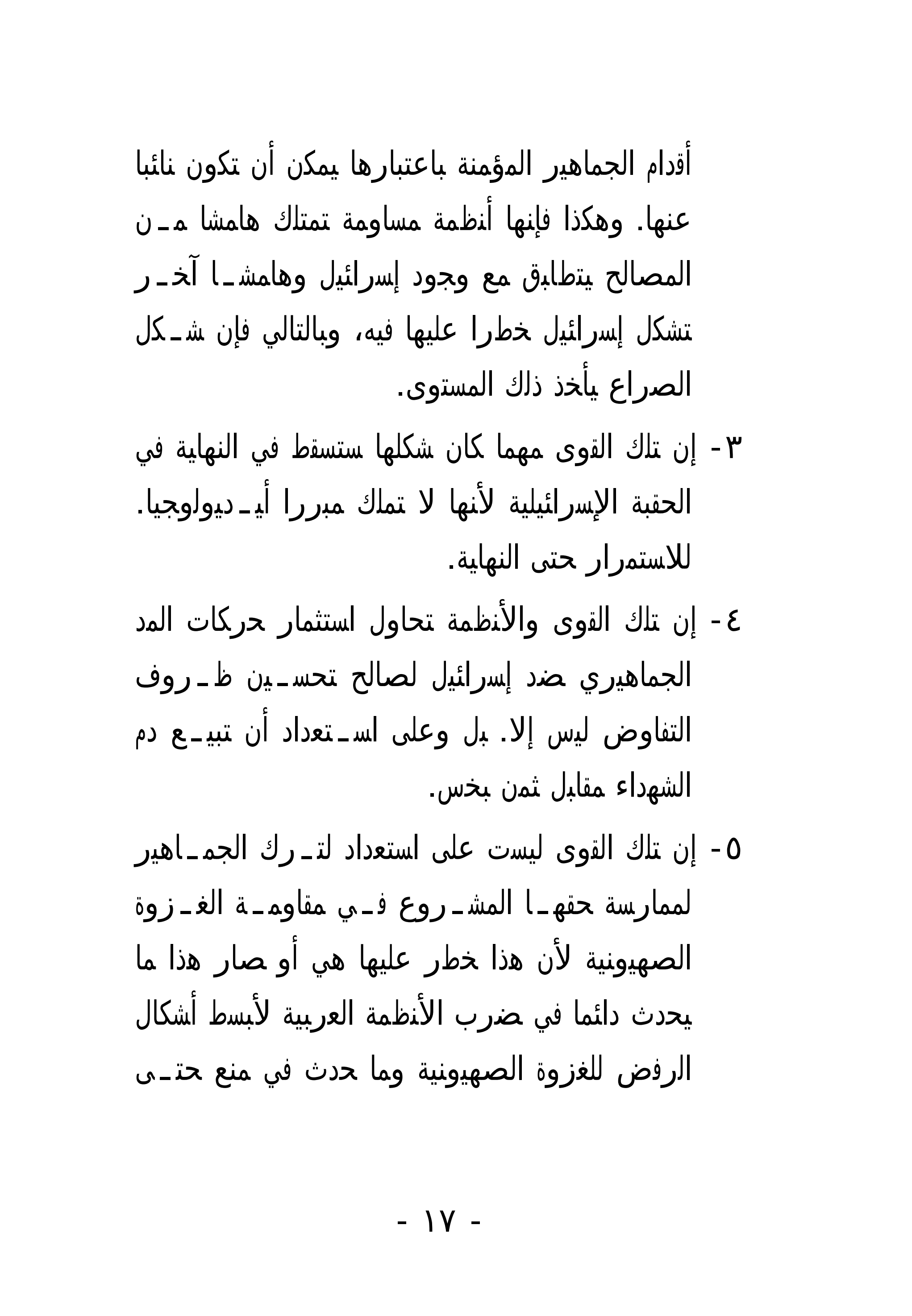
هو التناقض الثانوي بين الأنظمة العربية وبين إسـرائيل وذلك يعني أنه برغم أن الطرفين في النهاية في خندق واحد ضد الجماهير المسلمة إلا أن ثمة تناقضا ثانويا موجودا بين تلك الأنظمة وبين إسرائيل.

وينبغي علينا الآن أن نفهم شروط وظـروف كـل مـن المستويين.

ولنبدأ بالمستوى الثاني:

١- قلنا إن التناقض بين الأنظمة العربية وبين إسـرائيل ليس تناقضا جوهريا وبالتالي فإن ذلك التناقض يمكن أن يحل عبر التفاوض وبذلك يمكننـا أن نقـول إن التفاوض سمة أساسية من سـمات الصـراع بـين الأنظمة العربية وإسرائيل.

٢- إن تلك الأنظمة بما أنها لا تملك تناقضا جوهريا مـع الكيان الصهيوني فإنها لن تواصل القتال ضده حتـى النهاية، ولكنهـا فـي إدارة الصـراع مـع العـدو الصهيوني تحاول أن تكسب مجرد أوراق تساوم بها من ناحية ومن ناحية أخرى تسحب البساط من تحت



أقدام الجماهير المؤمنة باعتبارها يمكن أن تكون نائبا عنها. وهكذا فإنها أنظمة مساومة تمتلك هامشا مـن المصالح يتطابق مع وجود إسرائيل وهامشـا آخـر تشكل إسرائيل خطرا عليها فيه، وبالتالي فإن شـكل الصراع يأخذ ذلك المستوى.

٣- إن تلك القوى مهما كان شكلها ستسقط في النهاية في الحقبة الإسرائيلية لأنها لا تملك مبررا أيـديولوجيا. للاستمرار حتى النهاية.

٤- إن تلك القوى والأنظمة تحاول استثمار حركات المد الجماهيري ضد إسرائيل لصالح تحسـين ظـروف التفاوض ليس إلا. بل وعلى اسـتعداد أن تبيـع دم الشهداء مقابل ثمن بخس.

٥- إن تلك القوى ليست على استعداد لتـرك الجمـاهير لممارسة حقهـا المشـروع فـي مقاومـة الغـزوة الصهيونية لأن هذا خطر عليها هي أو صار هذا ما يحدث دائما في ضرب الأنظمة العربية لأبسط أشكال الرفض للغزوة الصهيونية وما حدث في منع حتـى

المظاهرات ضد إسرائيل في غزوها للبنـان. منـع وصول المتطوعين..

خصائص وشروط المستوى الأول:

١- التناقض الجوهري بين الجمـاهير المسـلمة وبـين إسرائيل يستمد أساسا من وعي تلـك الجمـاهير أن إسرائيل ليست إلا آخر أشكال الصراع بين القـوى الإلهية والقوى الشيطانية وأنهـا فـي هـذه المـرة تستهدف قلب الأمة المسلمة وعقلها معا وبالتالي فإنه صراع حضاري في جوهره وصراع فناء، فإمـا أن نكون وإما ألا نكون، وهكذا فإن الجماهير المؤمنـة عاشت شعار "إن قضـية فلسـطين هـي القضـية المركزية للحركة الإسلامية". بطريقة فذة (فكل نظام يريد أن يقوم لابد أن يدخل من بوابة هـذه القضـية وكل نظام يسقط يسقط أيضا من هذه البوابة)...

٢- أن الجماهير المؤمنة بما أنها وعت شـكل وحقيقـة الصراع لا تملك أن تختار إلا طريقا واحـدا وهـو حرب التحرير الشعبية الإسـلامية طويلـة المـدى وإعلان الجهاد المقدس.

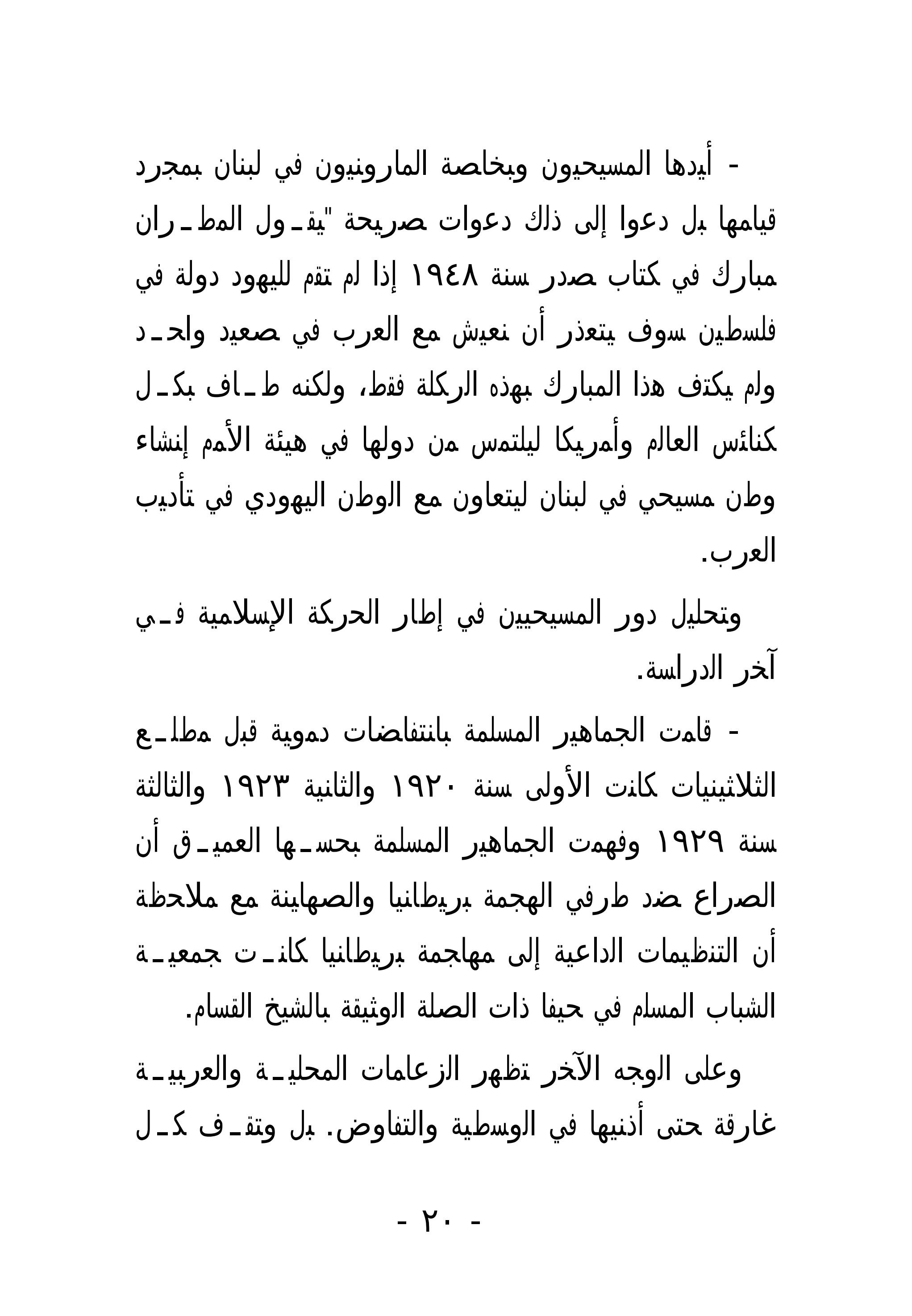
٣- أن الجماهير المؤمنة ترفض تماما طريق المساومات والتفاوض وخلافه بما أنها فهمت حقيقة الصراع.

٤- أن الجماهير المؤمنة يجب أن تعرف شروط وظروف عملها في إطار الأنظمة العميلة وفي إطار الهجمـة الغربية الشرسة وفي إطار الزمان والمكان وعليهـا أن تدرس طبيعة التناقضات الموجودة فـي السـاحة وتستفيد منها، وعليها أن تفرز حلفاءهـا وأعـداءها بوضوح، وبالتالي فـإن مهمـات تلـك الجمـاهير سنؤخرها إلى آخر الدراسة.

وانطلاقا مما تقدم ينبغي علينا أن نضع تحـت الدراسـة بعض الوقائع التاريخية الآتية التي توضـح دور الجمـاهير المسلمة ودور الأنظمة كمحورين للصراع ضـد إسـرائيل ومراحل ذلك الصراع:

- ظهرت إسرائيل على يد اليهود وبدعم مـن الإنجليـز البروتستانت (وعد بلفور).

- اعترف بها بمجرد إعلانها في ٤٨ أمريكـا الصـليبية وروسيا الشيوعية بل والأحزاب الشيوعية في العالم العربـي والإسلامي.



- أيدها المسيحيون وبخاصة المارونيون في لبنان بمجرد قيامها بل دعوا إلى ذلك دعوات صريحة "يقـول المطـران مبارك في كتاب صدر سنة ١٩٤٨ إذا لم تقم لليهود دولة في فلسطين سوف يتعذر أن نعيش مع العرب في صعيد واحـد ولم يكتف هذا المبارك بهذه الركلة فقط، ولكنه طـاف بكـل كنائس العالم وأمريكا ليلتمس من دولها في هيئة الأمم إنشاء وطن مسيحي في لبنان ليتعاون مع الوطن اليهودي في تأديب العرب.

وتحليل دور المسيحيين في إطار الحركة الإسلامية فـي آخر الدراسة.

- قامت الجماهير المسلمة بانتفاضات دموية قبل مطلـع الثلاثينيات كانت الأولى سنة ١٩٢٠ والثانية ١٩٢٣ والثالثة سنة ١٩٢٩ وفهمت الجماهير المسلمة بحسـها العميـق أن الصراع ضد طرفي الهجمة بريطانيا والصهاينة مع ملاحظة أن التنظيمات الداعية إلى مهاجمة بريطانيا كانـت جمعيـة الشباب المسلم في حيفا ذات الصلة الوثيقة بالشيخ القسام.

وعلى الوجه الآخر تظهر الزعامات المحليـة والعربيـة غارقة حتى أذنيها في الوسطية والتفاوض. بل وتقـف كـل

القوى غير الإسلامية مواقـف مشـبوهة "يلاحـظ موقـف الشيوعيين الفلسطينيين من الانتفاضات".

- انتفاضة سنة ١٩٣٦ في حين كانت الجماهير تقدم دمها على ساحة الجهاد، وكانوا هم خارج الساحة يقودون المعركة وبعد ستة أشهر من الجوع والقهر، جاء الزعماء العرب في الممالك العربية (مصر والأردن والسعودية والعراق) ليأمروا الجماهير المسلمة التي تنزف دمها بإيقاف المعركة الأولـى لأن الصديقة بريطانيا ستفهم مطالبنا في جلسـات التفـاوض القادمة.

- وعت الجماهير المسلمة في تلك اللحظـات كيـف أن الزعماء ليسوا على استعداد للذهاب حتى النهاية في النضال خوفا على مصالحهم فطرح عز الدين القسام نظريته الفذة في العمل التنظيمي الجماهيري الذي يعتمد على الجماهير الغفيرة المسلمة (عمال – فلاحين – بائعي جـاز) ويتخـذ الجهـاد الإسلامي المسلح طريقا وحيدا. ولأن جماهير الأمة المسلمة هي صاحبة المصلحة في التصدي للغزوة الصهيونية ولأنها هي القادرة حتى النهاية فإن طريق القسام مازال يتحرك حتى اليوم عبر ذلك التاريخ. مع ملاحظـة أن القـوى السياسـية

خارج الإطار الإسلامي تتحـرك لتحجـيم دور الجمـاهير ومنعها من أداء رسالتها.

وقد تم ذلك عبر عدة مراحل:

(أ) **المرحلة الليبراليـة**: الزعمـاء العـرب يطرحـون الليبرالية كشعار لهم ويمنعون الجماهير من الوصـول إلـى مراكز السلطة بالقمع والخداع مع ظهور تفاوت طبقي ضخم ولقد خاضت تلك الأنظمة مكرهة تحـت ضـغط الجمـاهير معركة سنة ١٩٤٨ ولكن ما كان أسـهل علـى العصـابات الصهيونية أن تضرب تلك الأنظمة ضربات قاتلة ليس لأنها أقوى من جيوشها ولكن لأن قادة تلك الجيوش بما يمثلونه من طبقات وفئات اجتماعية ليس بينهم وبين إسـرائيل تناقضـا جوهريا فضلا عن أن ما يمثله هؤلاء من الليبرالية لـيس إلا جزءا من الحضارة الغربية فكيف يستطيع أن يتحـدى مثلـه الأعلى (لاشك أن إسرائيل تمثيل أكثر جودة للحضارة ولاشك أن الأنظمة العربية تمثيل متخلف للحضارة الغربية).

كما أن تلك الأنظمة قد دخلت الحرب كتنفـيس لضـغط الجماهير المسلمة عليها فهي ليست جادة في دخول الحرب.

وعلى الطرف المقابل تقوم الجماهير المسلمة والطلائـع الواعية بالقتال البطولي مكملة طريق القسام (قـام الإخـوان المسلمون بقيادة البطل أحمد عبد العزيز بالقتـال البطـولي الرائع ضد اليهود وإلحاق قدر كبير من الخسائر بهم وكذلك المجاهد البطل فوزي القاوقجي وعبد القادر الحسيني. إلا أن الأنظمة العربية تمنع الجيوش الجماهيرية المسلمة من إكمال انتصارها فتوقع هذه الأنظمة اتفاقية الهدنة بل إن الملك عبد ا ينسحب من اللد والرملة تاركا إياها لليهود ليحتلوها.

وهكذا تنتهي حرب ١٩٤٨ لتدرك الجماهير المؤمنـة أن عليها أن تناضل بشكل جذري ضد تلك الأنظمة العميلة التي حالت دون انتصارها وأدت بخياناتها إلى ضياع قلب الأمـة الإسلامية وهكذا فإن حرب ٤٨ أدت إلى:

١- انتهاء حقبة الليبرالية العربية وإفلاس تلـك الأنظمـة وعدم قدرتها على الاستمرار فجـاءت الخمسـينيات لتحمل لنا أنظمة العسكر.

٢- أن التناقض الرئيسي هو بين الجماهير المسلمة وبين إسرائيل.

٣- أنه ليس ثمة تناقض رئيسي بين الأنظمة العربية وبين إسرائيل.

مرحلة حرب ١٩٦٧:

لم تنقطع نضالات الجماهير المسلمة داخل الأرض المحتلة وخارجها ضد إسرائيل ولكن نلاحظ أن فترة ٤٩ – ٦٧ كانت تحمل بوجه خاص محاولة لسحق الكيان الإسلامي للأمة على كل المستويات حتى البسيطة منها، (اغتيال وشنق وسجن العديد من قيادات الحركة الإسلامية) مع تصاعد مد علماني قومي اشتراكي على المستوى الثقافي والفني والمؤسسي. ويأتي عام ٦٧ لتتكرر نفس المأساة فالقيادة (هذه المرة الاشتراكية القومية) تترك جيوشها لتسحقها إسرائيل سحقا دون أن تطلق رصاصة تحت ستار مهزلة انسحاب مازالت تحمل الكثير من الأسرار غير المفهومة على المستوى التفصيلي، ولا داعي لأن نكرر أن نفس تلك الأنظمة بما تمثله من قوى وأيديولوجية غير قادرة على مواجهة مثلها الأعلى (الحضارة الغربية) التي هي جزء ممسوخ ومشوه لها كما أنها لا تملك في الأساس تناقضا مع الكيان الصهيوني (يلاحظ بعض الطروح الغربية في تلك

الفترة عن وحدة البروليتاريا العربية والإسرائيلية وغيرها من الترهات التي صدعنا بها السادة اليساريون في تلك الحقبة).

وهكذا يأتي عام ١٩٦٧ لينهي رسميا حقبـة الاشـتراكية وإن كانـت بعـض تلـك الأنظمـة قـد عاشـت بعـدها إلا أنها عاشت في الوقت الضائع من عمرها مهما طال ذلك الوقت. وذلك بسبب عدم قدرة الحركة الإسلامية على التقـدم والقيام باستلام زمام الأمة لأسباب خاصة.

وهكذا فإن الهجمة الصليبية الصهيونية منذ عام ١٩٦٧ قد استطاعت أن تحل تناقضاتها مع الأنظمة العربية لصـالحها وما عليها إلا أن تتقدم لتصبغ كل شيء بالصبغة الإسرائيلية ولتفتح عصر الحقبة الإسـرائيلية وخصوصـا أن الحركـة الجماهيرية المسلمة قد تم ضربها ضربات موجعة وبـدا أن تلك الحركة لم تعد قادرة على التصدي للهجمة الصـهيونية داخل كيان الأمة وعقلها ووجدانها ولكن هيهات.

تبدو ملامح تلك الفترة في:

١- إقامة أنظمة عميلة مباشرة للقوى الإسرائيلية بمعنـى أنها تتلقى أوامرها مباشرة من شارون وبيجين.

وهذه الأنظمة أنظمة تلفيقية لا تملك أيديولوجيـة محـددة فهي تارة ديموقراطية اشتراكية أو قومية أو....

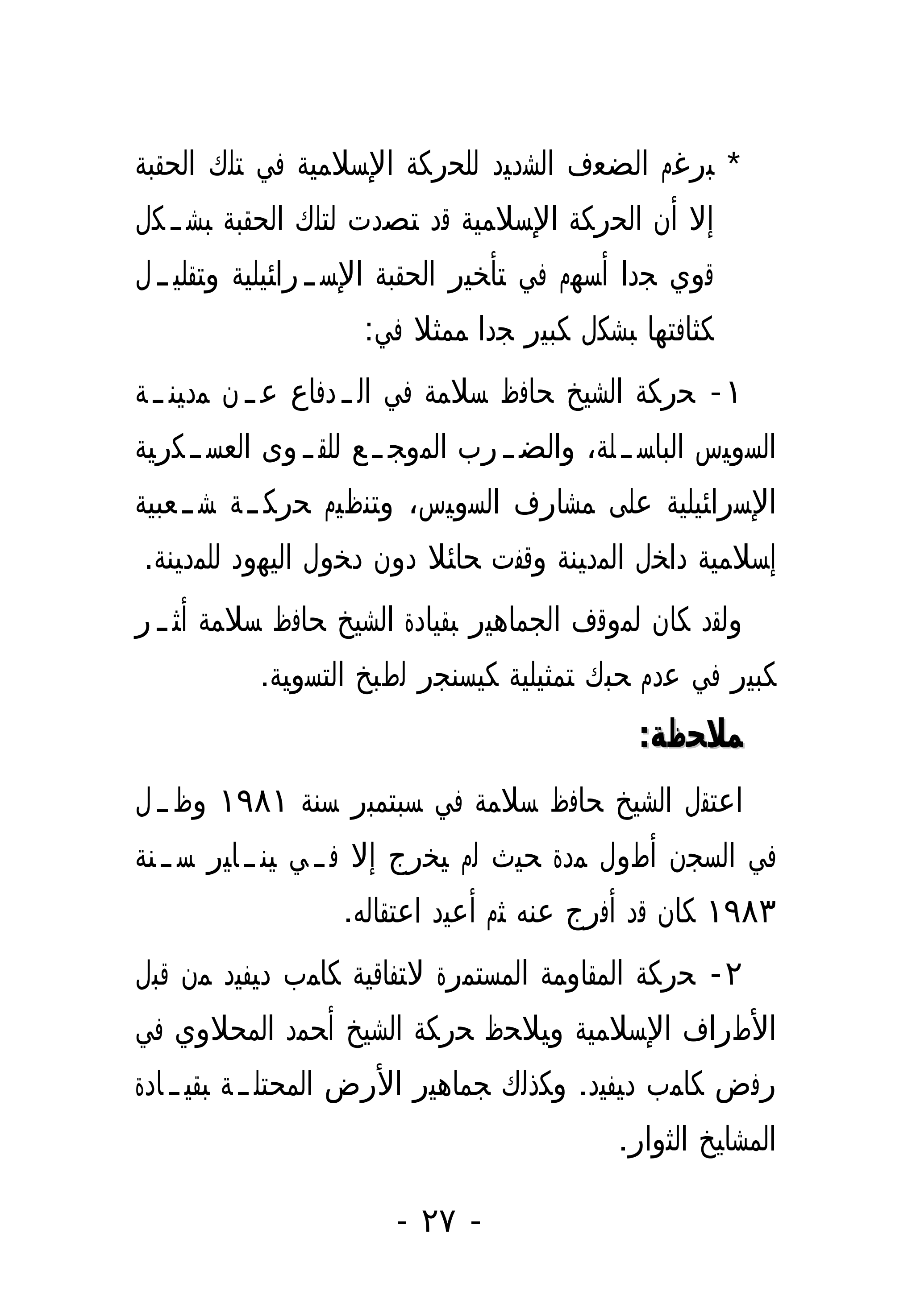
٢- أن تلك الأنظمة لا تملك أي تناقض مع إسرائيل بـل إن تناقضها الأساسي مع الجماهير.

٣- أنه لتحرير الحقبة الإسرائيلية ينبغي تحقيق نوع مـن الانتصار المزيف لتلك الأنظمة تملك بعده أن توقـع على صكوك الاستسلام الكامل لإسرائيل.

٤- يتم تزييف الثقافة والفن بشكل كامل لصالح إسـرائيل (رفع كل ما يمت للتاريخ الحقيقي بصلة من المدارس – إغراق الأسواق بـالأفلام والكتـب والسـلع ذات التوجه الإسرائيلي – منع خطباء المساجد من ترديـد آيات القرآن التي تسب بني إسرائيل).. إلخ.

ملاحظة هامة جدا:

* ظهرت كثير من البطـولات الإسـلامية فـي سـيناء والجولان بدوافع شخصية إسلامية بحتة بل وقام عرب سيناء المسلمون بكثير من العمليات العسـكرية ضـد إسرائيل ولم يفصـح النظـام عنهـا تمهيـدا للحقبـة الإسرائيلية.



* برغم الضعف الشديد للحركة الإسلامية في تلك الحقبة إلا أن الحركة الإسلامية قد تصدت لتلك الحقبة بشـكل قوي جدا أسهم في تأخير الحقبة الإسـرائيلية وتقليـل كثافتها بشكل كبير جدا ممثلا في:

١- حركة الشيخ حافظ سلامة في الـدفاع عـن مدينـة السويس الباسـلة، والضـرب الموجـع للقـوى العسـكرية الإسرائيلية على مشارف السويس، وتنظيم حركـة شـعبية إسلامية داخل المدينة وقفت حائلا دون دخول اليهود للمدينة.

ولقد كان لموقف الجماهير بقيادة الشيخ حافظ سلامة أثـر كبير في عدم حبك تمثيلية كيسنجر لطبخ التسوية.

ملاحظة:

اعتقل الشيخ حافظ سلامة في سبتمبر سنة ١٩٨١ وظـل في السجن أطول مدة حيث لم يخرج إلا فـي ينـاير سـنة ١٩٨٣ كان قد أفرج عنه ثم أعيد اعتقاله.

٢- حركة المقاومة المستمرة لاتفاقية كامب ديفيد من قبل الأطراف الإسلامية ويلاحظ حركة الشيخ أحمد المحلاوي في رفض كامب ديفيد. وكذلك جماهير الأرض المحتلـة بقيـادة المشايخ الثوار.

وهكذا فإنه في الفترة من سنة ١٩٦٧: ١٩٨٢ نلاحظ أن نفس الأشكال والخصائص مازالت متمثلة.

- أنظمة وقوى سياسية جزء من الهجمة الغربية تسـقط تباعا في كامب ديفيد – كامب فاس. مبادرة فهد.

- وعلى الجانب الآخر حركة الجماهير المسلمة – حافظ سلامة – أحمد المحلاوي – أسعد التميمي – عبـد العزيـز عودة.... إلخ.

* قلنا إن الأنظمة العربية لم تعد تملك تناقضا مع إسرائيل والهجمة الاستعمارية، ووقعت في شرك العمالـة المباشـرة لإسرائيل وسحبت بنادق جيوشها من اتجاه إسرائيل إلى اتجاه قلوب الجماهير المسلمة وإن وظيفتها في تلك المرحلة ستكون ضرب الجماهير المسلمة بلا هوادة وتغييبها وتزييف وعيهـا إلا أن سقوط تلك الأنظمة سيكون متفاوتا بحسب الظـروف الذاتية والموضوعية لكل منها. وقلنا إن الجماهير المسـلمة هي وحدها التي تملك تناقضا جوهريا وبالتالي تملك القـدرة على التصدي لإسرائيل. وظهر مما سبق وطبقا لهذا التحليل أن الأنظمة العربية لم تخض معركة واحدة مع إسرائيل وأنها كانت تهزم قبل أن تدخل المعركة وأن القوة الوحيـدة التـي

استطاعت أن تحقق انتصارات تكتيكية ضد إسرائيل هي قوة الجماهير المسلمة وأنها قادرة على الانتصار النهائي ما لـم تحل الأنظمة العربية دون ذلك.

وهكذا تبدأ الثمانينيات وقد فرزت القوى على النحو الآتي:

(أ) قوة الجماهير المسلمة بما لها من مصلحة في الصراع وبما أنها تدرك بعده التاريخي والحضـاري. وبمـا تملك من حصانة ربانية خاصة وهـي غيـر قابلـة للهزيمة وإن كانت حتى هذه اللحظة غير قادرة على النصر وغير مسموح لها بتحقيقه.

(ب) الأنظمة العربية بكافة تياراتها واتجاهاتها وهي تفقد كل تناقضاتها مع الكيان الصهيوني بل وتملك هامشا من المصلحة المشتركة مع الكيان الصهيوني وتعرف إلى من توجه بنادقها. وبـالطبع تتفـاوت هـوامش المصلحة وتتفاوت سرعة السقوط ومداه من نظام إلى نظام وتفرز تلك القوى إلى:

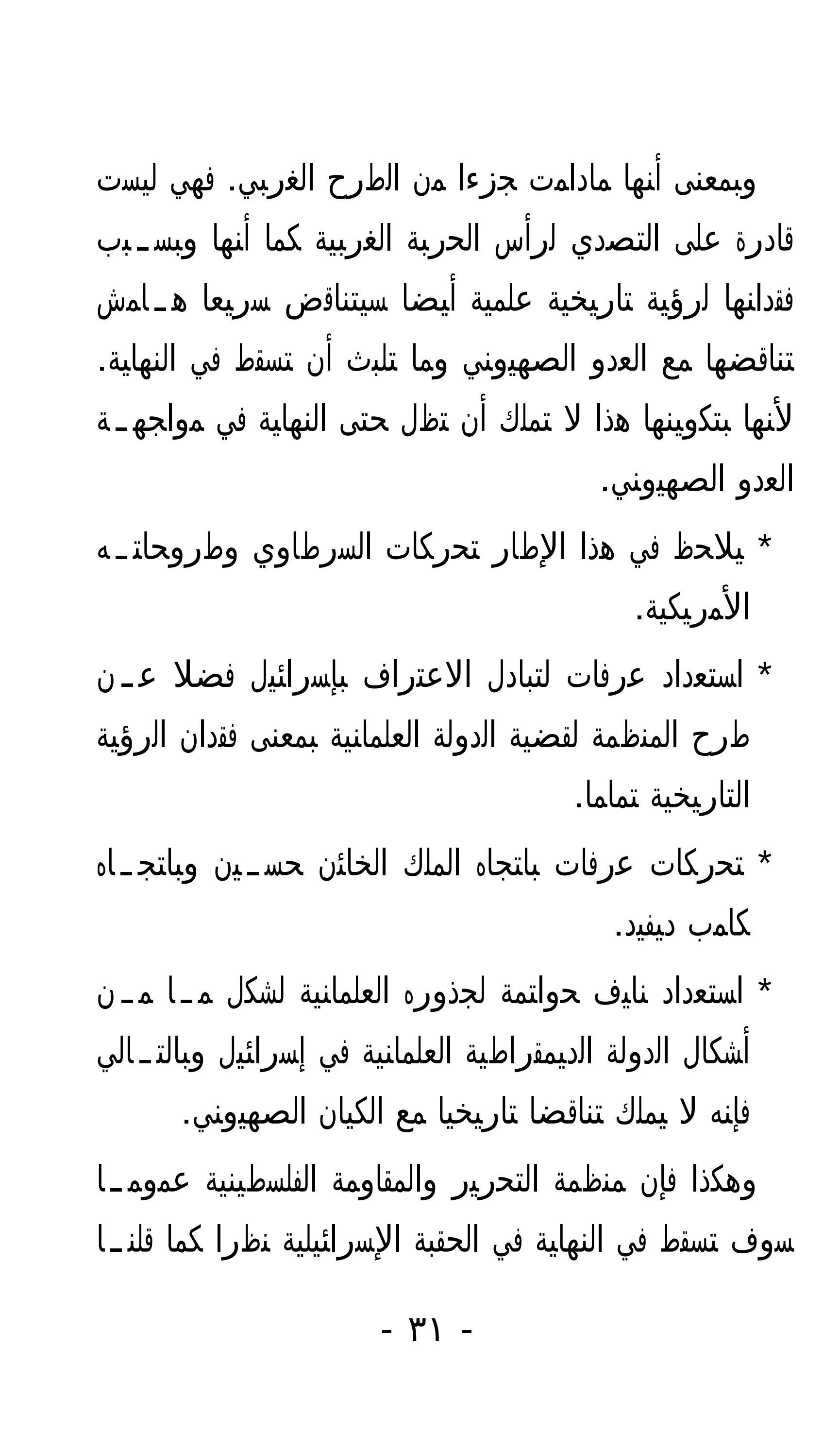
١- الأنظمة الرجعية العربية بقيادة فهد. وهي الآن لم تعد تملك أي تناقض مع الكيان الصهيوني وعلى استعداد للذهاب إلى النهاية لتكريس الحقبة الإسرائيلية.

٢- بعض الأنظمة العربية ولظروف خاصة مازالت تملك تناقضا شكليا مع الكيان الصهيوني نظـرا لـبعض الظروف (النظام السوري مازال نظاما خائنا وعميلا وبشعا وقذرا حتى النخاع ولكن لأن شكل التسوية في المنطقة يستبعده بشكل أو بآخر ولا يعطيـه نصـيبا طيبا فإنه مازال يرفض دون أن يكون لديه مبررات أيديولوجية أو تاريخية للرفض).

٣- ليبيا مثلا يأخذ العقيد القذافي موقفا دون كيشوتيا بدون لا نظرية ولا أيديولوجية ولا حتى رغبة في البحـث عن ذلك.

٤- المقاومة الفلسطينية وهي التي مازالت تحمل تناقضـا ما مع الكيان الصهيوني، ولنعرف الآن لماذا بـرغم أن منظمة التحرير بتكوينهـا الحـالي وتوجيهـات قياداتها وأيديولوجيتها لن تختلف كثيرا عن الأنظمـة العربية بمعنى أنها مازالت تطرح نفس الطروحـات التي ثبت فشلها من ليبرالية يمينية (السـرطاوي) – وقومية وطنية "فتح" ويسارية بمختلف الدرجات.

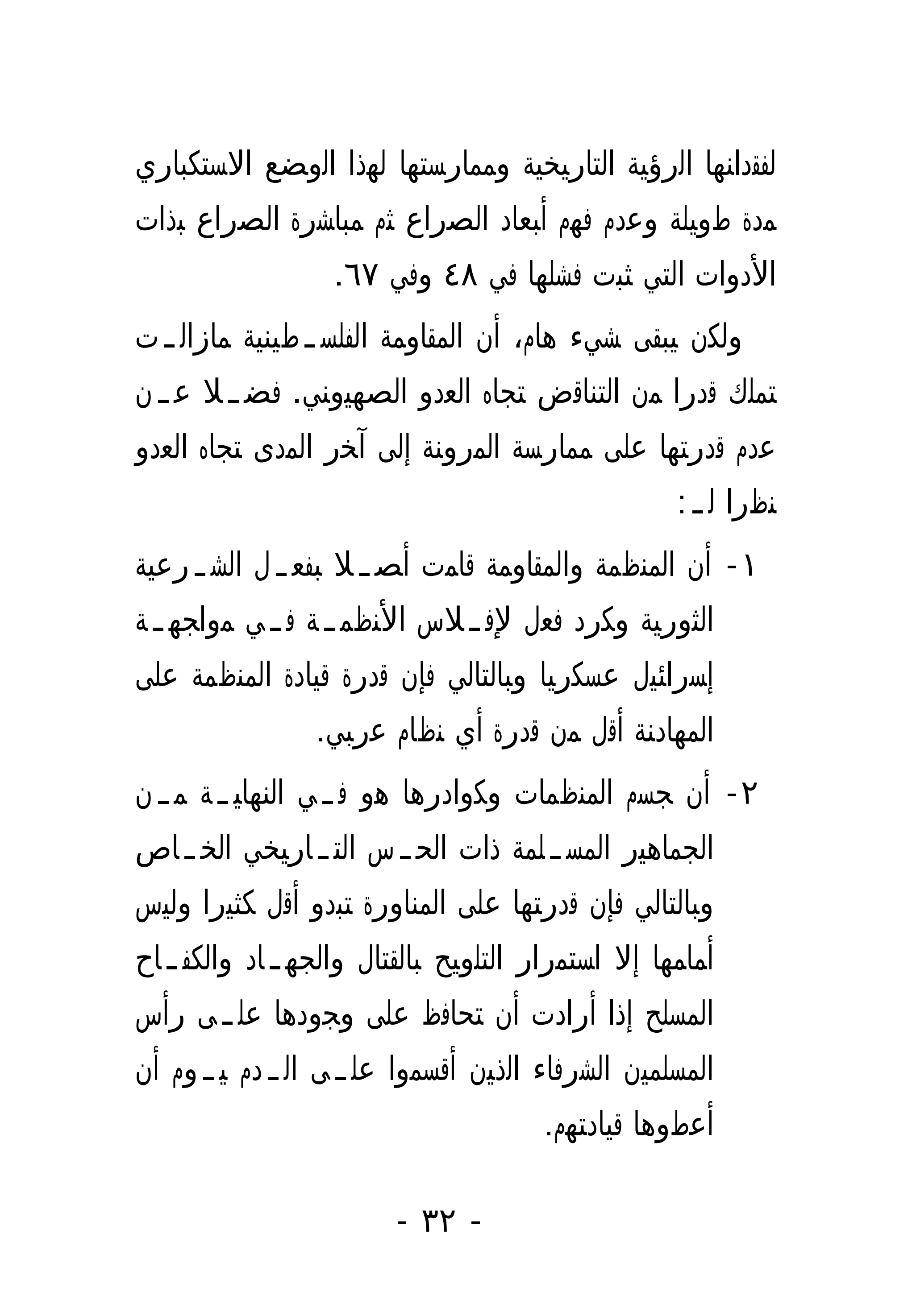
الجبهة الشعبية: جورج حبش – نايف حواتمة.. إلخ.



وبمعنى أنها مادامت جزءا من الطرح الغربي. فهي ليست قادرة على التصدي لرأس الحربة الغربية كما أنها وبسبب فقدانها لرؤية تاريخية علمية أيضا سيتناقض سريعا هامش تناقضها مع العدو الصهيوني وما تلبث أن تسقط في النهاية. لأنها بتكوينها هذا لا تملك أن تظل حتى النهاية في مواجهة العدو الصهيوني.

* يلاحظ في هذا الإطار تحركات السرطاوي وطروحاته الأمريكية.
* استعداد عرفات لتبادل الاعتراف بإسرائيل فضلا عن طرح المنظمة لقضية الدولة العلمانية بمعنى فقدان الرؤية التاريخية تماما.
* تحركات عرفات باتجاه الملك الخائن حسين وباتجاه كامب ديفيد.
* استعداد نايف حواتمة لجذوره العلمانية لشكل ما من أشكال الدولة الديمقراطية العلمانية في إسرائيل وبالتالي فإنه لا يملك تناقضا تاريخيا مع الكيان الصهيوني.

وهكذا فإن منظمة التحرير والمقاومة الفلسطينية عموما سوف تسقط في النهاية في الحقبة الإسرائيلية نظرا كما قلنا

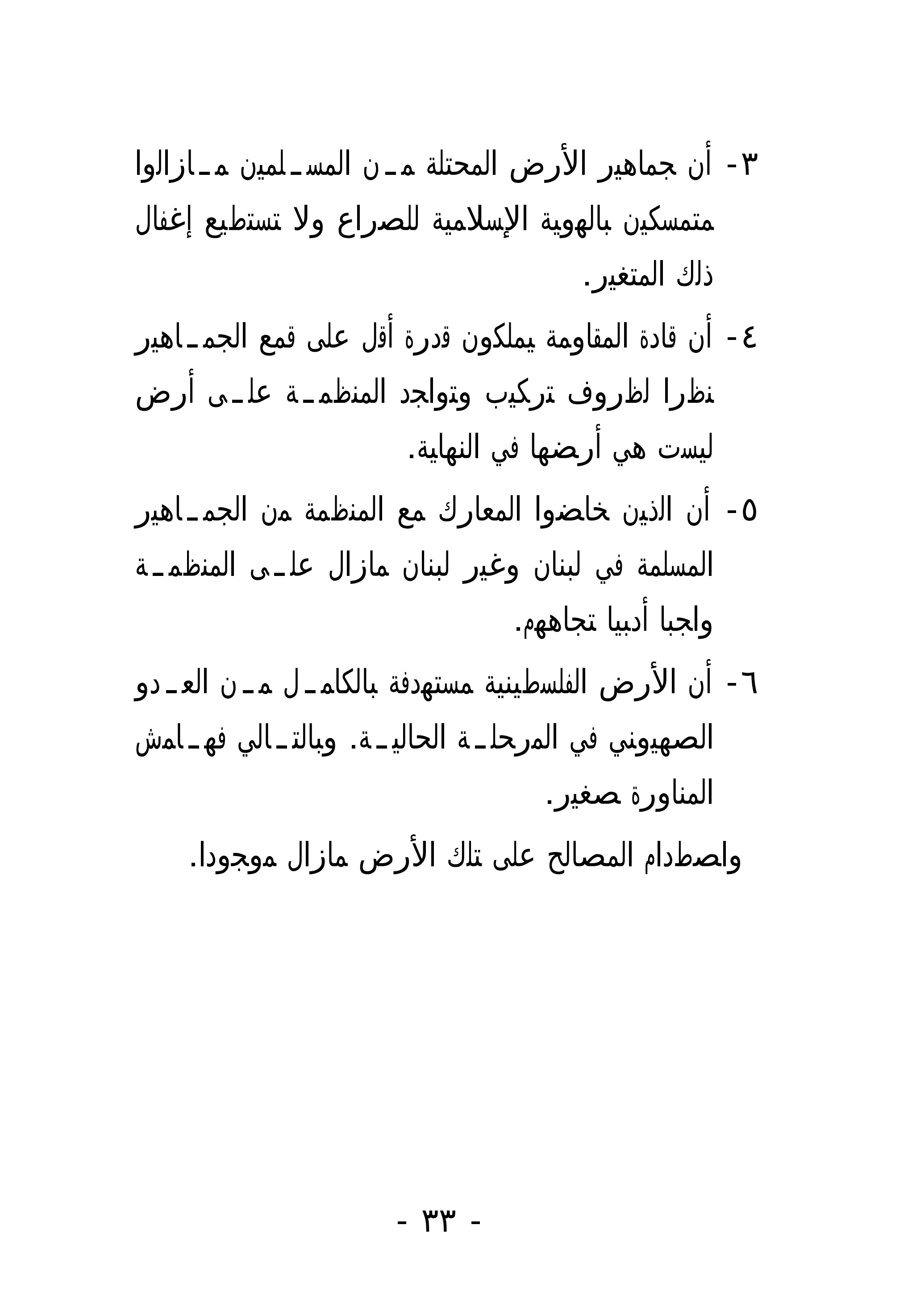


لفقدانها الرؤية التاريخية وممارستها لهذا الوضع الاستكباري مدة طويلة وعدم فهم أبعاد الصراع ثم مباشرة الصراع بذات الأدوات التي ثبت فشلها في ٤٨ وفي ٦٧.

ولكن يبقى شيء هام، أن المقاومة الفلسطينية مازالت تملك قدرا من التناقض تجاه العدو الصهيوني. فضلا عن عدم قدرتها على ممارسة المرونة إلى آخر المدى تجاه العدو نظرا لـ:

١- أن المنظمة والمقاومة قامت أصلا بفعل الشرعية الثورية وكرد فعل لإفلاس الأنظمة في مواجهة إسرائيل عسكريا وبالتالي فإن قدرة قيادة المنظمة على المهادنة أقل من قدرة أي نظام عربي.

٢- أن جسم المنظمات وكوادرها هو في النهاية من الجماهير المسلمة ذات الحس التاريخي الخاص وبالتالي فإن قدرتها على المناورة تبدو أقل كثيرا وليس أمامها إلا استمرار التلويح بالقتال والجهاد والكفاح المسلح إذا أرادت أن تحافظ على وجودها على رأس المسلمين الشرفاء الذين أقسموا على الدم يوم أن أعطوها قيادتهم.



٣- أن جماهير الأرض المحتلة مـن المسـلمين مـازالوا متمسكين بالهوية الإسلامية للصراع ولا تستطيع إغفال ذلك المتغير.

٤- أن قادة المقاومة يملكون قدرة أقل على قمع الجمـاهير نظرا لظروف تركيب وتواجد المنظمـة علـى أرض ليست هي أرضها في النهاية.

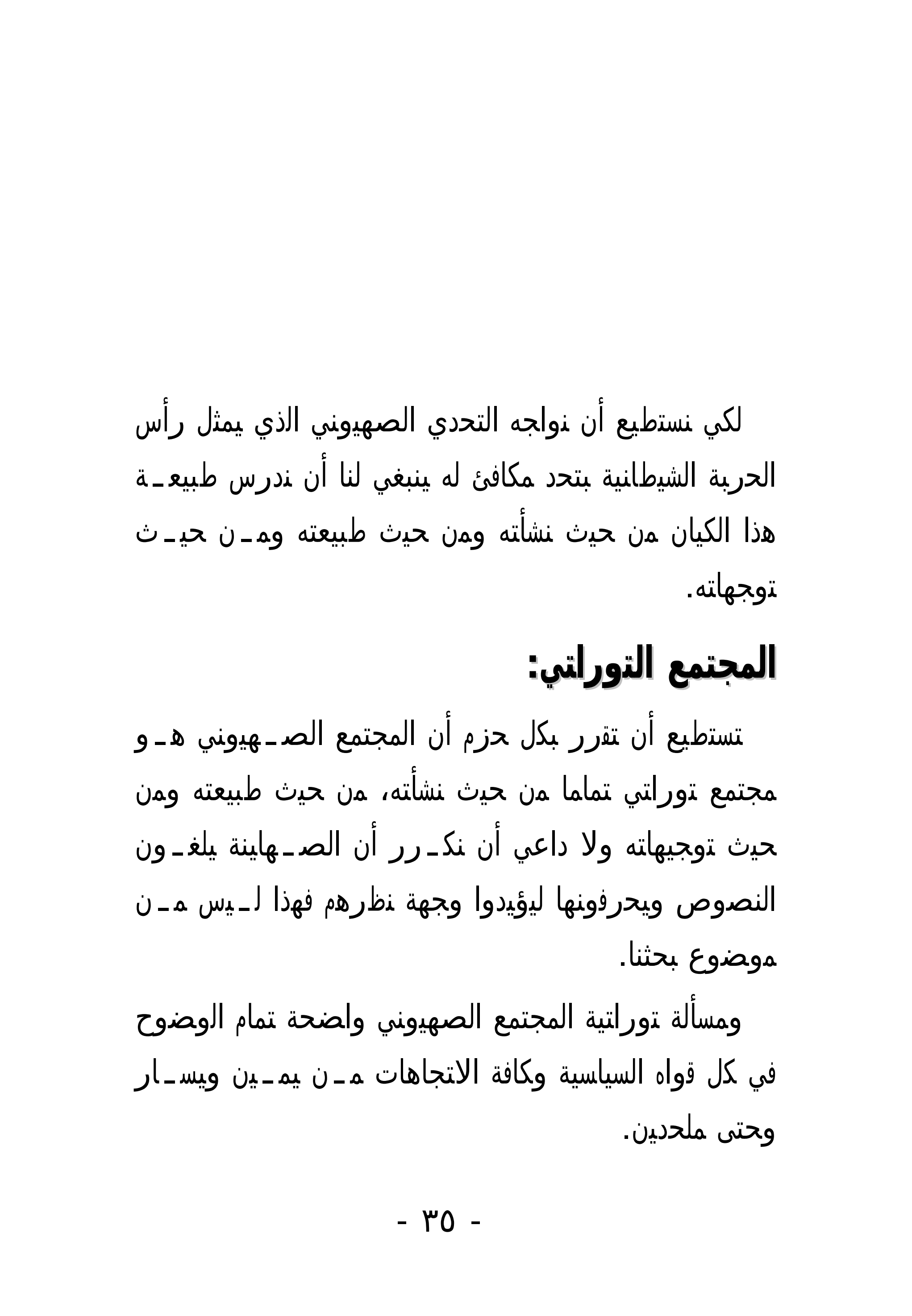
٥- أن الذين خاضوا المعارك مع المنظمة من الجمـاهير المسلمة في لبنان وغير لبنان مازال علـى المنظمـة واجبا أدبيا تجاههم.

٦- أن الأرض الفلسطينية مستهدفة بالكامـل مـن العـدو الصهيوني في المرحلـة الحاليـة. وبالتـالي فهـامش المناورة صغير.

واصطدام المصالح على تلك الأرض مازال موجودا.

الباب الثاني

طبيعـــة الكيـــان الصهيـــوني



لكي نستطيع أن نواجه التحدي الصهيوني الذي يمثل رأس الحربة الشيطانية بتحد مكافئ له ينبغي لنا أن ندرس طبيعـة هذا الكيان من حيث نشأته ومن حيث طبيعته ومـن حيـث توجهاته.

المجتمع التوراتي:

تستطيع أن تقرر بكل حزم أن المجتمع الصـهيوني هـو مجتمع توراتي تماما من حيث نشأته، من حيث طبيعته ومن حيث توجيهاته ولا داعي أن نكـرر أن الصـهاينة يلغـون النصوص ويحرفونها ليؤيدوا وجهة نظرهم فهذا لـيس مـن موضوع بحثنا.

ومسألة توراتية المجتمع الصهيوني واضحة تمام الوضوح في كل قواه السياسية وكافة الاتجاهات مـن يمـين ويسـار وحتى ملحدين.

"نشأ هذا البلد تنفيذا لوعد العرب ذاته ولهذا لا يصـح أن نسأله إيضاحا عن شرعية هذا الوجود".

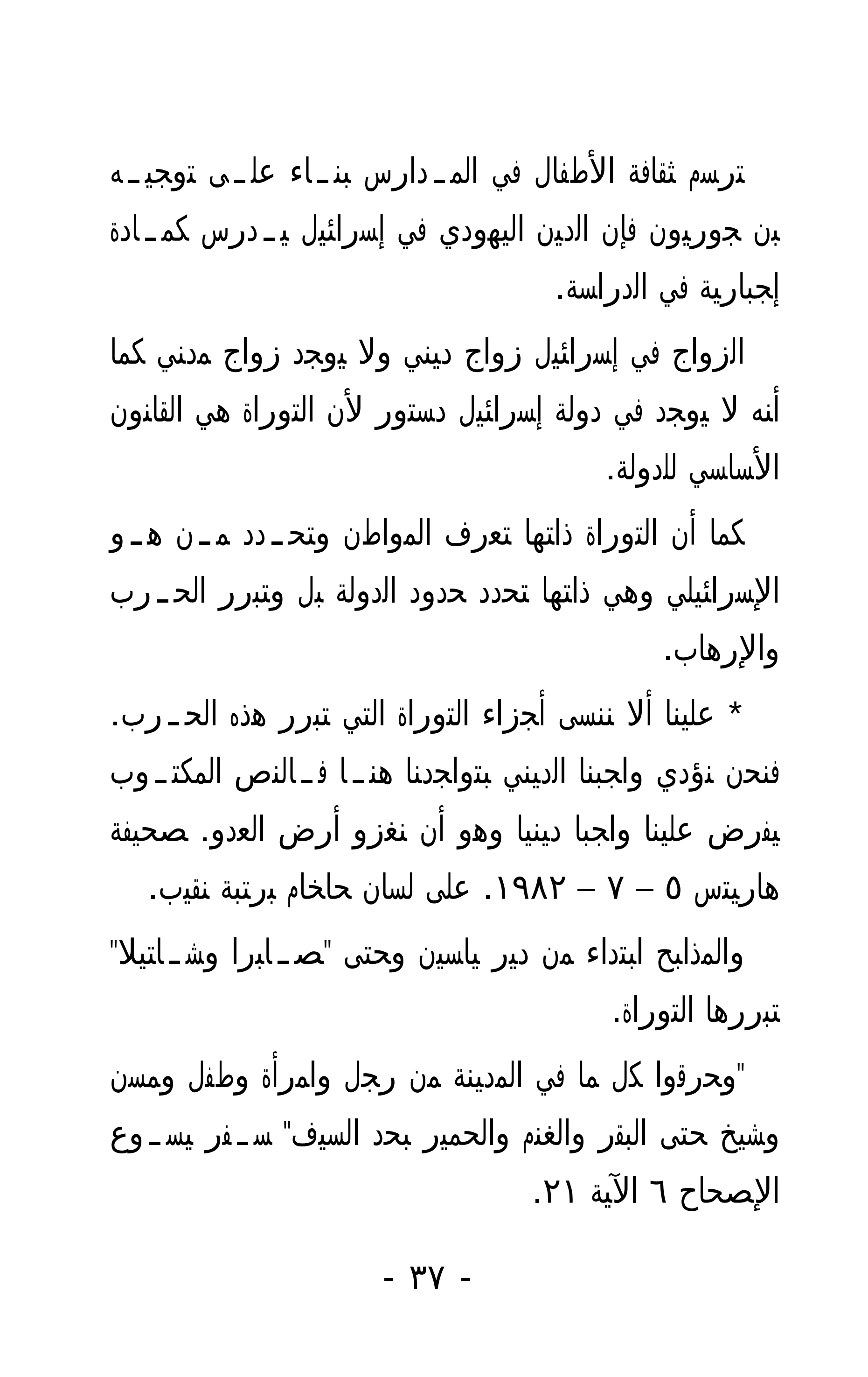
جولدا مائير في تصريح لها لـ "لوماند" الفرنسية بتـاريخ ١٥ مايو عام ١٩٧١ "لاحظ أن جولدا مائير رئيسـة حـزب العمل الإسرائيلي":

"لقد وعدنا هذه الأرض ولنا الحق فيها".

بيجين في أوسلو ونشرته صحيفة دافار عدد ١٤ ديسـمبر سنة ١٩٧٨ وبيجين من كتلة ليكود:

"إذا كنا نملك التوراة وإذا كنا نعتبر أنفسنا شعب التـوراة فينبغي أن نمتلك أيضا بلاد التوراة، بـلاد القضـاة، أرض أورشليم وحيرون وأريحا وأماكن أخرى" تصـريح موشـى ديان لجيروزاليم بوست في ١٠ أغسطس سنة ١٩٦٧.

وهكذا يتردد دائما على ألسنة الزعماء الصـهاينة نفـس الشعارات سواء كانوا من اليمين أم من اليسار، أعضاء فـي حزب العمل أو في كتلة ليكود ناطقين باسم الجيش أو باسـم الحاخامية. التوراة ترسم كل شيء في إسرائيل.



ترسم ثقافة الأطفال في المدارس بناء على توجيه بن جوريون فإن الدين اليهودي في إسرائيل يدرس كمادة إجبارية في الدراسة.

الزواج في إسرائيل زواج ديني ولا يوجد زواج مدني كما أنه لا يوجد في دولة إسرائيل دستور لأن التوراة هي القانون الأساسي للدولة.

كما أن التوراة ذاتها تعرف المواطن وتحدد من هو الإسرائيلي وهي ذاتها تحدد حدود الدولة بل وتبرر الحرب والإرهاب.

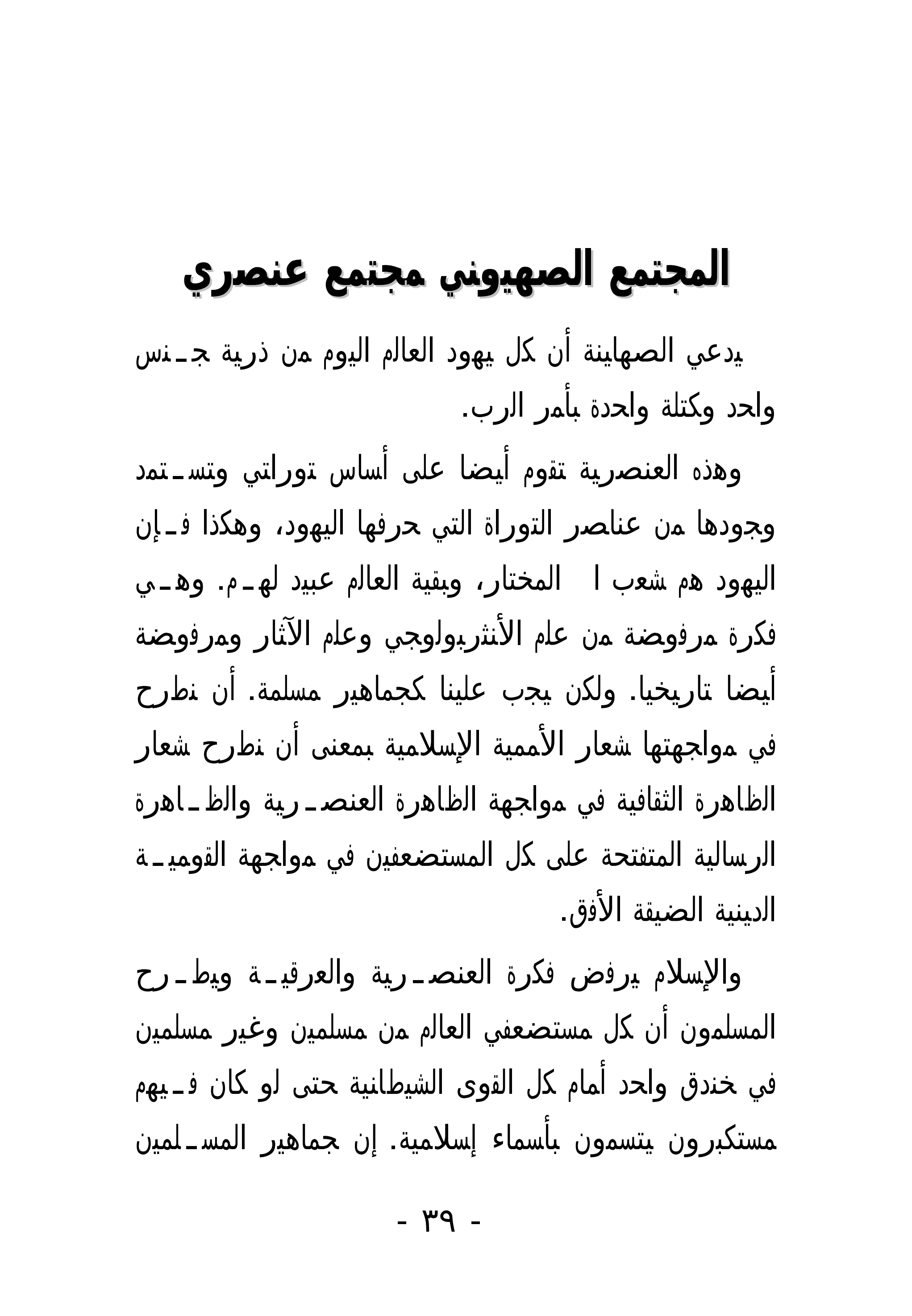
* علينا ألا ننسى أجزاء التوراة التي تبرر هذه الحرب. فنحن نؤدي واجبنا الديني بتواجدنا هنا فالنص المكتوب يفرض علينا واجبا دينيا وهو أن نغزو أرض العدو. صحيفة هاريتس ٥ – ٧ – ١٩٨٢. على لسان حاخام برتبة نقيب.

والمذابح ابتداء من دير ياسين وحتى "صابرا وشاتيلا" تبررها التوراة.

"وحرقوا كل ما في المدينة من رجل وامرأة وطفل ومسن وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف" سفر يسوع الإصحاح ٦ الآية ٢١.

وإن تصريح شعار دولة علمانية ديمقراطية في إسـرائيل مجرد إلهاء ولهو. لأننا رأينا كيف أن الكيـان الصـهيوني، كيان توراتي حتى النخاع وبالتالي فإن من يطرح هذا الشعار كمن يدفن رأسه في الرمال أو يريد مواجهة مجتمع بأسلوب لابد أن يفشل معه وليس مكافئا لـه وهـو يسـحب سـلاح الجماهير المسلمة منها ولا يسحب سلاح الصـهاينة مـنهم وبالتالي فهو طرح خائن ومرفوض فضلا عن أن هذا الشعار مرفوض تماما في إسرائيل فإسرائيل في نشأتها وطبيعتها لا تنفصل عن التوراة وإلا سقطت وبالتالي فإننا حين نطرح أن الصراع يجب أن يكون قرآنيا فإننا بالتالي نعطي تحديا مكافئا فضلا عن أن أمتنا لا تتحرك إلا من خلال قرآنها. وبالتـالي فإنها حضارة توراتية بكل ما تملكه من إرهاب وعنصـرية أمام حضارة قرآنية بكل ما تملكه من حرية وإخاء والصراع صراع حضاري.

* * *



المجتمع الصهيوني مجتمع عنصري

يدعي الصهاينة أن كل يهود العالم اليوم من ذرية جـنس واحد وكتلة واحدة بأمر الرب.

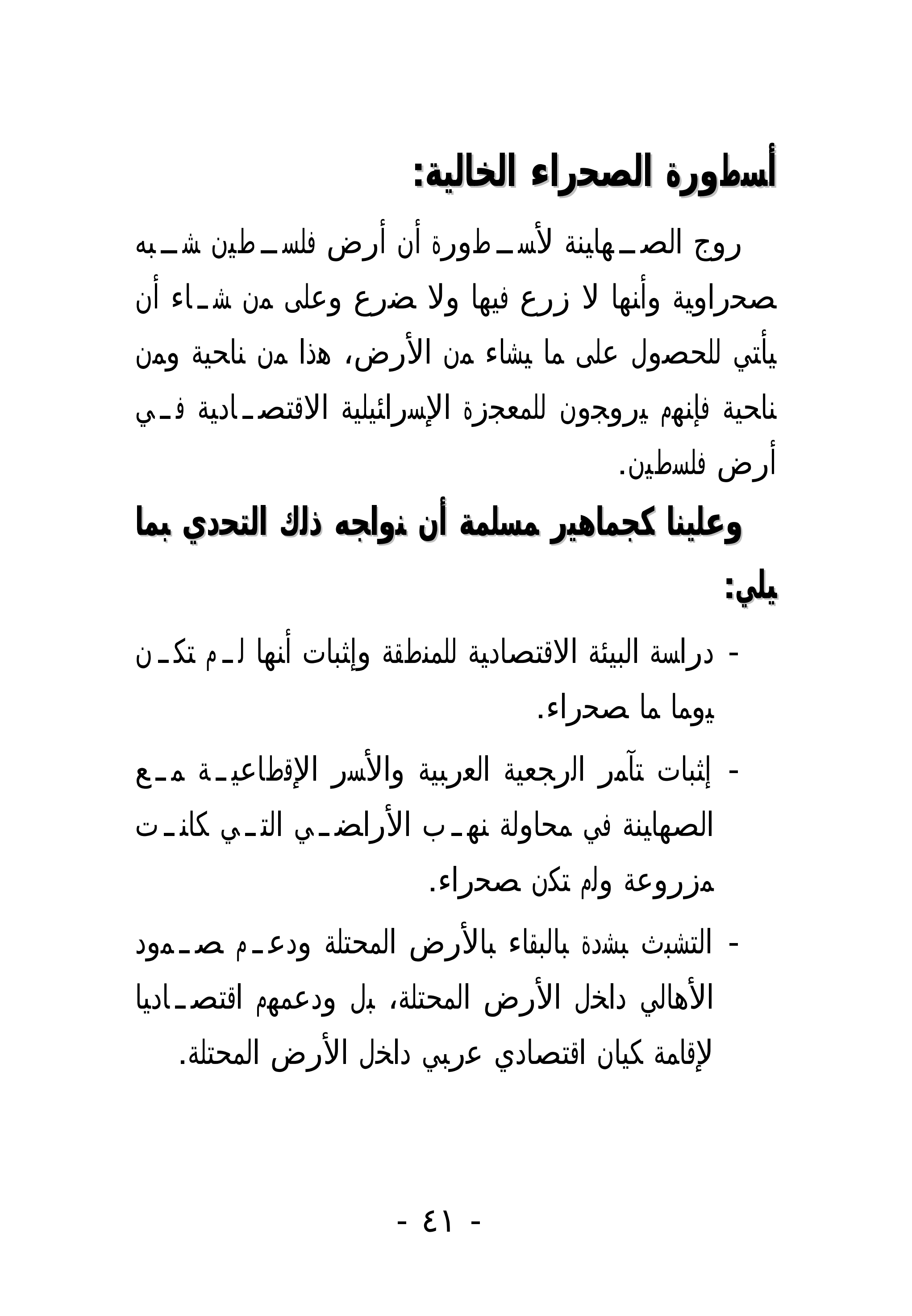
وهذه العنصرية تقوم أيضا على أساس توراتي وتسـتمد وجودها من عناصر التوراة التي حرفها اليهود، وهكذا فـإن اليهود هم شعب ا المختار، وبقية العالم عبيد لهـم. وهـي فكرة مرفوضة من علم الأنثربولوجي وعلم الآثار ومرفوضة أيضا تاريخيا. ولكن يجب علينا كجماهير مسلمة. أن نطرح في مواجهتها شعار الأممية الإسلامية بمعنى أن نطرح شعار الظاهرة الثقافية في مواجهة الظاهرة العنصـرية والظـاهرة الرسالية المتفتحة على كل المستضعفين في مواجهة القوميـة الدينية الضيقة الأفق.

والإسلام يرفض فكرة العنصـرية والعرقيـة ويطـرح المسلمون أن كل مستضعفي العالم من مسلمين وغير مسلمين في خندق واحد أمام كل القوى الشيطانية حتى لو كان فـيهم مستكبرون يتسمون بأسماء إسلامية. إن جماهير المسـلمين

تطرح رسالة يقوم بها الإسلاميون التي يمكن أن ينتسب إليهم أي شخص بصرف النظر عن جنسه ولونه ويتحـالف مـع الإسلاميين كل المستضعفين ويدافع هذا المعسكر عـن كـل المستضعفين حتى لو كانوا يهودا وهذا يسقط شعار القوميـة العربية في مواجهة القومية اليهودية.

الأسطورة التاريخية:

ووفقا لنصوص التوراة فإن الصـهاينة يحـاولون تلفيـق التاريخ في المنطقة بشكل يجعل لليهود حقـا تاريخيـا فـي فلسطين. وهكذا فإن اليهود يستعملون كل طاقتهم التاريخيـة في حشد قواهم ضد أمتنا وحضارتنا وبالتالي فإن أي طـرح يجابه هذا التحدي يكون غير متكافئ ما لـم يحشـد طاقتنـا التاريخية والحضارية أمامهم وهكذا فـإن علـى الجمـاهير المسلمة أن تتسلح بالوعي التاريخي ابتداء من خيبر واقتحام القدس وتحريرها على يد عمر بن الخطاب لتستطيع مواجهة ذلك التحدي الحضاري.



أسطورة الصحراء الخالية:

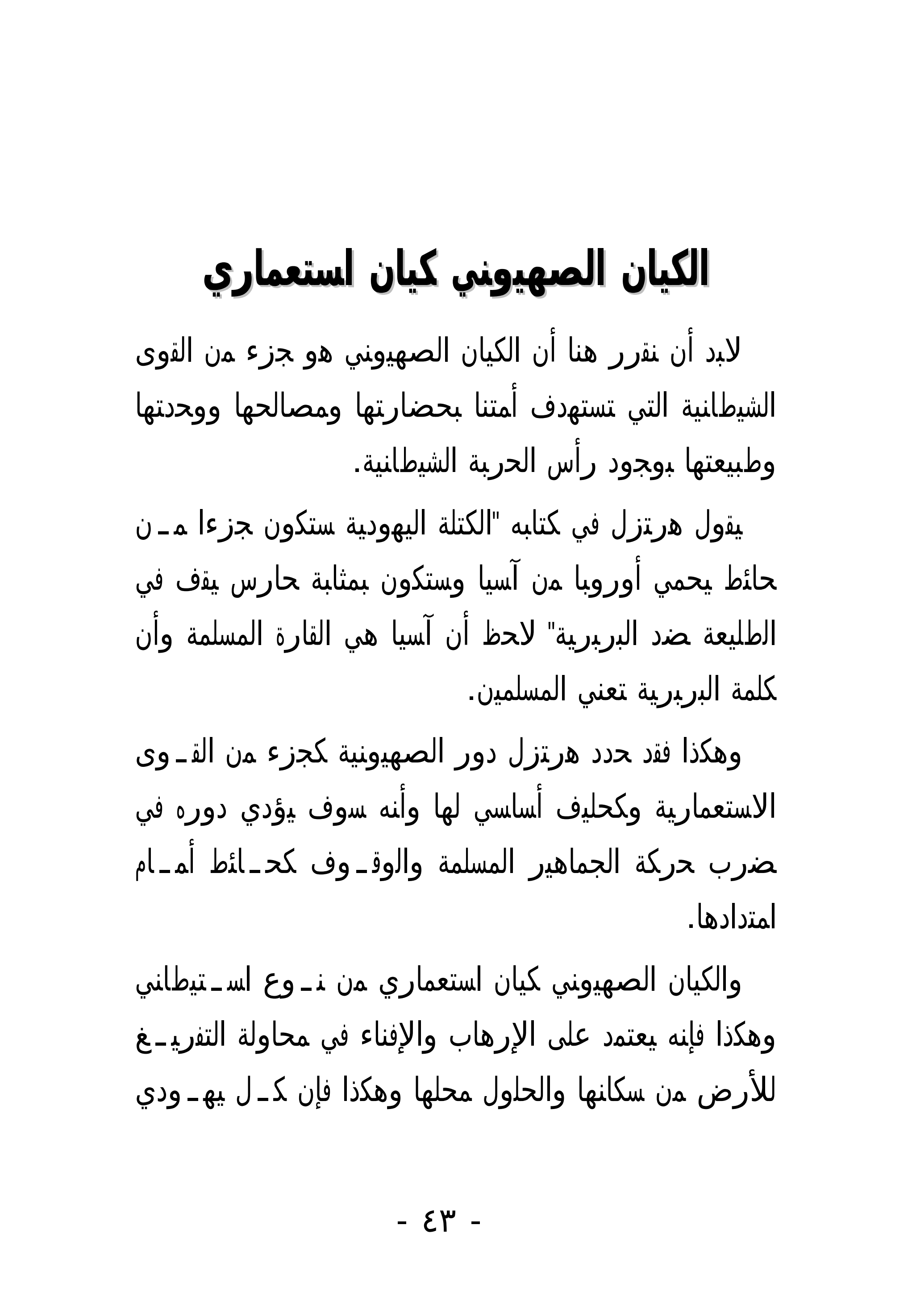
روج الصهاينة لأسطورة أن أرض فلسطين شبه صحراوية وأنها لا زرع فيها ولا ضرع وعلى من شاء أن يأتي للحصول على ما يشاء من الأرض، هذا من ناحية ومن ناحية فإنهم يروجون للمعجزة الإسرائيلية الاقتصادية في أرض فلسطين.

وعلينا كجماهير مسلمة أن نواجه ذلك التحدي بما يلي:

- دراسة البيئة الاقتصادية للمنطقة وإثبات أنها لم تكن يوما ما صحراء.
- إثبات تآمر الرجعية العربية والأسر الإقطاعية مع الصهاينة في محاولة نهب الأراضي التي كانت مزروعة ولم تكن صحراء.
- التشبث بشدة بالبقاء بالأرض المحتلة ودعم صمود الأهالي داخل الأرض المحتلة، بل ودعمهم اقتصاديا لإقامة كيان اقتصادي عربي داخل الأرض المحتلة.

- دعم عملية التصنيع في دول المواجهة وبنـاء حـائط اقتصادي صلب.

*　　*　　*



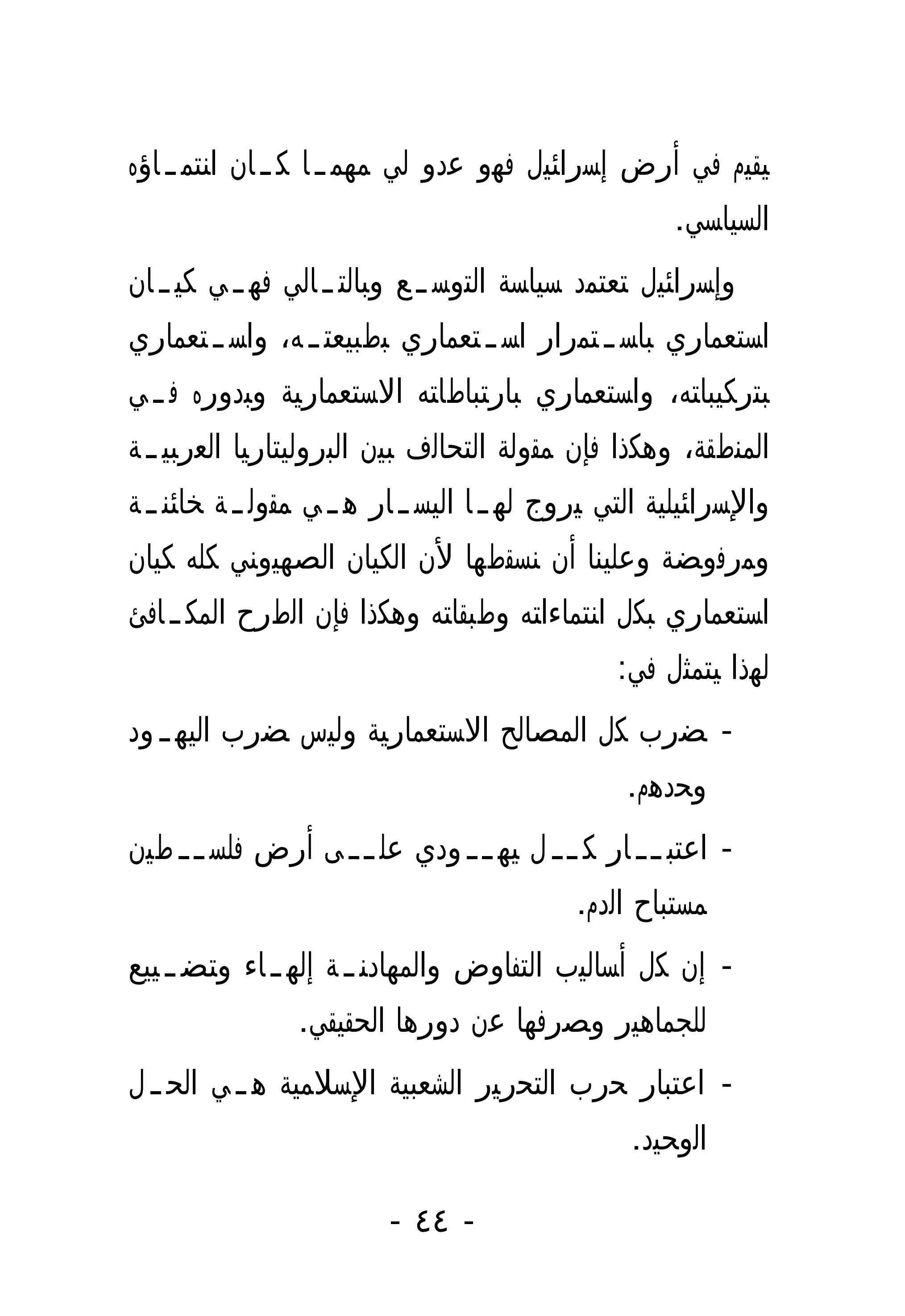
الكيان الصهيوني كيان استعماري

لابد أن نقرر هنا أن الكيان الصهيوني هو جزء من القوى الشيطانية التي تستهدف أمتنا بحضارتها ومصالحها ووحدتها وطبيعتها بوجود رأس الحربة الشيطانية.

يقول هرتزل في كتابه "الكتلة اليهودية ستكون جزءا من حائط يحمي أوروبا من آسيا وستكون بمثابة حارس يقف في الطليعة ضد البربرية" لاحظ أن آسيا هي القارة المسلمة وأن كلمة البربرية تعني المسلمين.

وهكذا فقد حدد هرتزل دور الصهيونية كجزء من القوى الاستعمارية وكحليف أساسي لها وأنه سوف يؤدي دوره في ضرب حركة الجماهير المسلمة والوقوف كحائط أمام امتدادها.

والكيان الصهيوني كيان استعماري من نوع استيطاني وهكذا فإنه يعتمد على الإرهاب والإفناء في محاولة التفريغ للأرض من سكانها والحلول محلها وهكذا فإن كل يهودي



يقيم في أرض إسرائيل فهو عدو لي مهمـا كـان انتمـاؤه السياسي.

وإسرائيل تعتمد سياسة التوسـع وبالتـالي فهـي كيـان استعماري باسـتمرار اسـتعماري بطبيعتـه، واسـتعماري بتركيباته، واستعماري بارتباطاته الاستعمارية وبدوره فـي المنطقة، وهكذا فإن مقولة التحالف بين البروليتاريا العربيـة والإسرائيلية التي يروج لهـا اليسـار هـي مقولـة خائنـة ومرفوضة وعلينا أن نسقطها لأن الكيان الصهيوني كله كيان استعماري بكل انتماءاته وطبقاته وهكذا فإن الطرح المكـافئ لهذا يتمثل في:

- ضرب كل المصالح الاستعمارية وليس ضرب اليهـود وحدهم.
- اعتبـــار كـــل يهـــودي علـــى أرض فلســـطين مستباح الدم.
- إن كل أساليب التفاوض والمهادنـة إلهـاء وتضـييع للجماهير وصرفها عن دورها الحقيقي.
- اعتبار حرب التحرير الشعبية الإسلامية هـي الحـل الوحيد.

الكيان الصهيوني كيان عسكري

تنفق إسرائيل أكثر من ٥٠ % من ميزانيتها على الجيش وبذلك يمكن اعتبار الكيان الصهيوني كيانا توراتيا استعماريا عسكريا وهذا يدعونا لأن نواجهه بأيديولوجية إسلامية وحرب تحرير شعبية وصراع حضاري متكافئ. ودراستنا لطبيعة المؤسسة الإسرائيلية توضح بجلاء عبث الدخول مع الكيان الصهيوني في حرب جيوش ولكن ترك الجماهير المسلمة لتواجه الكيان الصهيوني بحرب طويلة المدى.

الكيان الصهيوني كيان فاشي:

والكيان الصهيوني بتركيبته وطبيعته وتوجهاته، كيان فاشي فالديمقراطية الإسرائيلية ديمقراطية بالنسبة لليهود وليست ديموقراطية بالنسبة لغير اليهود والتحدي المكافئ لهذا هو النضال المستمر لجماهير المسلمين من أجل انتزاع حريتها داخل بلادنا ومزيد من إبراز الوجه الحقيقي للإسلام كرسالة تؤمن بحرية الجماهير ومساواتهم.

بعض الملاحظات الهامة:

قضية العداء للسامية:

- معاداة اليهودية ترجع إلى أصل مسيحي وهي من مخلفات الفكر القسطنطيني الذي ورث تقاليد كهنة المعابد اليهودية وتقاليد الإمبراطورية الرومانية، فبعد أن كانت تلك الكنيسة مستضعفة أصبحت تمارس الاضطهاد بمجرد استيلائها على السلطة وراحت تصب غضبها على كل الأديان الأخرى سواء كانت وثنية أم يهودية ووجدت في اليهودية منافسا خطيرا ينبغي القضاء عليه، واتهمت اليهود بأنهم عندما رفضوا الاعتراف بأن يسوع هو المسيح فقد أصبحوا في عداد "قتلة الرب" – من كتاب برنا ولازار (اللاسامية) نشر عام ١٨٩٤.

- معادة اليهودية (اللاسامية) فكرة تخدم الصهيونية حيث إن أعداء السامية يريدون التخلص من اليهود ولو على حساب إقامة دولة لهم في أراضي الغير.

- إنه لم يثبت في تاريخنا أي اضطهاد لليهود على يد المسلمين.

- إننا كجماهير مسلمة ترفض العـداء للسـامية ونعلـن تضامننا مع كل مضطهد. وإننا نرفض فكرة اضطهاد اليهود من أساسها، لأن هذا موقف يأباه ديننا الحنيف ولكننا بـنفس القدر نرفض أن ندفع ثمن اضطهاد غيرنا لليهود.

*   *   *

إسرائيل والاستعمار الغربي

علينا أن نفهم أن هناك صراعا جوهريا بين القوى الإسلامية والقوى الشيطانية وأن القوى الشيطانية تمثل في العالم:

- استعمارا غربيا، صليبيا، شيوعيا.
- كيانا صهيونيا.
- وأن هناك تناقضا أيضا بين تلك القوى وبعضها، وبالتالي فعلينا ألا نقع في وهم أن إحدى القوى يعمل لحساب الأخرى، ولكن علينا أن ندرك أن هناك مصالح مشتركة تجمع بينها.

أهمية إسرائيل للاستعمار الغربي:

١- أن الغرب الأوروبي يعرف خطورة مد الجماهير المسلمة عليه وبالتالي فإسرائيل تبرز باستمرار أنها تعتبر بالنسبة لأوروبا الحارس ضد البربرية (البربرية تعني المسلمين).

٢- تقوم إسرائيل بمهمة الشرطي في الشـرق الأوسـط وذلك للحفاظ على المصالح الغربية البترولية التي لم يعد الغرب – الولايات المتحدة – بقادر على أداء هذا الدور.

٣- تصل إلى مراكز الأبحاث الغربية ووزارات الـدفاع معلومات متصلة من إسرائيل بشـأن أنـواع الأداء لمختلف أنواع الأسلحة التي لم تستخدم بعد، وهكـذا يستطيع الجيش الأمريكـي مـثلا تجربـة أسـلحته المتقدمة في جيش إسرائيل، وهكذا فإن مقولة اليمين بأننا نستطيع إقناع أمريكا أو المجتمع الأمريكي بحقنا المشروع هو قول من قبيل التضليل، فقضية أهميـة إسرائيل الاستراتيجية بالنسبة للاسـتعمار الغربـي قضية محسومة.

أن هذا يدفعنا لإسقاط مقولة إن أوراق اللعبة بنسبة ٩٩,٥ % أو أي نسبة مئوية أخرى بيد أمريكا وعلينا أن نـدرك أن علينا أن نعتمد على أنفسنا في مواجهة إسرائيل ومعرفـة أن إسرائيل ليست وحدها في المعركة ولكن الغرب، كل الغرب ضدنا ووفقا لمصالحه وهكذا فإن دراسـة بنيـان وطبيعـة

وتوجهات الكيان الصهيوني لمواجهة التحدي بتحد مكـافئ، أبرز:

- أن الحرب حرب حضارة ضد حضارة.
- حرب انتماء.
- أنه ما لم نتسلح بأيديولوجيتنا الإسلامية فلا فائدة.
- أن حرب التحرير الشعبية الإسلامية طويلة المدى هي الحل الوحيد.
- أن الحروب النظامية بالنسبة لنا خسارة مؤكدة.

وهكذا فإن التحدي يبرز شعار:

"أيديولوجية إسلامية وحرب تحرير شعبية"..

وهي نفس المقولة التي يفرزها إسلامنا وقيمنـا وواجبنـا تجاه ربنا فليس هذا هو واجبنا تجاه ا فحسب ولكن جـزء من طبيعة رسالتنا كما أنه هو التحدي الوحيد المكافئ للتحدي الصهيوني كما سبق أن بينا.

* * *

الباب الثالث

الفصل الأول

تتبع مراحل الصراع

من الدخول – إلى ٤٨

لقد وافقنا بريطانيا على تسليم فلسطين

خالية من سكانها العرب إلى اليهود في عام ١٩٣٤

ولولا الثورات العربية المتلاحقة لتم إنجاز هذا

في الموعد المحدد..

د. حاييم وايزمان

في مذكراته "التجربة والخطأ"

الصادرة عام ١٩٤٩

إن دراسة تاريخ دخول اليهود إلى فلسـطين والصـراع التاريخي الذي دار على أرضها يعطي للوهلة الأولى النتائج الخطيرة التالية:

- أن جماهير المسلمين الكادحين (فلاحـين – عمـال – فقراء المدن) هم الذين وقفوا بصلابة في وجه الغزوة الصهيونية وتصدروا لها منذ اليوم الأول.. وتحـت شعارات إسلامية.
- أن الوجهاء – الإقطاع – البرجوازية. قد نهجوا جميعا منهجا مهادنا (حلول وسط – مفاوضات – وفـود... إلخ) ولم يطرح هؤلاء يوما الكفاح المسلح، بل دائما يعتمدون على وعود الصديقة بريطانيا. كما أنهم لـم يطرحوا الشعارات الإسلامية لمواجهة الغزوة، بـل طرح قطاع كبير منهم العلمانية.

وعلى كل حال فهذا أمر طبيعـي جـدا فالتنـاقض بـين البرجوازية – الوجهاء وكل العلمانيين من جهة والصـهاينة

من جهة ليس إلا تناقضا ثانويـا (هـامش مـن المصـالح المشتركة وهامش من المصالح المتضاربة).

ولكن الجماهير المسلمة الكادحة كانت دائما تملك رؤيـة فطرية لطبيعة ذلك الصراع. فضلا عن أن توجهاتها الحقيقية كانت دوما إسـلامية وبالتـالي فـإن تركيبتهـا الشخصـية ومصالحها الذاتية تقف مباشرة ضد الاحـتلال الصـهيوني. ولا تملك أي قدر من المصالح المشتركة معه.

وهكذا فقد مارست تلك الجماهير المسلمة منـذ أول يـوم خطها الصحيح – أيديولوجية إسلامية – كفاح مسلح.

على أنه ينبغي فهم الصراع من منظور التناقض الرئيسي والأخذ في الاعتبار التناقضات الثانوية. وأن القـوى تتحـدد على النحو التالي:

قوى استعمارية:

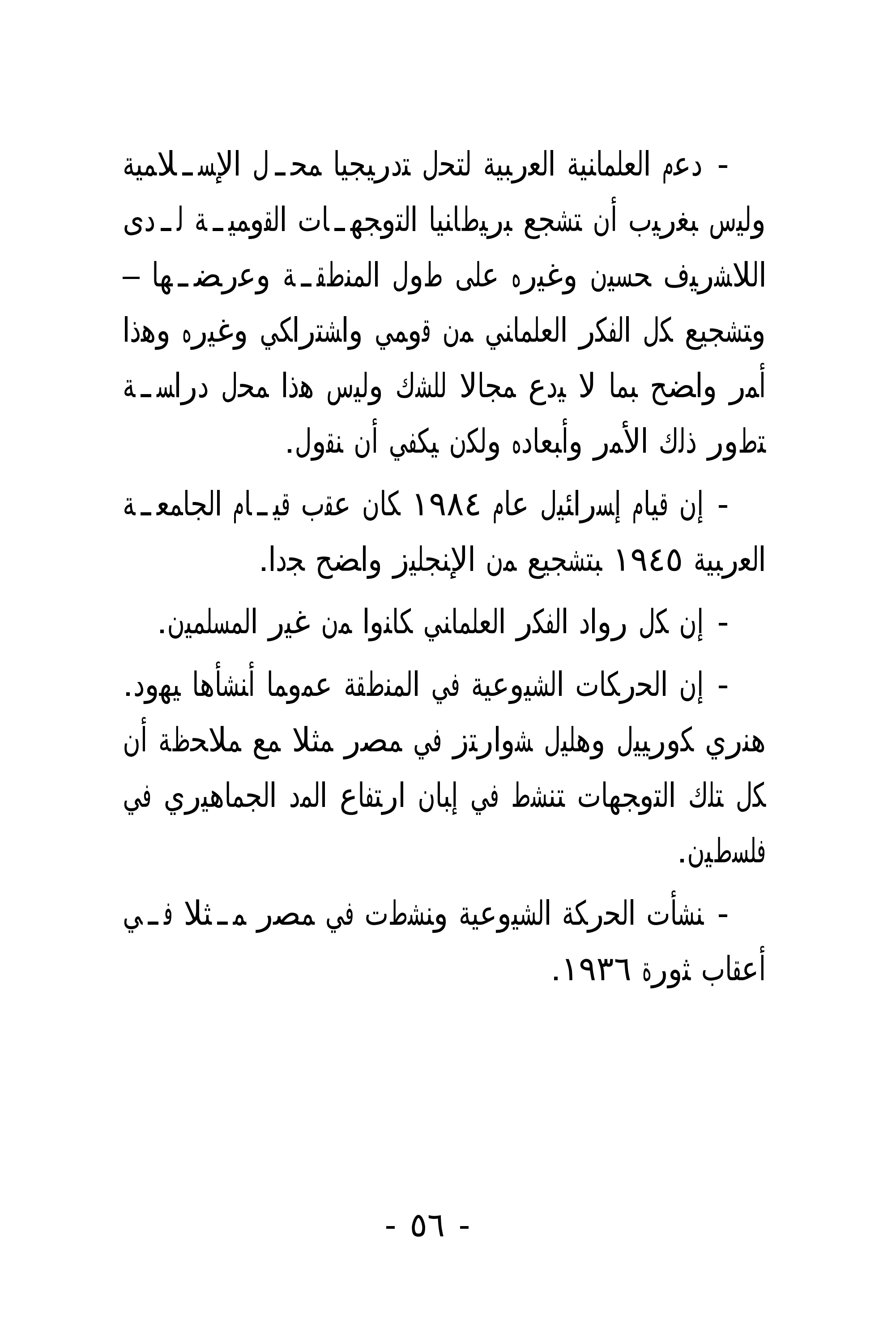
(بريطانيا – الصهاينة) تستهدف إقامة كيان في فلسـطين لليهود. يكون حاجزا ضد البربرية لحماية أوروبا منها كمـا يحدد ذلك هرتزل بنفسه. وهذا يحقق الهدف البريطاني وفـي

ذات الوقت يكون هذا الكيان بمثابة دولة لجميع يهود الشتات الذين عانوا من الاضطهاد طويلا. وهذا يحقق هدف اليهود.

والطرفين اليهود – الإنجليز يستهدفان بهذا الكيان حضارة الأمة بأسرها – وتدمير التوجه الإسلامي لدى الجماهير بمـا أن الجماهير هي الحائط الأخير والصلب والذي لم ينهر يوما ولن ينهار بإذن ا فـي مواجهـة المحـاولات الشـيطانية الصليبية واليهودية لتدمير الإسلام.

ويكمن التكتيك الشيطاني (يهود – إنجليز) في دفع ظروف الصراع باستمرار في اتجاه تغييب الجماهير المسـلمة عـن أداء دورها بما أنها تدرك عدم جدوى مواجهتها وذلك عبر:

- طمس معالم التناقض الجوهري وتصوير المسألة على أنها ليست صراع بين جماهير المسلمين وبين الاستعمار كله واليهود ولكن على أنه صراع بين القوميـة العربيـة مـثلا والقوميـــة اليهوديـــة – والإنجليـــز علـــى الحيـــاد. أو على أنه صراع بين الوجهاء – الإقطـاع – البرجوازيـة والعلمانية وبين اليهود، وأن الجماهير ليست مستهدفة. أي في النهاية دفع التناقضات الثانوية لتحل محل التناقض الجوهري.



- دعم العلمانية العربية لتحل تدريجيا محـل الإسـلامية وليس بغريب أن تشجع بريطانيا التوجهـات القوميـة لـدى اللاشريف حسين وغيره على طول المنطقـة وعرضـها – وتشجيع كل الفكر العلماني من قومي واشتراكي وغيره وهذا أمر واضح بما لا يدع مجالا للشك وليس هذا محل دراسـة تطور ذلك الأمر وأبعاده ولكن يكفي أن نقول.

- إن قيام إسرائيل عام ١٩٨٤ كان عقب قيـام الجامعـة العربية ١٩٤٥ بتشجيع من الإنجليز واضح جدا.

- إن كل رواد الفكر العلماني كانوا من غير المسلمين.

- إن الحركات الشيوعية في المنطقة عموما أنشأها يهود. هنري كورييل وهليل شوارتز في مصر مثلا مع ملاحظة أن كل تلك التوجهات تنشط في إبان ارتفاع المد الجماهيري في فلسطين.

- نشأت الحركة الشيوعية ونشطت في مصر مـثلا فـي أعقاب ثورة ١٩٣٦.

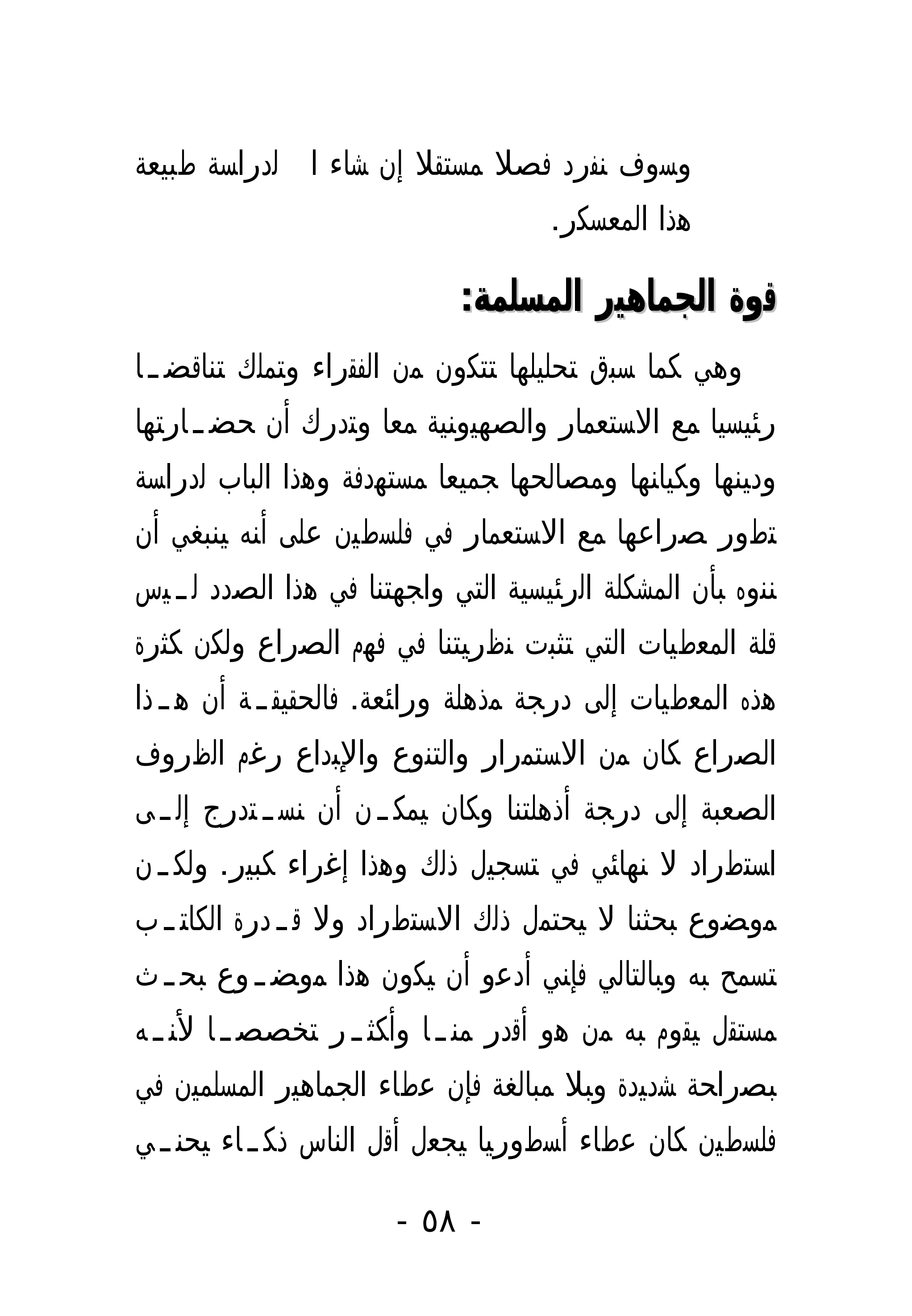
قوى عربية علمانية:

غير إسلامية بالمفهوم الصحيح ويمكنها استخدام الإسـلام أحيانا بشكل رجعـي ومتـآمر لتبريـر خياناتهـا ولخـداع الجماهير. وهذه القوى إما رأسمالية – رأسمالية زراعيـة – برجوازية صغيرة – اشتراكية.. إلخ. وهـذه القـوى تملـك تناقضا مع الجماهير جوهريا أيضا وتملك تناقضا ثانويا مـع الغزوة الاستعمارية الصهيونية وهي في صراعها تتسم بـ:

- عدم قدرتها على مواجهة الغزوة مواجهة علمية وفقـا لطبيعة الغزوة وظروفها وعدم قدرتها على ممارسـة الكفاح المسلح.
- نهج الحلول الوسط التي بها تضمن مصـالحها. فهـي تفاوضية ويمكنها في هذا الإطـار أن تلعـب دوريـن بمسألة التفاوض:

١- أن تستفيد من حركة الجماهير في تحسين ظـروف التفاوض.

٢- أن تستخدم التفاوض ذاته فـي تخـدير الجمـاهير وصرف انتباهها وتدمير حركتها وتحجيمها بالتـالي.



وسوف نفرد فصلا مستقلا إن شاء ا لدراسة طبيعة هذا المعسكر.

قوة الجماهير المسلمة:

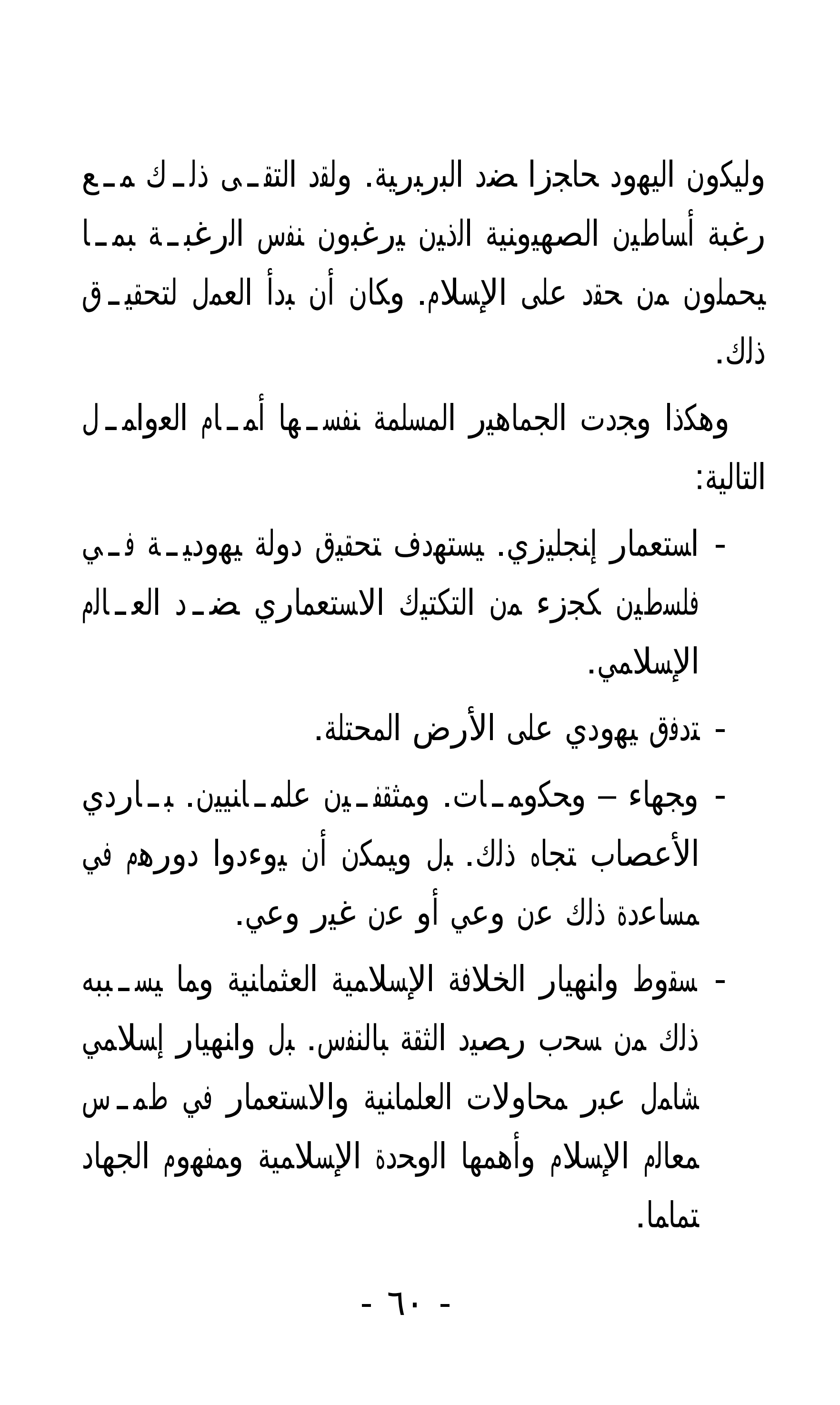
وهي كما سبق تحليلها تتكون من الفقراء وتملك تناقضـا رئيسيا مع الاستعمار والصهيونية معا وتدرك أن حضـارتها ودينها وكيانها ومصالحها جميعا مستهدفة وهذا الباب لدراسة تطور صراعها مع الاستعمار في فلسطين على أنه ينبغي أن ننوه بأن المشكلة الرئيسية التي واجهتنا في هذا الصدد لـيس قلة المعطيات التي تثبت نظريتنا في فهم الصراع ولكن كثرة هذه المعطيات إلى درجة مذهلة ورائعة. فالحقيقـة أن هـذا الصراع كان من الاستمرار والتنوع والإبداع رغم الظروف الصعبة إلى درجة أذهلتنا وكان يمكـن أن نسـتدرج إلـى استطراد لا نهائي في تسجيل ذلك وهذا إغراء كبير. ولكـن موضوع بحثنا لا يحتمل ذلك الاستطراد ولا قـدرة الكاتـب تسمح به وبالتالي فإني أدعو أن يكون هذا موضـوع بحـث مستقل يقوم به من هو أقدر منـا وأكثـر تخصصـا لأنـه بصراحة شديدة وبلا مبالغة فإن عطاء الجماهير المسلمين في فلسطين كان عطاء أسطوريا يجعل أقل الناس ذكـاء يحنـي

جبهته إعجابا لهذا الشعب المسلم البطل. ويجعل أيضا أقـل الناس ذكاء يصل إلى حقيقة أن الجماهير المسلمة هي وحدها التي قاومت وهي وحدها صـاحبة الحـق فـي المصـادمة وبالتالي فإن تغييبها أو تحريكها عن غير طريـق الإسـلام. خيانة كبرى.

وهكذا فإننا سنركز في اقتصار على تتبع ذلك الصـراع وإثبات استمراريته وأصالته وسـنورد رءوس موضـوعات ليس إلا والتي تحتاج كل منها إلى دراسة مستقلة أدعو مـن جهتي كل من هو قادر على القيام بها ألا يتأخر لحظة عـن ذلك. لأن جلاء تلك المسألة يعد الخطوة الرئيسية الأولى في القضاء على إسرائيل.

بداية الغـزوة والظـروف الموضـوعية لعمـل الجماهير المسلمة:

أرى من جهتي أن الغزوة بما أنها جزء من التآمر الـذي لم ينقطع يوما على العالم الإسلامي بدأت بمحاولة استعمارية من أساطين الدهاء الإنجليز باستغلال الحلم اليهودي لإقامـة وزرع كيان صهيوني في قلب الأمة الإسلامية لمنع تطـور حركة المد الإسلامي ولمحاولة القضاء علـى تلـك الأمـة



وليكون اليهود حاجزا ضد البربرية. ولقد التقى ذلك مع رغبة أساطين الصهيونية الذين يرغبون نفس الرغبة بما يحملون من حقد على الإسلام. وكان أن بدأ العمل لتحقيق ذلك.

وهكذا وجدت الجماهير المسلمة نفسها أمام العوامل التالية:

- استعمار إنجليزي. يستهدف تحقيق دولة يهودية في فلسطين كجزء من التكتيك الاستعماري ضد العالم الإسلامي.
- تدفق يهودي على الأرض المحتلة.
- وجهاء – وحكومات. ومثقفين علمانيين. باردي الأعصاب تجاه ذلك. بل ويمكن أن يؤدوا دورهم في مساعدة ذلك عن وعي أو عن غير وعي.
- سقوط وانهيار الخلافة الإسلامية العثمانية وما يسببه ذلك من سحب رصيد الثقة بالنفس. بل وانهيار إسلامي شامل عبر محاولات العلمانية والاستعمار في طمس معالم الإسلام وأهمها الوحدة الإسلامية ومفهوم الجهاد تماما.

- غياب طليعة إسلامية قـادرة علـى قيـادة الجمـاهير وتطوير نظرية سياسية إسلامية ومنظمـات لمواجهـة أعداء شديدي التنظيم.

وبرغم كل هذا كانت الجمـاهير المسـلمة أروع وأكثـر تجاوزا.

الصدام يبدأ:

بوعي إسلامي فذ بـدأت الجمـاهير المسـلمة تصـطدم بالمهاجرين اليهود منذ أول أيامهم على أرض فلسطين. فلقد قام أهالي قرى الخضيرة وبتاح تكفا (ملبس) بالهجوم علـى المهاجرين اليهود الذين حاولوا الاستقرار في فلسطين وقـد حدث هذا عام ١٨٨٦م.

انظر إلى الوعي المبكر لدى الجماهير المسلمة وانظر إلى سلوك الوجهاء والعائلات الإقطاعية.

بداية بيع الأراضي:

رفض الفلاحون الفقراء بيع أرضهم إلـى اليهـود رغـم ديونهم ورغم محاولات الحكومة الإنجليزية بالتضييق عليهم عبر فرض الضرائب ودفع الفلاحين إلى الإفلاس ليضطروا

إلى بيع أرضهم وإصدار قوانين تجيز انتزاعها مـن أجـل أغراض المنفعة العامة التي يحددها الإنجليز بالطبع. وبرغم أن الإنجليز قاموا بإغلاق المصرف العثماني الـذي كثيـرا ما كان يساعد الفلاحين على تسديد ديونهم وبرغم كل تلـك الظروف فإن مسألة بيع الأراضي لم تسجل يوما قيام فـلاح فقير ببيع أرضه إلى اليهود أما الذين باعوا فكانوا كالآتي:

- أسر إقطاعية غائبة عن فلسطين ومعظمها يعيش فـي لبنان مثل سرسق، يكان – توبني – مدور.
- عائلات مسيحية فلسطينية. كسار – روك – خوري – حنا. وهذا يشكل ٩٣ % من مجموع الأراضي التـي بيعت.

الجماهير المسلمة – رجال الـدين الشـرفاء – مثقفـين مسلمين ثوريين يبدءون في التحرك منـذ الغـزوة وعقـدوا الاجتماعات وطالبوا بـ:

- منع هجرة اليهود.
- منع بيع الأراضي.
- فرض حظر على اجتماعات اليهود.

كما قاموا بالتظاهر كوسيلة من وسائل الاحتجاج.

كما قاموا باستعمال الصحافة كسلاح تنوير وكشف لطبيعة الغزوة الصهيونية.

وكسلاح لتعريف الجماهير بأبعادها الدينية والحضارية.

وكسلاح لتعرية وجه بريطانيا القبـيح واتهامهـا بأنهـا مسئولة مسئولية مباشرة عن الاستيطان اليهـودي وبالتـالي فيجب التوجه ضد الإنجليز واليهود معا (الكفار).

وكسلاح أساسي في حشد الجماهير لتكوين منظمات قادرة على التصدي للغزوة.

ولنأخذ على ذلك مثلا واحد يبين مـدى وعـي طليعـة الجماهير بأبعاد الغزوة.

نشرت صحيفة الكرمل "على لسان أصـحاب المنظمـات التي أفرزتها حركة الجماهير" جاء في البيان:

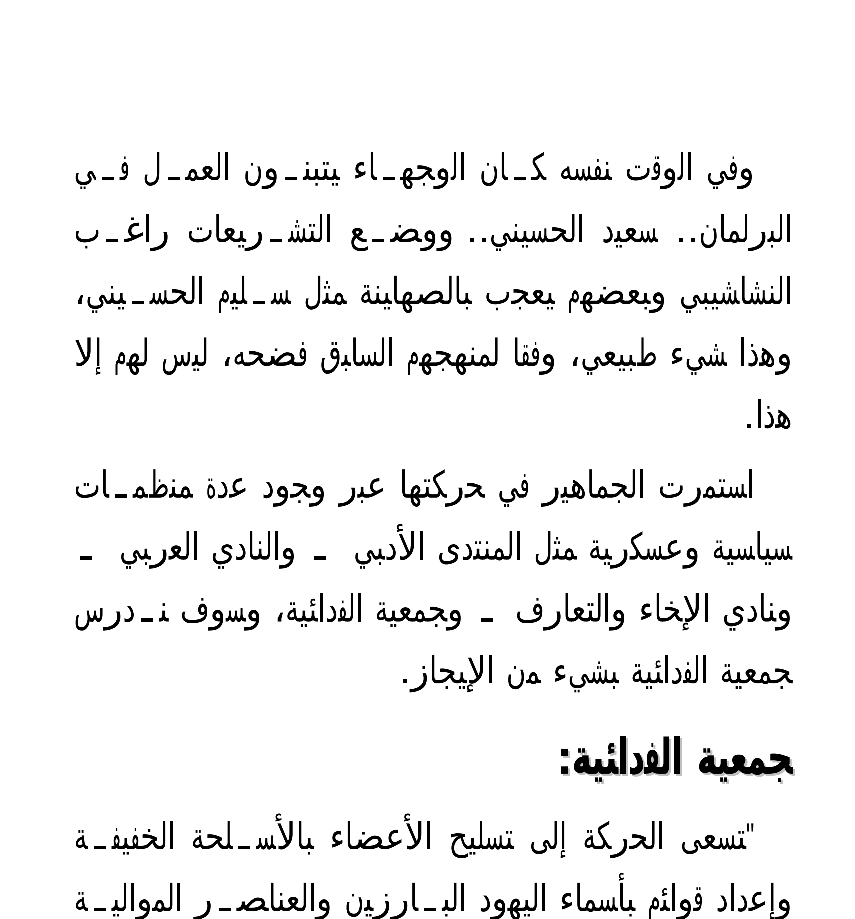
"هل تقبلون أن تصبحوا عبيدا للصـهاينة الـذين جـاءوا لطردكم من بلادكم مدعين أنها بلادهم.. أيرضيكم ذلك أيهـا المسلمون؟.. إننا نؤثر الموت على أن نسمح بأن يحدث ذلك.

ثم حث النداء الشعب على القيام بما يلي:

- توجيه الضغط على الحكومة للعمل على حظـر بيـع الأراضي الأميرية إلى الأجانب.
- محاولة تطوير صناعات ومهن وطنية محليـة.. عـدم التعامل مع الإنجليز واليهود.
- استخدام القوة واجب على الأهالي لمنع بيع الأراضـي وقتل سماسرة بيع الأراضي.
- العمل بكافة الوسائل على وقف الهجرة اليهودية.

انظر إلى حركة الجماهير المسـلمة سـنة ١٩١٣ كيـف أدركت:

- كون الصراع عقائدي.. "أيها المسلمون"..
- كون الصراع ضد الاستعمار الإنجليزي واليهود معا.
- كون الاستعمار الصهيوني ظاهرة عقائدية واستعمارية في نفس الوقت وبالتالي فـإن مواجهتهـا بالمقاطعـة الاقتصادية وبناء حائط اقتصادي في مواجهتها.
- استخدام الكفاح المسلح ليس ضد اليهود وحدهم، ولكن ضد عملائهم وسماسرة الأرض.



وفي الوقت نفسه كان الوجهاء يتبنون العمل في البرلمان.. سعيد الحسيني.. ووضع التشريعات راغب النشاشيبي وبعضهم يعجب بالصهاينة مثل سليم الحسيني، وهذا شيء طبيعي، وفقا لمنهجهم السابق فضحه، ليس لهم إلا هذا.

استمرت الجماهير في حركتها عبر وجود عدة منظمات سياسية وعسكرية مثل المنتدى الأدبي - والنادي العربي - ونادي الإخاء والتعارف - وجمعية الفدائية، وسوف ندرس جمعية الفدائية بشيء من الإيجاز.

جمعية الفدائية:

"تسعى الحركة إلى تسليح الأعضاء بالأسلحة الخفيفة وإعداد قوائم بأسماء اليهود البارزين والعناصر الموالية للصهيونية من غير اليهود مع تسجيل مكان إقامة كل منهم – متابعة ما ينشر ويقال باللغة العبرية بين اليهود".

يتضح من الكلمات السابقة الإعداد للكفاح المسلح والثورة المسلحة وهذا يوضح أن حركة الجماهير المسلمة لم تتوقف

يوما ولم تفقد يوما قدرتها على فهم الواقع وطـرح أسـلوب الكفاح المسلح في مواجهة اليهود.

ولقد وصف وايزمان نفسه نشاطات هذه الجمعية وغيرها في تقرير بتاريخ ٨ شباط سنة ١٩١٥ ويستفاد من التقرير أن أعضاء الجمعيات.

"كانوا يوفدون أحيانا إلى القرى لإثـارة الفلاحـين ضـد اليهود – وتحاول هذه الجمعيات كذلك تنظـيم "الإرهـابيين" والمؤسسات السرية لكي تقوم فيما بعد بحرب عصابات ضد اليهود. وقد انخرط نفر منهم في صفوف رجال البوليس".

انظر إلى ما سبق يتضح لك اسـتمرار خـط الجمـاهير المسلمة وطليعتها الواعية في:

- حشد جماهيري واسع ومعاد لليهـود. إثـارة فلاحـي القرى.
- منظمات عسكرية – إرهابية. حرب عصـابات مـع اليهود. "كفاح مسلح".
- الانخراط في سلك البوليس – التغلغـل إلـى داخـل المؤسسات..

قطعا هذا منتهى الوعي..

* انظر كلمات الأستاذ جودت الحلبي أحد زعمـاء هـذه المنظمة..

"لقد ابتعنا من الأسلحة بقدر ما أردنـا وسـنتلقى المزيـد أيضا. وإن عملنا الرئيسي ينبغي أن يكون ضد اليهود. ولكن إذا ساعدتهم الحكومة فسنكون ضدها أيضا".

انظر كيف وعى السيد جودت الحلبي الارتباط بين السلطة واليهود.

وجاء في تقرير آخر مقـدم إلـى دائـرة الاسـتخبارات الصهيونية..

"دعا السيد محمود عزيز الخالدي إلى":

أن شباب هذا البلد لا يخشون أحدا بما في ذلك الحكومـة الاستبدادية نفسها. إنهم يريدون البدء بالعمل حالا وهم جميعا على استعداد لملاقاة الموت سعداء. وإن معظمهم يسـألونني دائما عن الموعد الذي يشرعون فيه بـالثورة ضـد الكفـار ويظهرون فيه قوتهم ويتخلصون منهم إلى الأبد.

لاحظ:

- الربط بين الاستبداد ومنع الجماهير من مواجهة اليهود.

- لاحظ كلمة الكفار – فهم طبيعة الصراع – أيديولوجية إسلامية – الكفاح المسلح.
- الاستعداد للموت – الاستشهاد.

وهكذا استمر خط أيديولوجيـة إسـلامية – كفـاح فـي التصاعد والنمو ويجدر بنا أن نشير هنا إلى محاولة اغتيـال وايزمان والتي اكتشفت قبل وقوعها.

ولعل هذه الحركة قد تركت تراكمات وعي وإضاءة فـي عقول ونفوس الجماهير مما أدى إلى أن أصبح الوضع على وشك الانفجار في أية لحظة. فبدأت المظاهرات في مـارس سنة ١٩٢٠ في القدس وأماكن أخرى بعدها.

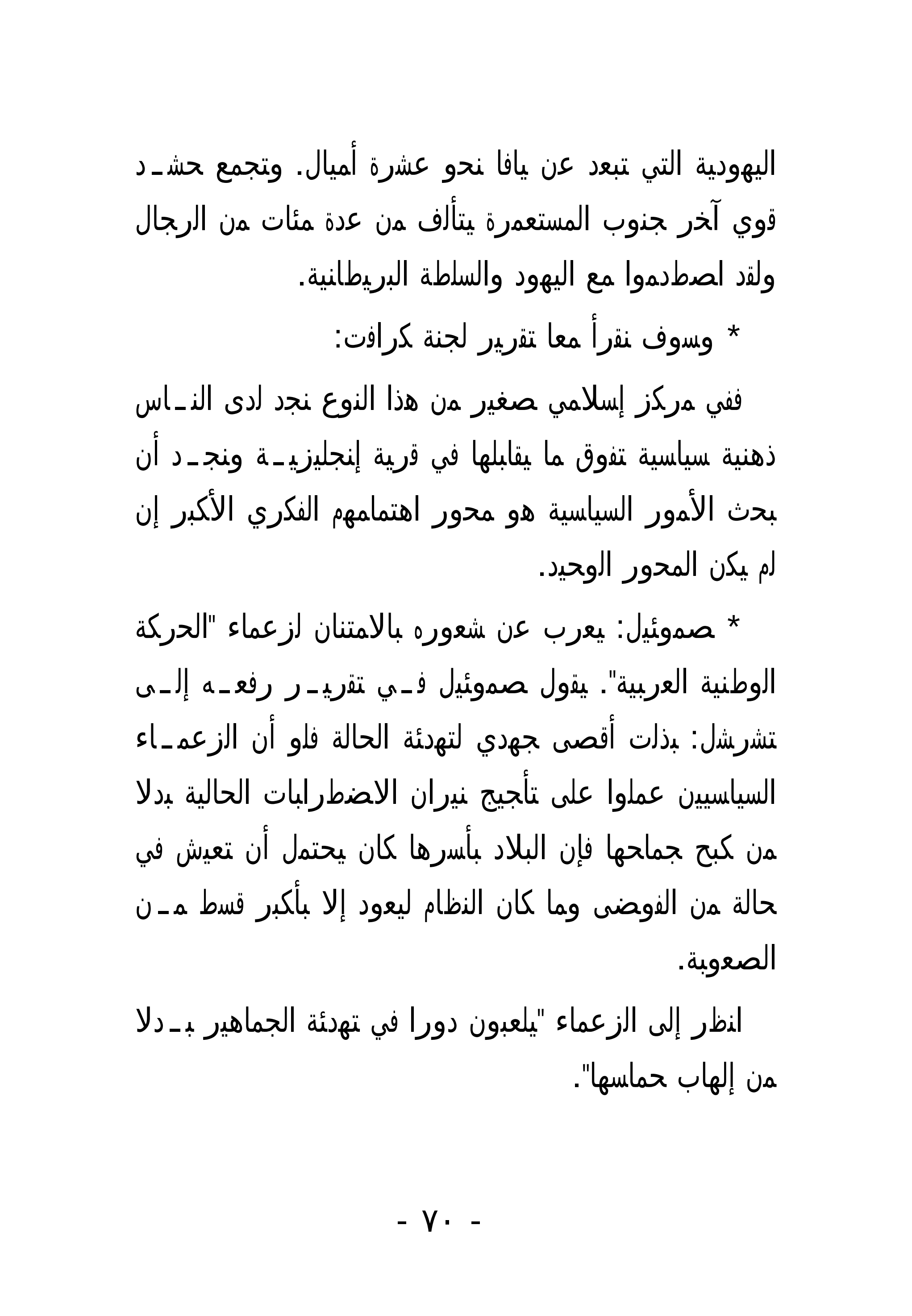
وفي يوم ١ مارس شنت عصابتان مسلحتان هجوما على اثنتين من المستوطنات اليهودية الواقعة قرب الحدود السورية وهي المطلة وتل حي وقد قتل في هذين الهجومين الكـابتن جوزيف ترامبلدور وهو عسكري صهيوني بارز وستة يهود آخرون".

ثورة العشرين:

وفقا للمناخ السابق ونتيجة لاستمرار حركـة الجمـاهير المسلمة كان من الطبيعي أن تستفيد قيادات الجماهير المسلمة من الأعياد الإسلامية التي تشكل زخما كبيـرا فـي نفـس الجماهير، فكان أن بدأت مظاهرة ضخمة جدا ثم ما لبثت أن تحولت إلى هجوم على اليهود بالحجـارة. واشـتباك معهـم وظلت أعمال العنف طيلة الفترة الواقعة بين الرابع من نيسان والعاشر منه على الرغم من إعلان الأحكام العرفية.

وبدلا من استثمار تلك الانتفاضة الرائعة في زيادة حجـم الثورة على اليهود والإطاحة بهم مع الإنجليز قـام الوجهـاء بمغازلة السلطة البريطانية ولقد طالبت مجلة الكرمل المعبرة عن ذلك الاتجاه بـ "أن الحكومة البريطانية، حكومـة قويـة ومن ثم فمن الصعب علينا أن نحاربها. فلابد لنا إذا مـن أن نجعل ثورتنا تقتصر على محاربة خصومنا".

ولكن حركة الجمـاهير المسـلمة لـم تتوقـف وقامـت المظاهرات في حيفا ثم بعدها في يافا وذلك خلال الأسبوعين الأولين من أيار سنة ١٩٢٠ ففي يوم ٥ آيار تجمـع نحـو ٣٠٠٠ عربي إلى الشمال من المستعمرة ملبس (بتاح تيكفـا)



اليهودية التي تبعد عن يافا نحو عشرة أميال. وتجمع حشـد قوي آخر جنوب المستعمرة يتألف من عدة مئات من الرجال ولقد اصطدموا مع اليهود والسلطة البريطانية.

* وسوف نقرأ معا تقرير لجنة كرافت:

ففي مركز إسلامي صغير من هذا النوع نجد لدى النـاس ذهنية سياسية تفوق ما يقابلها في قرية إنجليزيـة ونجـد أن بحث الأمور السياسية هو محور اهتمامهم الفكري الأكبر إن لم يكن المحور الوحيد.

* صموئيل: يعرب عن شعوره بالامتنان لزعماء "الحركة الوطنية العربية". يقول صموئيل فـي تقريـر رفعـه إلـى تشرشل: بذلت أقصى جهدي لتهدئة الحالة فلو أن الزعمـاء السياسيين عملوا على تأجيج نيران الاضطرابات الحالية بدلا من كبح جماحها فإن البلاد بأسرها كان يحتمل أن تعيش في حالة من الفوضى وما كان النظام ليعود إلا بأكبر قسط مـن الصعوبة.

انظر إلى الزعماء "يلعبون دورا في تهدئة الجماهير بـدلا من إلهاب حماسها".

وهكذا فإن الجماهير المسلمة تنتفض وتثـور، والوجهـاء والبرجوازية العلمانية تجتمع وتنفض لتقـرر اختيـار وفـد فلسطيني عربي لشرح القضية العربية الفلسطينية في أوروبا ولندن" من مقررات المؤتمر الفلسطيني الرابع. مع ملاحظـة أن المؤتمر يوصي بضرورة تجنب جميع الحركـات غيـر المنظمة!!

وهكذا فإن البرجوازية العلمانية لا تخـرج عـن خطهـا التقليدي وهو "التفاوض" كطريق لحل القضية. والبرجوازيـة العلمانية لا تخرج عن هذا الخط أبدا، إلا أنها وأحيانا تحـت دفع الجماهير ربما تتصلب شيئا ما.

الجماهير تقاوم الهجرة بواسطة العنف:

اكتشفت الجماهير أن الوفد الذي ذهب إلى لندن تـاه فـي الحلول الوسط ويمكنه أن يقبل الانتداب البريطاني – وهكـذا اكتشفت الجماهير أنها وحدها القادرة على وضع حد للهجرة وهكذا بدأت الجماهير في تنظيم نفسـها لمقاومـة الهجـرة بالغارات على اليهود.

وعقدت الجماهير الاجتماعات في الخليل والرملة واوبيـة وطولكرم وحددت طريقها في الكفاح المسلح. والأيديولوجية الإسلامية.

ولقد حاول الصهاينة أن يواجهوا هذا بحملة منظمة ضـد المناضلين وذلك بعمل جمعيات شكلية تدعي معارضة اليهود ولكن دون اللجوء إلى العنف.

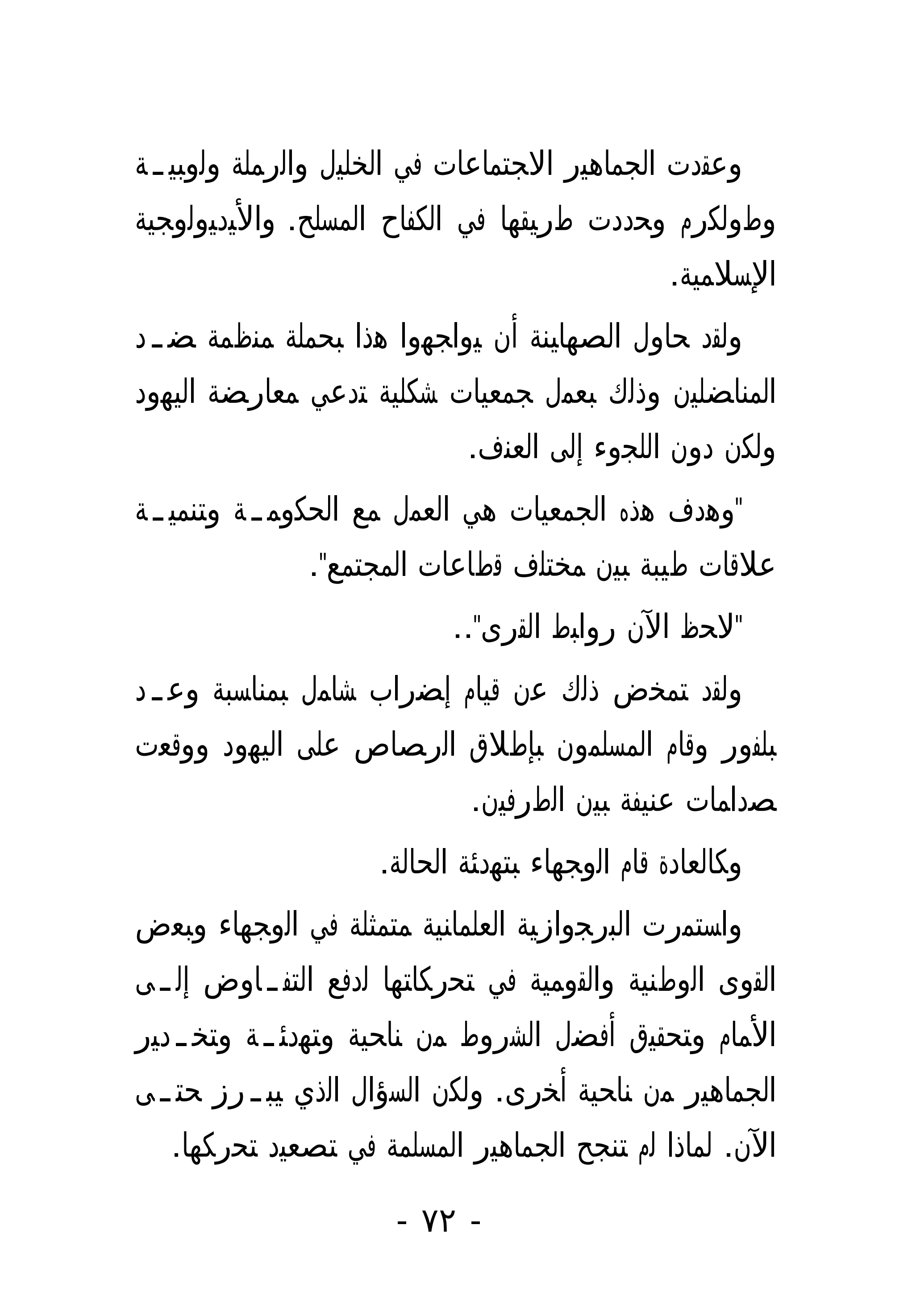
"وهدف هذه الجمعيات هي العمل مع الحكومـة وتنميـة علاقات طيبة بين مختلف قطاعات المجتمع".

"لاحظ الآن روابط القرى"..

ولقد تمخض ذلك عن قيام إضراب شامل بمناسبة وعـد بلفور وقام المسلمون بإطلاق الرصاص على اليهود ووقعت صدامات عنيفة بين الطرفين.

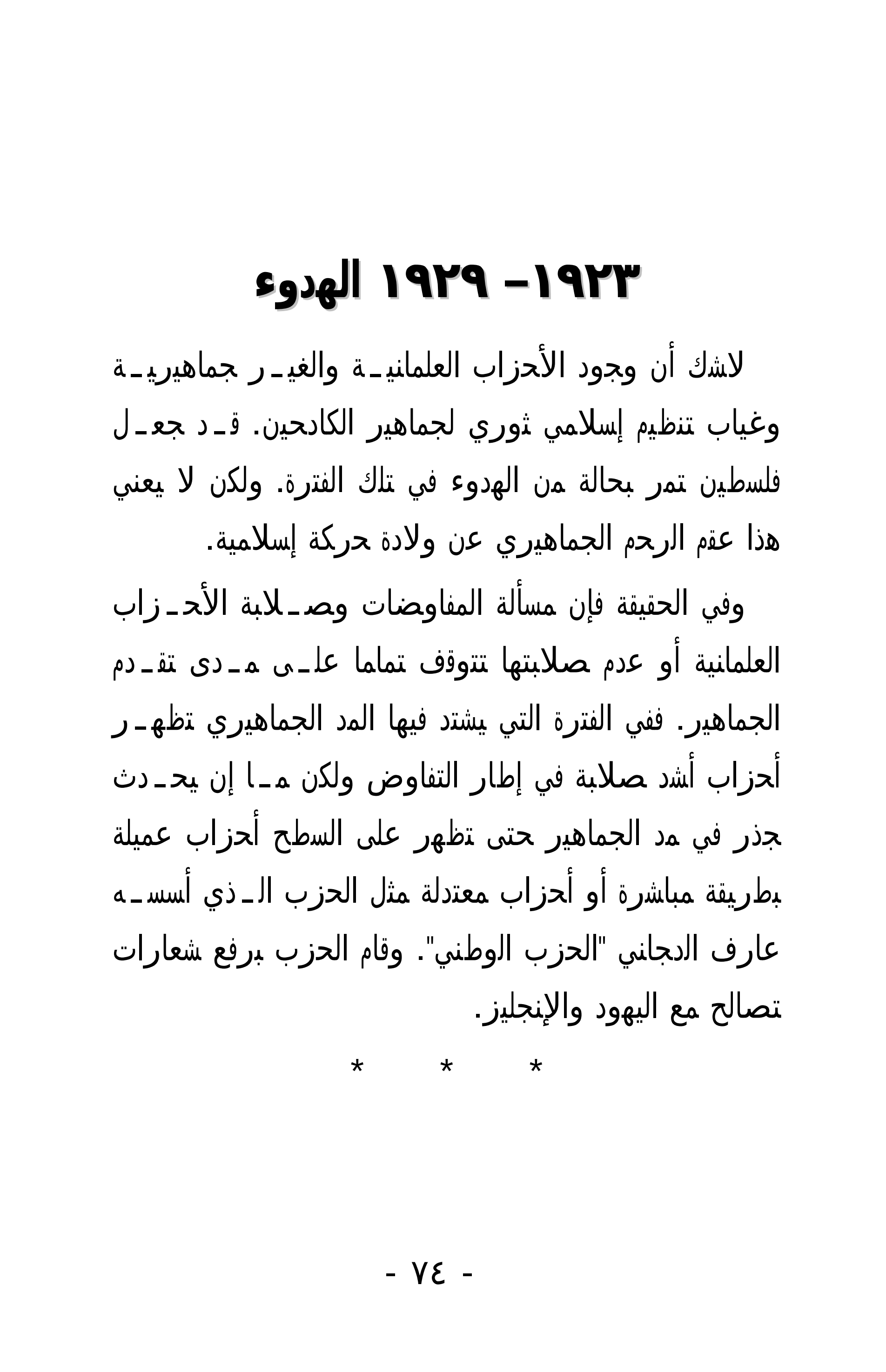
وكالعادة قام الوجهاء بتهدئة الحالة.

واستمرت البرجوازية العلمانية متمثلة في الوجهاء وبعض القوى الوطنية والقومية في تحركاتها لدفع التفـاوض إلـى الأمام وتحقيق أفضل الشروط من ناحية وتهدئـة وتخـدير الجماهير من ناحية أخرى. ولكن السؤال الذي يبـرز حتـى الآن. لماذا لم تنجح الجماهير المسلمة في تصعيد تحركها.



والإجابة على هذا التساؤل تدفعنا لفهم طبيعـة السـقوط الإسلامي عموما في تلك الحقبة. وكذلك عـدم قـدرة تلـك الجماهير حتى هذه اللحظة في إفراز منظمة ثورية تتمثل فيها خصائص تلك الجماهير المسلمة.

*　　*　　*

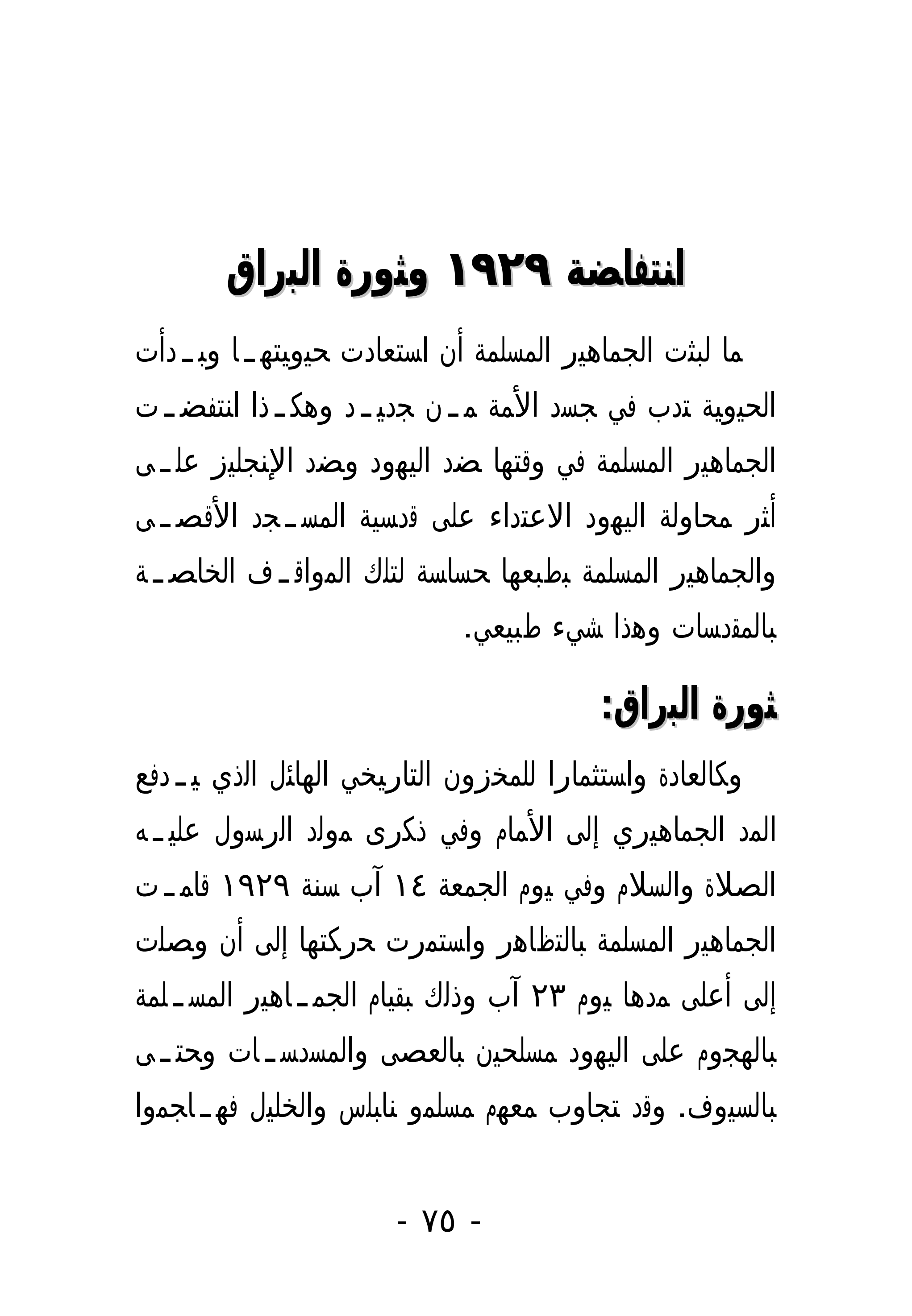


١٩٢٣- ١٩٢٩ الهدوء

لاشك أن وجود الأحزاب العلمانيـة والغيـر جماهيريـة وغياب تنظيم إسلامي ثوري لجماهير الكادحين. قـد جعـل فلسطين تمر بحالة من الهدوء في تلك الفترة. ولكن لا يعني هذا عقم الرحم الجماهيري عن ولادة حركة إسلامية.

وفي الحقيقة فإن مسألة المفاوضات وصـلابة الأحـزاب العلمانية أو عدم صلابتها تتوقف تماما علـى مـدى تقـدم الجماهير. ففي الفترة التي يشتد فيها المد الجماهيري تظهـر أحزاب أشد صلابة في إطار التفاوض ولكن مـا إن يحـدث جذر في مد الجماهير حتى تظهر على السطح أحزاب عميلة بطريقة مباشرة أو أحزاب معتدلة مثل الحزب الـذي أسسـه عارف الدجاني "الحزب الوطني". وقام الحزب برفع شعارات تصالح مع اليهود والإنجليز.

*   *   *

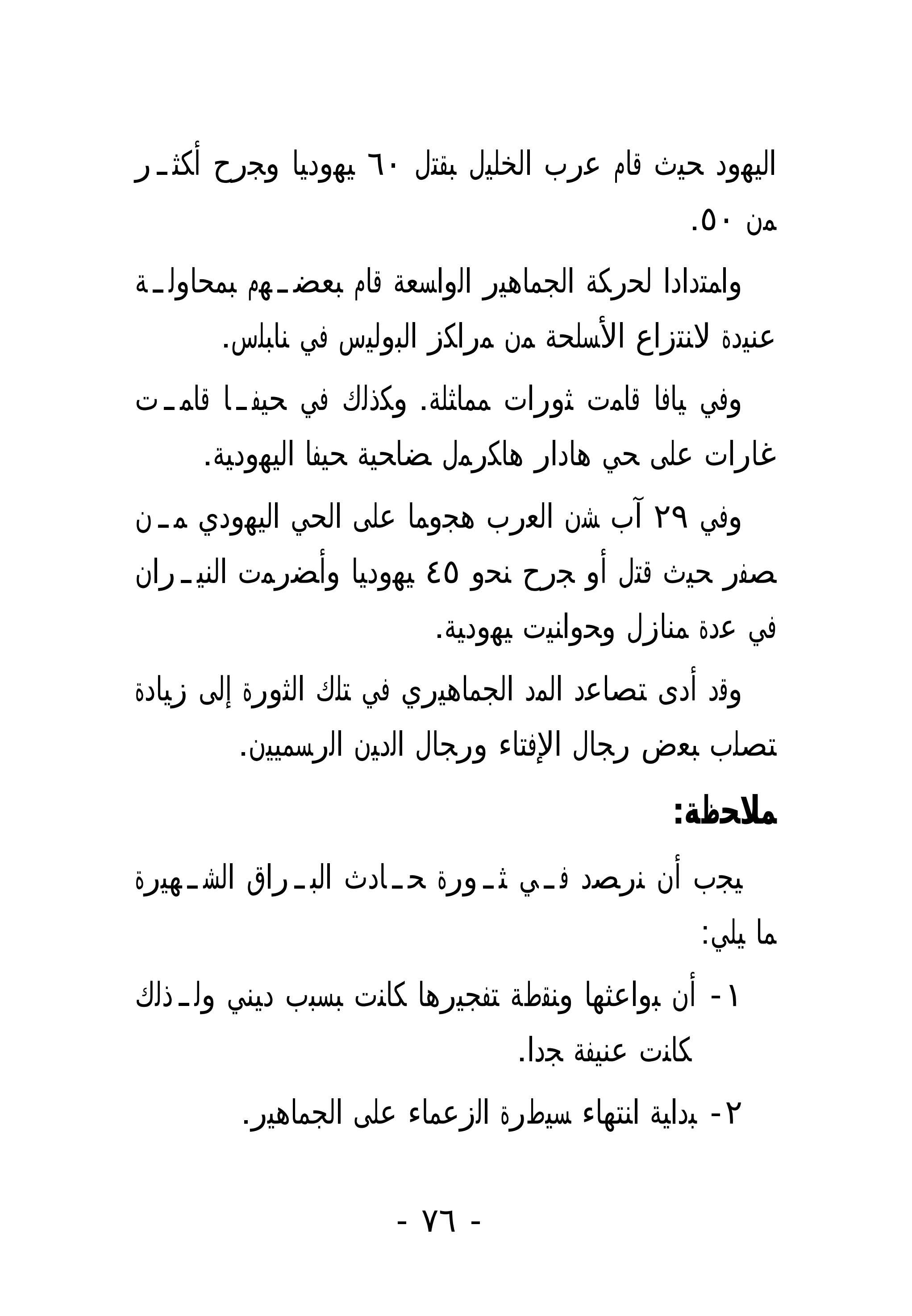


انتفاضة ١٩٢٩ وثورة البراق

ما لبثت الجماهير المسلمة أن استعادت حيويتها وبدأت الحيوية تدب في جسد الأمة من جديد وهكذا انتفضت الجماهير المسلمة في وقتها ضد اليهود وضد الإنجليز على أثر محاولة اليهود الاعتداء على قدسية المسجد الأقصى والجماهير المسلمة بطبعها حساسة لتلك المواقف الخاصة بالمقدسات وهذا شيء طبيعي.

ثورة البراق:

وكالعادة واستثمارا للمخزون التاريخي الهائل الذي يدفع المد الجماهيري إلى الأمام وفي ذكرى مولد الرسول عليه الصلاة والسلام وفي يوم الجمعة ١٤ آب سنة ١٩٢٩ قامت الجماهير المسلمة بالتظاهر واستمرت حركتها إلى أن وصلت إلى أعلى مدها يوم ٢٣ آب وذلك بقيام الجماهير المسلمة بالهجوم على اليهود مسلحين بالعصى والمسدسات وحتى بالسيوف. وقد تجاوب معهم مسلمو نابلس والخليل فهاجموا



اليهود حيث قام عرب الخليل بقتل ٦٠ يهوديا وجرح أكثـر من ٥٠.

وامتدادا لحركة الجماهير الواسعة قام بعضـهم بمحاولـة عنيدة لانتزاع الأسلحة من مراكز البوليس في نابلس.

وفي يافا قامت ثورات مماثلة. وكذلك في حيفـا قامـت غارات على حي هادار هاكرمل ضاحية حيفا اليهودية.

وفي ٢٩ آب شن العرب هجوما على الحي اليهودي مـن صفد حيث قتل أو جرح نحو ٤٥ يهوديا وأضرمت النيـران في عدة منازل وحوانيت يهودية.

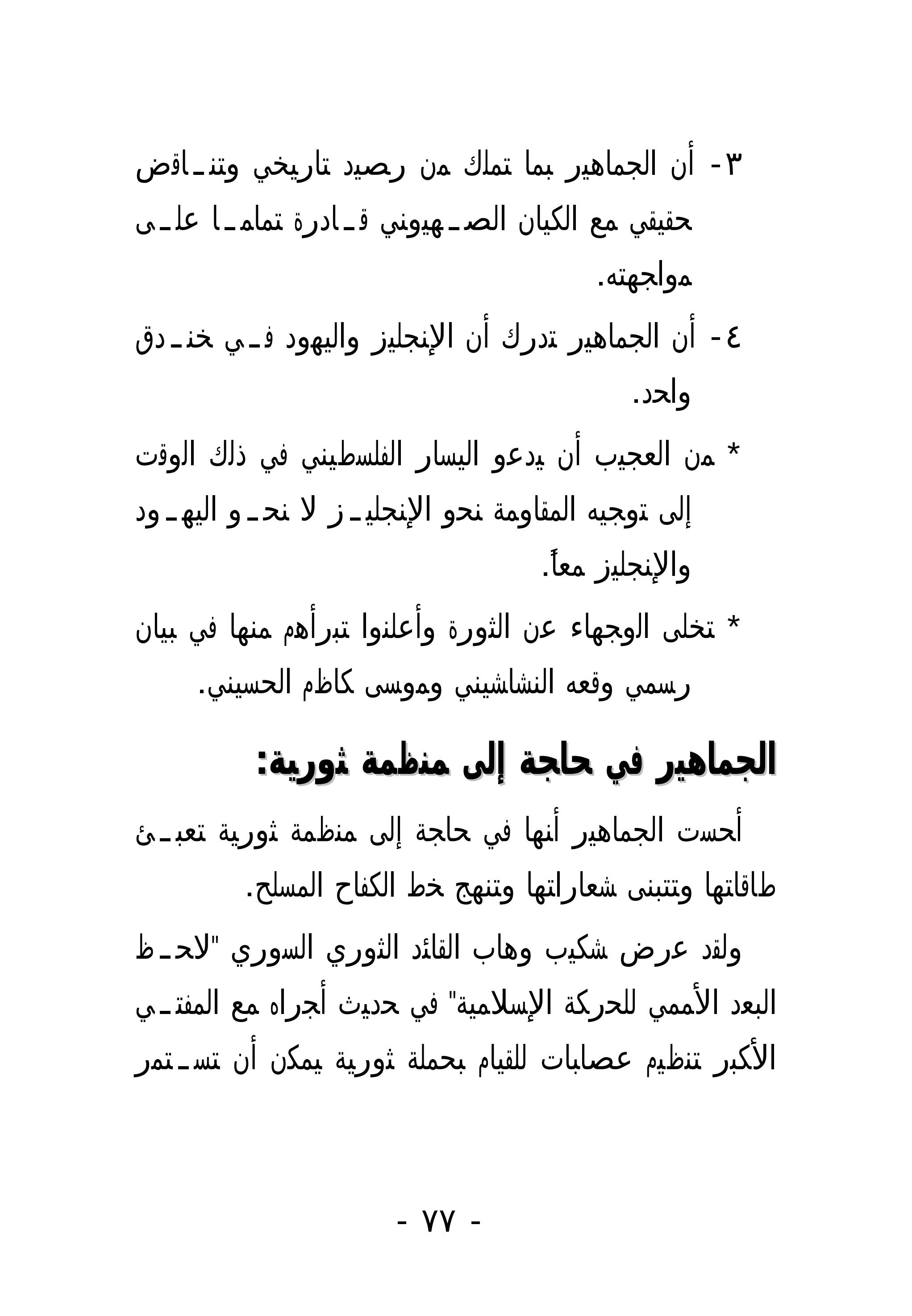
وقد أدى تصاعد المد الجماهيري في تلك الثورة إلى زيادة تصلب بعض رجال الإفتاء ورجال الدين الرسميين.

ملاحظة:

يجب أن نرصد فـي ثـورة حـادث البـراق الشـهيرة ما يلي:

١- أن بواعثها ونقطة تفجيرها كانت بسبب ديني ولـذلك كانت عنيفة جدا.

٢- بداية انتهاء سيطرة الزعماء على الجماهير.



٣- أن الجماهير بما تملك من رصيد تاريخي وتنـاقض حقيقي مع الكيان الصـهيوني قـادرة تمامـا علـى مواجهته.

٤- أن الجماهير تدرك أن الإنجليز واليهود فـي خنـدق واحد.

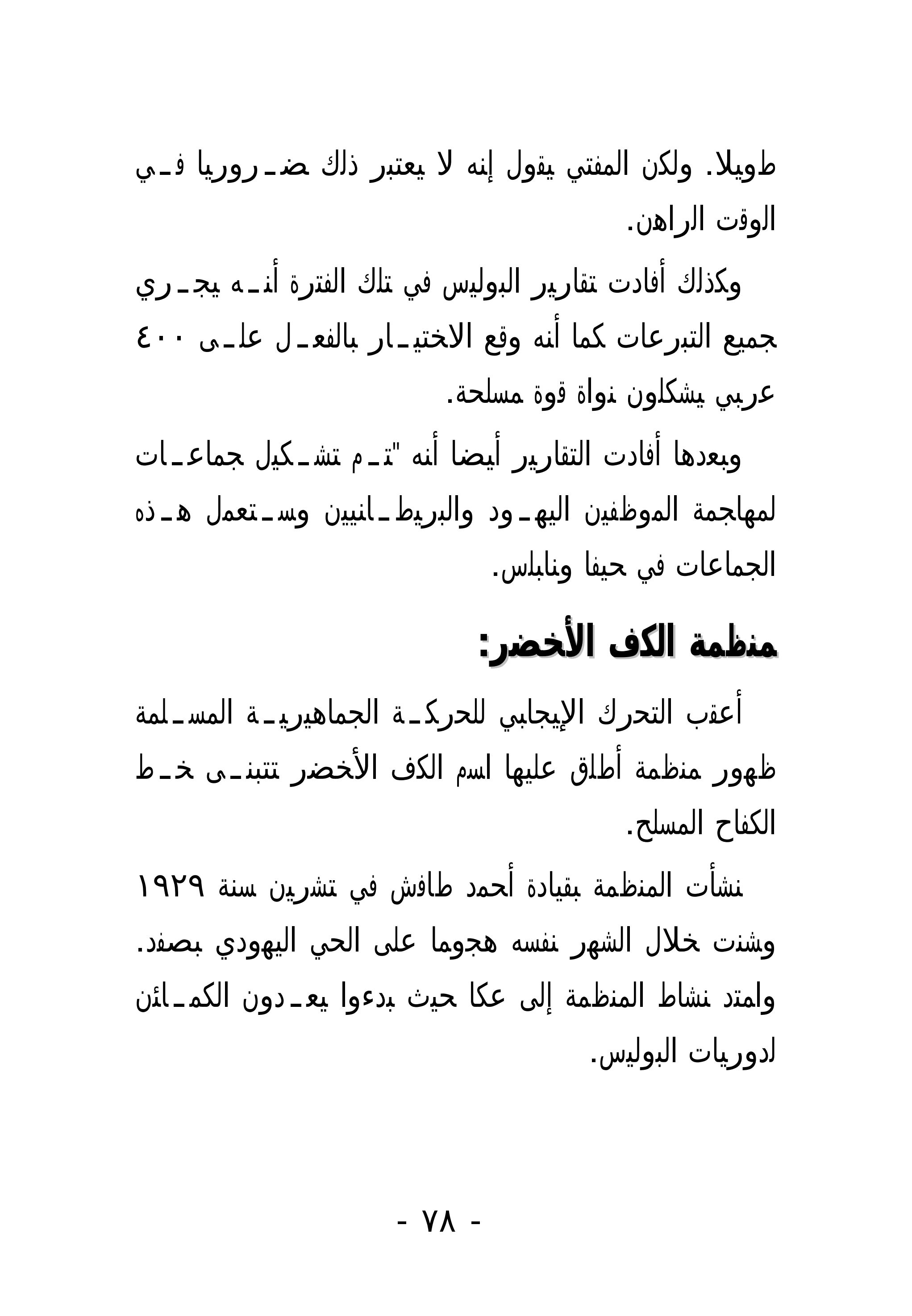
* من العجيب أن يدعو اليسار الفلسطيني في ذلك الوقت إلى توجيه المقاومة نحو الإنجليـز لا نحـو اليهـود والإنجليز معاً.

* تخلى الوجهاء عن الثورة وأعلنوا تبرأهم منها في بيان رسمي وقعه النشاشيني وموسى كاظم الحسيني.

الجماهير في حاجة إلى منظمة ثورية:

أحست الجماهير أنها في حاجة إلى منظمة ثورية تعبـئ طاقاتها وتتبنى شعاراتها وتنهج خط الكفاح المسلح.

ولقد عرض شكيب وهاب القائد الثوري السوري "لاحـظ البعد الأممي للحركة الإسلامية" في حديث أجراه مع المفتـي الأكبر تنظيم عصابات للقيام بحملة ثورية يمكن أن تسـتمر



طويلا. ولكن المفتي يقول إنه لا يعتبر ذلك ضـروريا فـي الوقت الراهن.

وكذلك أفادت تقارير البوليس في تلك الفترة أنـه يجـري جميع التبرعات كما أنه وقع الاختيـار بالفعـل علـى ٤٠٠ عربي يشكلون نواة قوة مسلحة.

وبعدها أفادت التقارير أيضا أنه "تـم تشـكيل جماعـات لمهاجمة الموظفين اليهـود والبريطـانيين وسـتعمل هـذه الجماعات في حيفا ونابلس.

منظمة الكف الأخضر:

أعقب التحرك الإيجابي للحركـة الجماهيريـة المسـلمة ظهور منظمة أطلق عليها اسم الكف الأخضر تتبنـى خـط الكفاح المسلح.

نشأت المنظمة بقيادة أحمد طافش في تشرين سنة ١٩٢٩ وشنت خلال الشهر نفسه هجوما على الحي اليهودي بصفد. وامتد نشاط المنظمة إلى عكا حيث بدءوا يعـدون الكمـائن لدوريات البوليس.

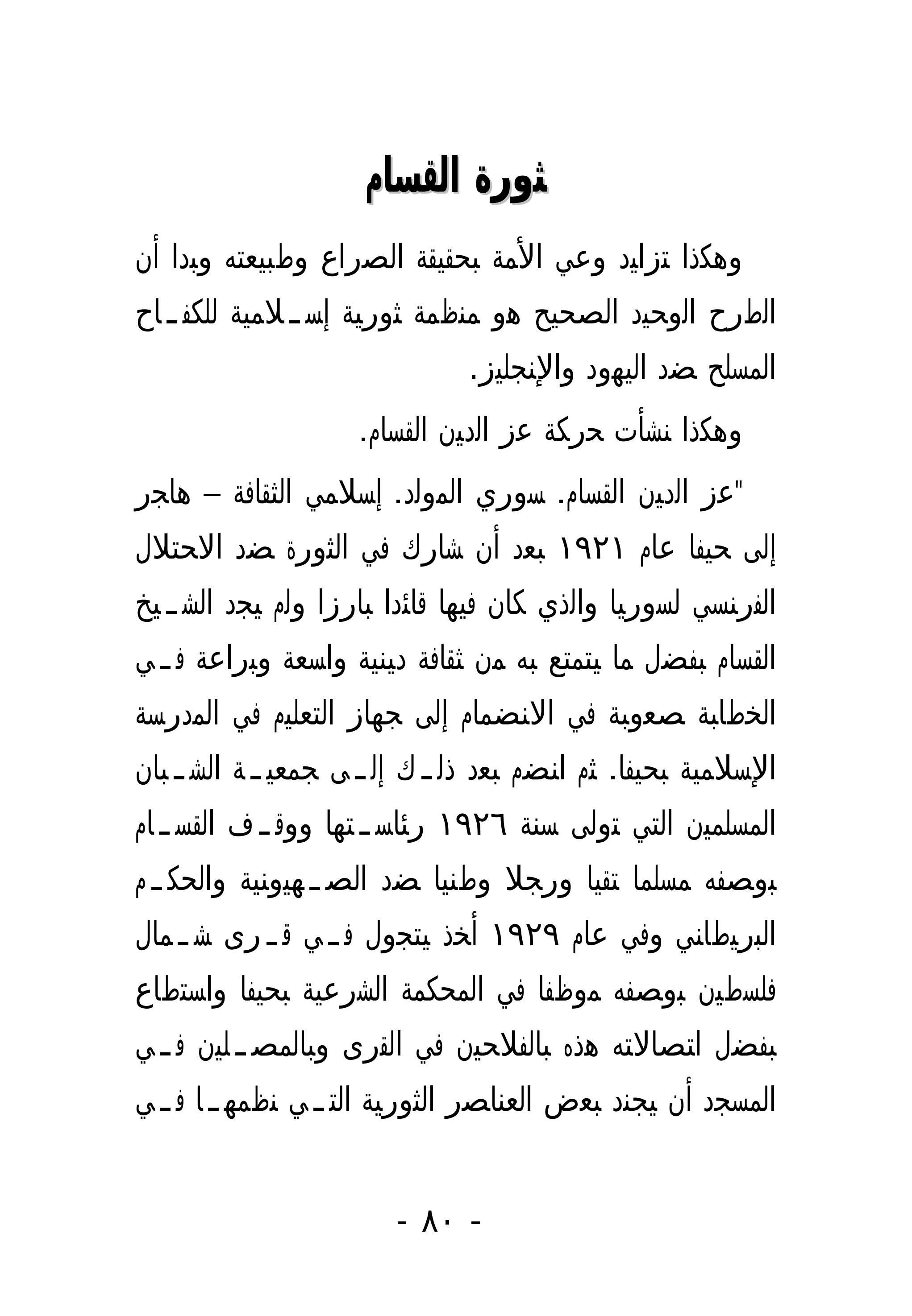
إلا أن تلك المنظمة قد انهارت بسرعة وذلـك بمسـاعدة السلطات الفرنسية في المنطقة الخاضعة للانتداب الفرنسي.

ومازال أيضا الزعماء يتفاوضون فـي لنـدن!! وظهـر الكتاب الأبيض ثم الكتاب الأسود وكلهـا لامتصـاص مـد الجماهير ومنعها من تنظيم نفسها وخلق جو مـن الضـباب حول الأسلوب الصحيح المتمثل فـي أيديولوجيـة إسـلامية وكفاح مسلح.

انتفاضة ١٩٣٣:

حيث إنه لا يمكن لحركة الجماهير المسلمة أن تنهـار أو تتوقف وهكذا عمت فلسطين كلها انتفاضة عنيفة بدأت مـن يافا وامتدت إلى حيفا ونابلس. وصفد والناصرة وطولكرم.

* الوجهاء: أما في عكا فقد استخدم الشيخ الشقيري نفوذه لمنع وقوع مظاهرة كان من المقرر القيام بها.

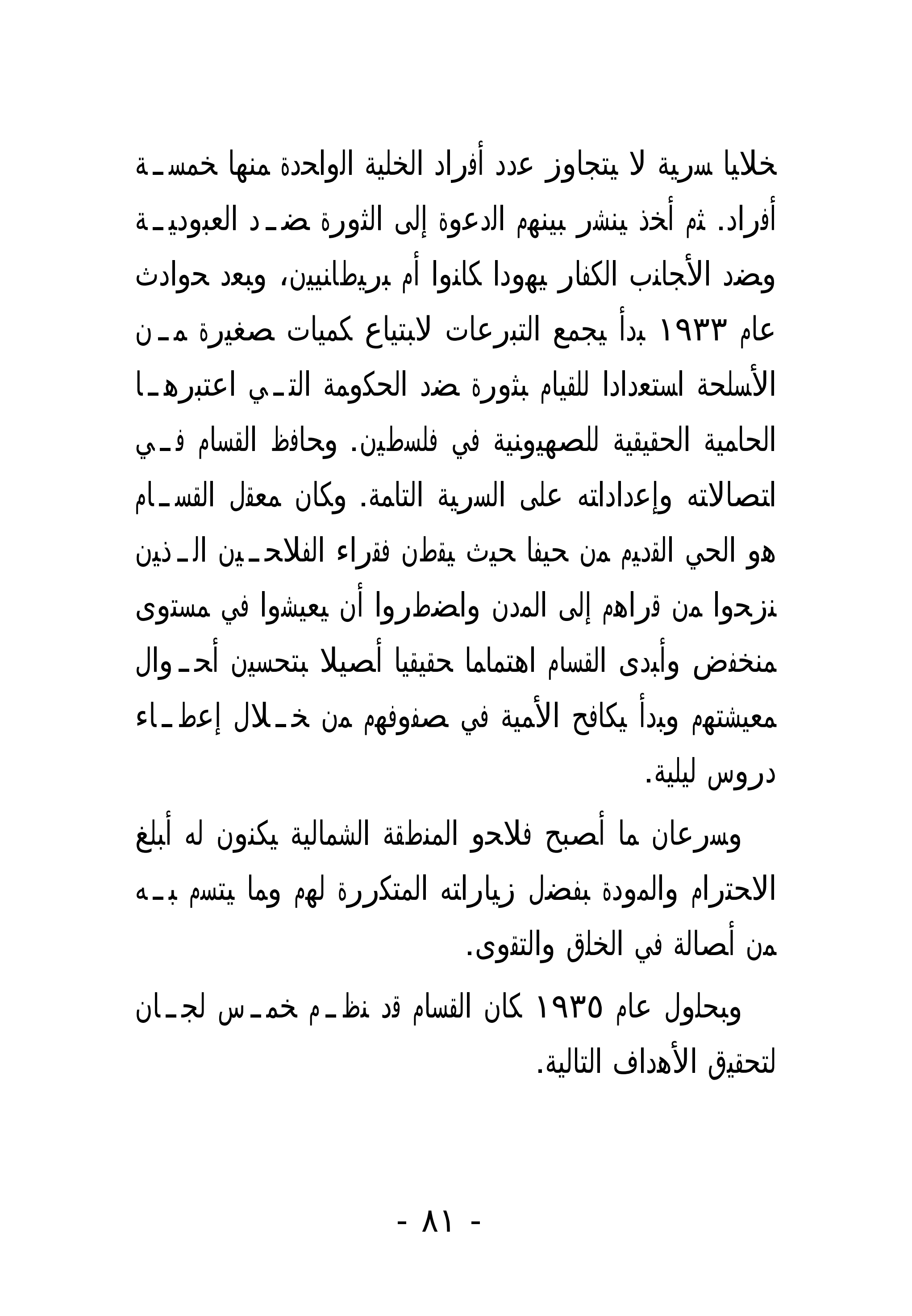


ثورة القسام

وهكذا تزايد وعي الأمة بحقيقة الصراع وطبيعته وبدا أن الطرح الوحيد الصحيح هو منظمة ثورية إسلامية للكفاح المسلح ضد اليهود والإنجليز.

وهكذا نشأت حركة عز الدين القسام.

"عز الدين القسام. سوري المولد. إسلامي الثقافة – هاجر إلى حيفا عام ١٩٢١ بعد أن شارك في الثورة ضد الاحتلال الفرنسي لسوريا والذي كان فيها قائدا بارزا ولم يجد الشيخ القسام بفضل ما يتمتع به من ثقافة دينية واسعة وبراعة في الخطابة صعوبة في الانضمام إلى جهاز التعليم في المدرسة الإسلامية بحيفا. ثم انضم بعد ذلك إلى جمعية الشبان المسلمين التي تولى سنة ١٩٢٦ رئاستها ووقف القسام بوصفه مسلما تقيا ورجلا وطنيا ضد الصهيونية والحكم البريطاني وفي عام ١٩٢٩ أخذ يتجول في قرى شمال فلسطين بوصفه موظفا في المحكمة الشرعية بحيفا واستطاع بفضل اتصالاته هذه بالفلاحين في القرى وبالمصلين في المسجد أن يجند بعض العناصر الثورية التي نظمها في



خلايا سرية لا يتجاوز عدد أفراد الخلية الواحدة منها خمسة أفراد. ثم أخذ ينشر بينهم الدعوة إلى الثورة ضد العبودية وضد الأجانب الكفار يهودا كانوا أم بريطانيين، وبعد حوادث عام ١٩٣٣ بدأ يجمع التبرعات لابتياع كميات صغيرة من الأسلحة استعدادا للقيام بثورة ضد الحكومة التي اعتبرها الحامية الحقيقية للصهيونية في فلسطين. وحافظ القسام في اتصالاته وإعداداته على السرية التامة. وكان معقل القسام هو الحي القديم من حيفا حيث يقطن فقراء الفلاحين الذين نزحوا من قراهم إلى المدن واضطروا أن يعيشوا في مستوى منخفض وأبدى القسام اهتماما حقيقيا أصيلا بتحسين أحوال معيشتهم وبدأ يكافح الأمية في صفوفهم من خلال إعطاء دروس ليلية.

وسرعان ما أصبح فلاحو المنطقة الشمالية يكنون له أبلغ الاحترام والمودة بفضل زياراته المتكررة لهم وما يتسم به من أصالة في الخلق والتقوى.

وبحلول عام ١٩٣٥ كان القسام قد نظم خمس لجان لتحقيق الأهداف التالية.

الـ دعوة، الدعايــة، التـ دريب العســكري، التمـ وين، الاستخبارات، العلاقات الخارجية.

ولقد طلب الشيخ عز الدين القسام من المفتـي أن يعلـ ن الثورة المسلحة في الجنوب في نفس الوقت الذي يعلنها هـ و في الشمال ولكن الحاج أمين فضل أن يحل المشكلة بالشـكل السياسي دون اللجوء لثورة مسلحة!!!

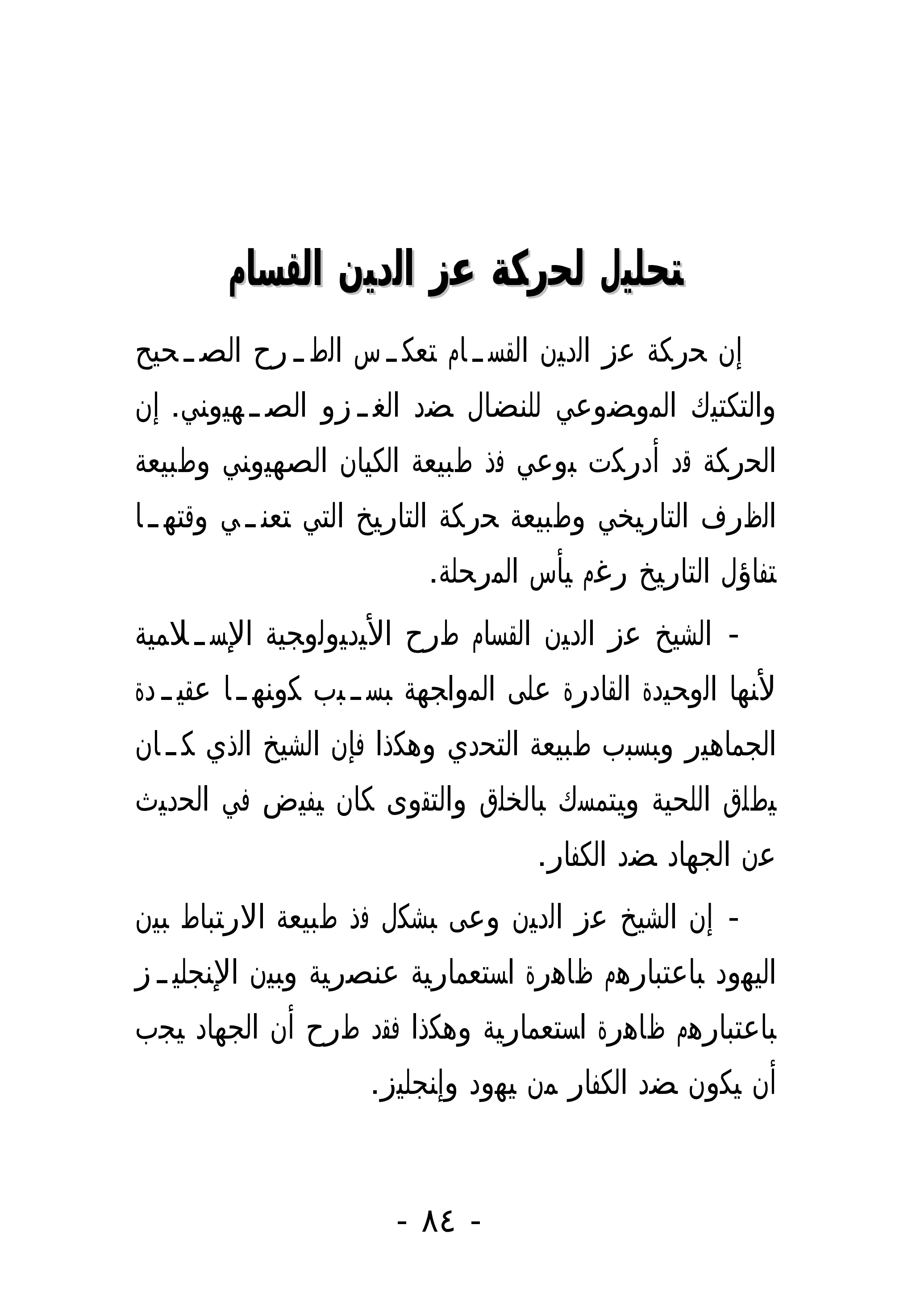
ولكن الشيخ قرر أن يبدأ الثورة في الشمال كرد حسـيني على تخاذل المفتي مدركا أنه حتما سيفشـل ولكنـه سـيخط ويحفر بدمه رافدا أصيلا للتوجه الحقيقي والطريق الصـحيح للتعامل مع الغزو الصهيوني.

وهكذا في سنة ١٩٣٥ بدأت الثورة المسلحة لعـز الـدين القسام ضد البريطانيين واليهود.

غادر القسام يرافقه ٢٥ رجلا من أنصاره المسلمين فـي حيفا في الثامن عشر من تشرين الثاني قاصدا إلى ضـواحي جنين لدعوة الفلاحين في تلك المناطق لحمل السلاح في وجه البريطانيين والصهاينة ولكنهم قبل أن يتمكنـوا مـن تعمـيم دعوتهم ومفاجأة السلطات باحتلال حيفا. وقع صدام عرضي بينهم وبين البوليس نبه السلطات إلى وجود جماعات مسلحة

وسارعت قوات الجيش والبوليس إلى ضرب نطـاق حـول المنطقة وعزلها.

بيد أن القسام، مدفوعا بإيمانه وحماسته وإخلاصه رفـض الاستسلام وحث أتباعه على القتال (كما الحسين) والاستشهاد في سبيل ا . وفي التاسع عشر من تشرين الثـاني خـاض المجاهدون معركة مواجهة مع القوات البريطانية في غابـة "يعبد" بمنطقة جنين استشهد فيها القسام واثنان مـن أتباعـه وأسر خمسة آخرون واختفى الباقون في الجبال.

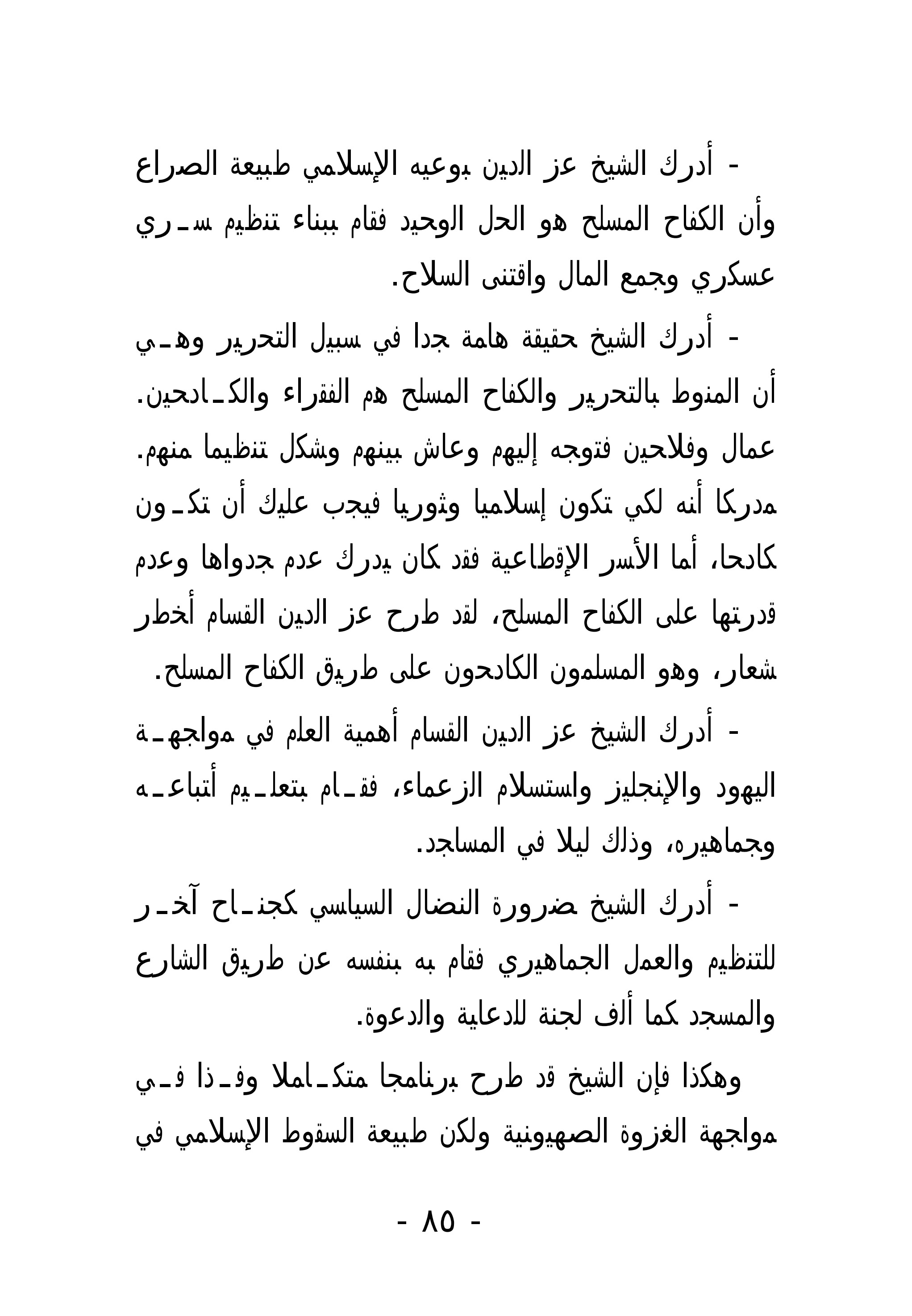


تحليل لحركة عز الدين القسام

إن حركة عز الدين القسـام تعكـس الطـرح الصـحيح والتكتيك الموضوعي للنضال ضد الغـزو الصـهيوني. إن الحركة قد أدركت بوعي فذ طبيعة الكيان الصهيوني وطبيعة الظرف التاريخي وطبيعة حركة التاريخ التي تعنـي وقتهـا تفاؤل التاريخ رغم يأس المرحلة.

- الشيخ عز الدين القسام طرح الأيديولوجية الإسـلامية لأنها الوحيدة القادرة على المواجهة بسـبب كونهـا عقيـدة الجماهير وبسبب طبيعة التحدي وهكذا فإن الشيخ الذي كـان يطلق اللحية ويتمسك بالخلق والتقوى كان يفيض في الحديث عن الجهاد ضد الكفار.

- إن الشيخ عز الدين وعى بشكل فذ طبيعة الارتباط بين اليهود باعتبارهم ظاهرة استعمارية عنصرية وبين الإنجليـز باعتبارهم ظاهرة استعمارية وهكذا فقد طرح أن الجهاد يجب أن يكون ضد الكفار من يهود وإنجليز.



- أدرك الشيخ عز الدين بوعيه الإسلامي طبيعة الصراع وأن الكفاح المسلح هو الحل الوحيد فقام ببناء تنظيم سـري عسكري وجمع المال واقتنى السلاح.

- أدرك الشيخ حقيقة هامة جدا في سبيل التحرير وهـي أن المنوط بالتحرير والكفاح المسلح هم الفقراء والكـادحين. عمال وفلاحين فتوجه إليهم وعاش بينهم وشكل تنظيما منهم. مدركا أنه لكي تكون إسلاميا وثوريا فيجب عليك أن تكـون كادحا، أما الأسر الإقطاعية فقد كان يدرك عدم جدواها وعدم قدرتها على الكفاح المسلح، لقد طرح عز الدين القسام أخطر شعار، وهو المسلمون الكادحون على طريق الكفاح المسلح.

- أدرك الشيخ عز الدين القسام أهمية العلم في مواجهـة اليهود والإنجليز واستسلام الزعماء، فقـام بتعلـيم أتباعـه وجماهيره، وذلك ليلا في المساجد.

- أدرك الشيخ ضرورة النضال السياسي كجنـاح آخـر للتنظيم والعمل الجماهيري فقام به بنفسه عن طريق الشارع والمسجد كما ألف لجنة للدعاية والدعوة.

وهكذا فإن الشيخ قد طرح برنامجا متكـاملا وفـذا فـي مواجهة الغزوة الصهيونية ولكن طبيعة السقوط الإسلامي في

العالم وقتها كان أقوى من أن يواجهه الشيخ فما كان منه إلا أن قرر الاستشهاد على النمط الحسيني ليحفر بدمه في ذاكرة الأمة الأسلوب الصحيح لمواجهة الكيان الصهيوني، وليفجـر رافدا من الوعي والثورية يمكن أن يستمر بعدها.

- أدرك الشيخ عز الدين أن محاولة دفع الوجهـاء إلـى الثورة هو عبث لا طائل تحته بعـد رفـض المفتـي أمـين الحسيني لمطلب القسام بإعلان الثورة في الجنوب وهكذا فقد علمنا القسام أن الفقراء هم الذين يثورون.

*   *   *

ثورة ١٩٣٦

لقد فجر النهج الحسيني الذي اختاره القسام وعيـا هـائلا لدى الجماهير المسلمة وحسم المسألة وحددها في خط الكفاح المسلح ضد اليهود والإنجليز معـا ولقـد حاولـت السـلطة البريطانية امتصاص ذلك الوعي ومحاولة تشتيت الجمـاهير فطرحت قيام مجلس تشريعي وتشكيل وفد مفاوضات.

ولكن الجماهير ما لبثت أن أمسكت بالسلاح وسارت على خط القسام وبدأت الاصطدامات اليومية مع اليهود ولقد ظهر في تلك اللحظة فرحان السعدي. أحد أعوان القسام، وقتـل ٣ يهود كإشارة لاندلاع حرب الجماعات ضد اليهود والإنجليز.

وفي ٢٠ أبريل سنة ١٩٣٦ حـدث قتـال بـين العـرب واليهود أدى إلى قتل ١٢ يهوديا وجرح ٦٥ منهم. وعمـت الإضرابات (القدس – الخليل – حيفا) ومن حيفا بدأت الدعوة للإضراب العام.

ولقد استمر هذا الإضراب العام من أبريل حتى أكتـوبر (ستة أشهر) كما استمر الجهاد المسلح في كل مكان فألقيـت القنابل وأطلق الرصاص واشتعلت الحرائق.

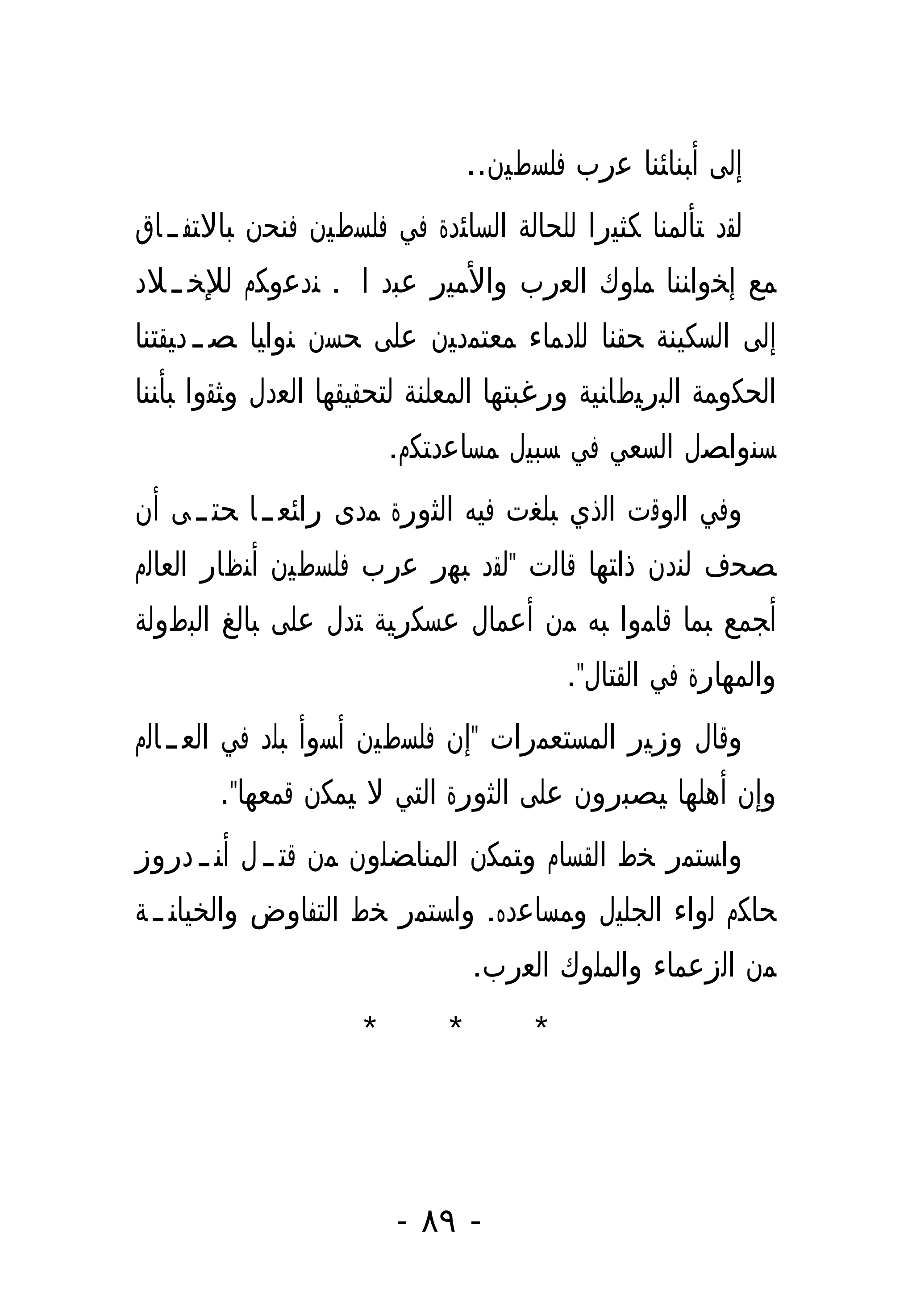
وهكذا نشهد ثورة من أعظم الثـورات الجماهيريـة فـي فلسطين: كفاح مسـلح – إضـراب – امتنـاع عـن دفـع الضرائب – مهاجمة معسكرات الجيش البريطاني والاستيلاء على البنادق والذخيرة.

في ١٢ يونيو ١٩٣٦ نشبت معركة ضخمة بين القـوات الإنجليزية وبين الثوار المسلمين. اشتركت فيهـا الـدبابات والطائرات.

وهكذا فإن الجماهير كانت قد أصبحت على وشك الإطاحة بالاستعمار الإنجليزي واليهود معا. وأصبحت الجماهير تملك الوعي والمنظمات الثورية ولكن وكالعـادة يقـوم الزعمـاء بدورهم التقليدي في إضاعة مكاسب الجماهير والتآمر عليهم.

في أكتوبر سنة ١٩٣٦ أذيـع نـداء بتوقيـع كـل مـن عبد العزيز آل سعود والملك غازي ملك العـراق والأميـر عبد ا   أمير شرق الأردن على النحو التالي:

القدس – بواسطة رئيس اللجنة العربية العليا..



إلى أبنائنا عرب فلسطين..

لقد تألمنا كثيرا للحالة السائدة في فلسطين فنحن بالاتفـاق مع إخواننا ملوك العرب والأمير عبد ا . ندعوكم للإخـلاد إلى السكينة حقنا للدماء معتمدين على حسن نوايا صـديقتنا الحكومة البريطانية ورغبتها المعلنة لتحقيقها العدل وثقوا بأننا سنواصل السعي في سبيل مساعدتكم.

وفي الوقت الذي بلغت فيه الثورة مدى رائعـا حتـى أن صحف لندن ذاتها قالت "لقد بهر عرب فلسطين أنظار العالم أجمع بما قاموا به من أعمال عسكرية تدل على بالغ البطولة والمهارة في القتال".

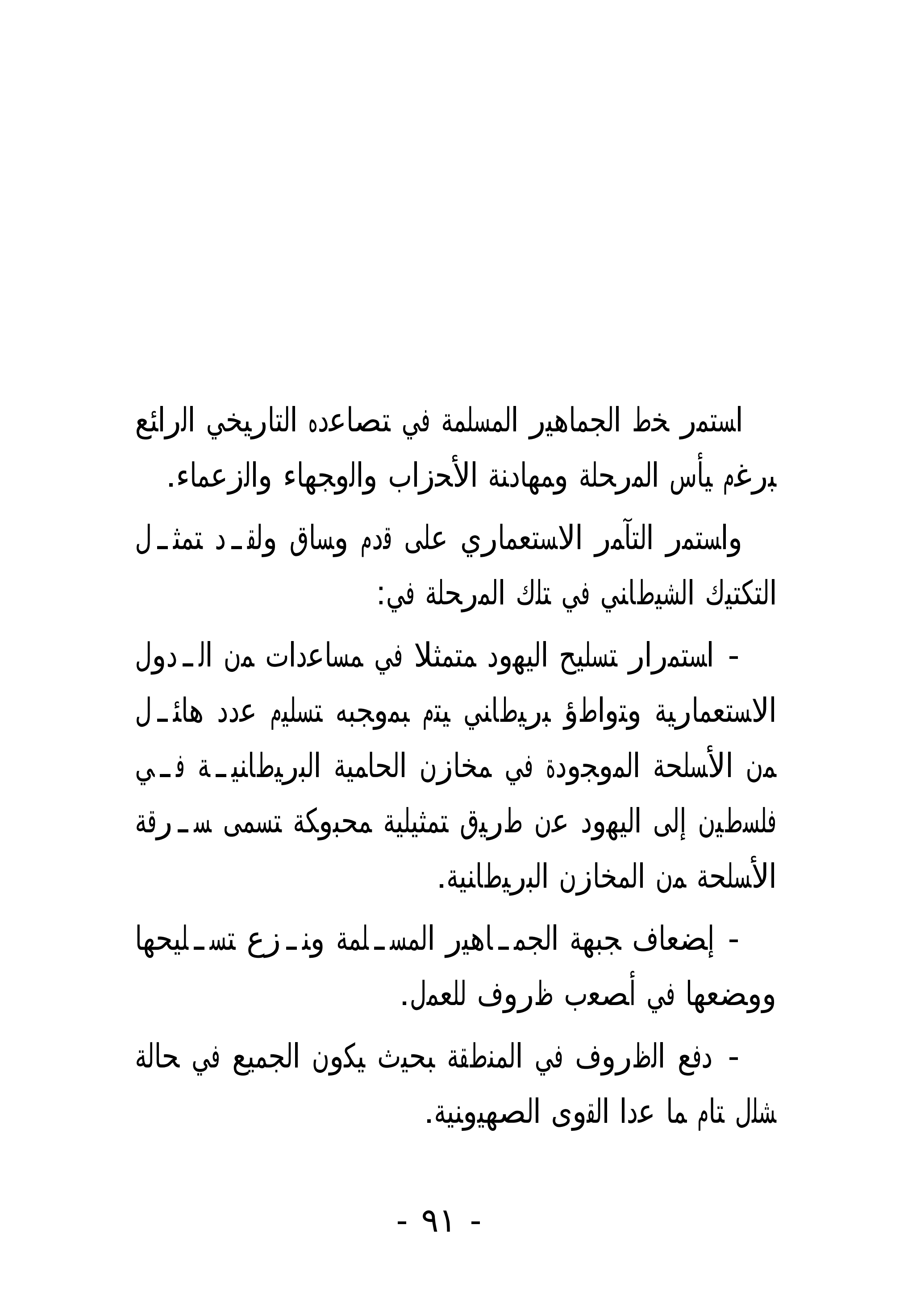
وقال وزير المستعمرات "إن فلسطين أسوأ بلد في العـالم وإن أهلها يصبرون على الثورة التي لا يمكن قمعها".

واستمر خط القسام وتمكن المناضلون من قتـل أنـدروز حاكم لواء الجليل ومساعده. واستمر خط التفاوض والخيانـة من الزعماء والملوك العرب.

*　　*　　*

الفصل الثاني

مرحلة حرب ١٩٤٨



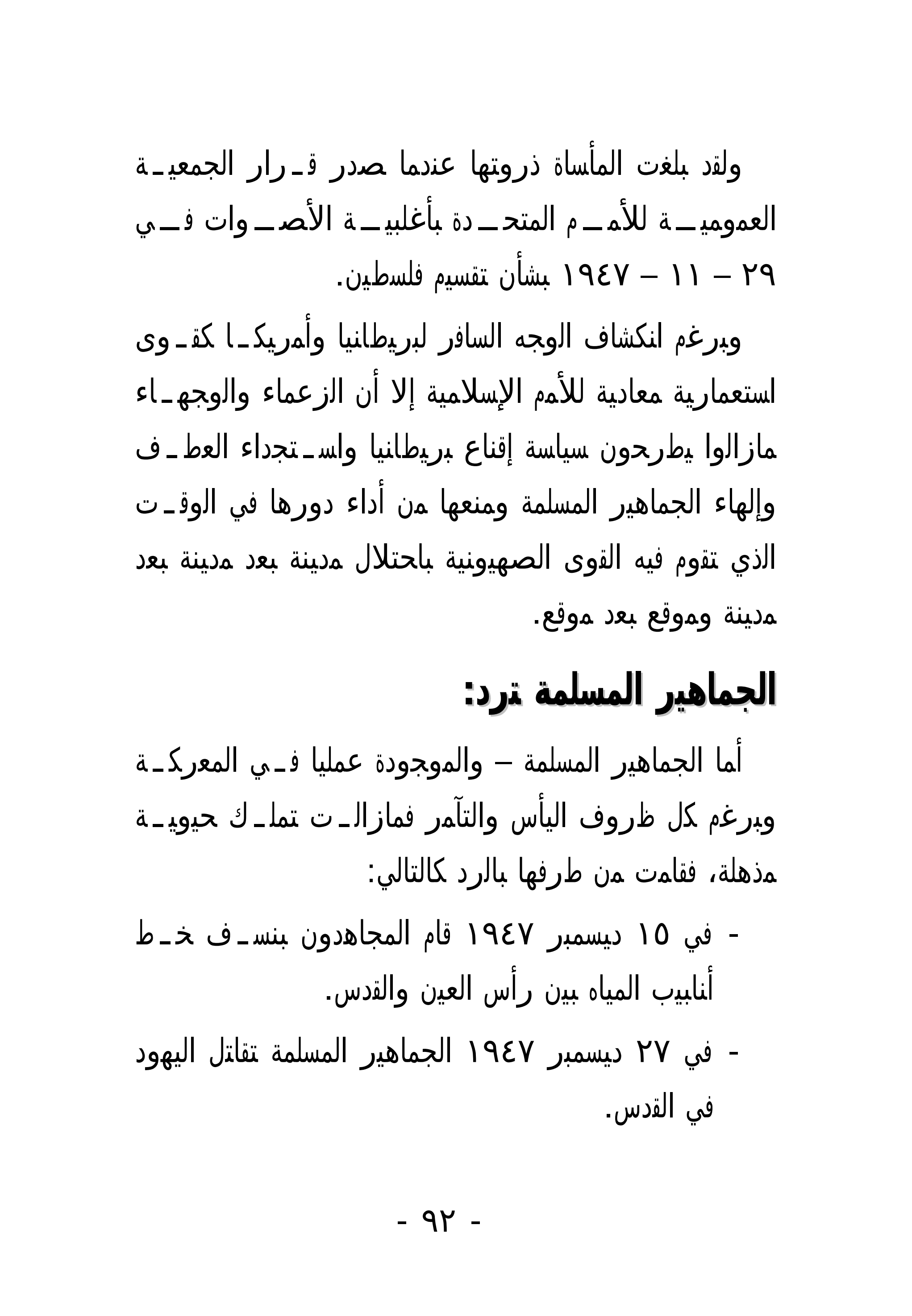
استمر خط الجماهير المسلمة في تصاعده التاريخي الرائع برغم يأس المرحلة ومهادنة الأحزاب والوجهاء والزعماء.

واستمر التآمر الاستعماري على قدم وساق ولقـد تمثـل التكتيك الشيطاني في تلك المرحلة في:

- استمرار تسليح اليهود متمثلا في مساعدات من الـدول الاستعمارية وتواطؤ بريطاني يتم بموجبه تسليم عدد هائـل من الأسلحة الموجودة في مخازن الحامية البريطانيـة فـي فلسطين إلى اليهود عن طريق تمثيلية محبوكة تسمى سـرقة الأسلحة من المخازن البريطانية.

- إضعاف جبهة الجمـاهير المسـلمة ونـزع تسـليحها ووضعها في أصعب ظروف للعمل.

- دفع الظروف في المنطقة بحيث يكون الجميع في حالة شلل تام ما عدا القوى الصهيونية.



ولقد بلغت المأساة ذروتها عندما صدر قـرار الجمعيـة العموميــة للأمــم المتحــدة بأغلبيــة الأصــوات فــي ٢٩ – ١١ – ١٩٤٧ بشأن تقسيم فلسطين.

وبرغم انكشاف الوجه السافر لبريطانيا وأمريكـا كقـوى استعمارية معادية للأمم الإسلامية إلا أن الزعماء والوجهـاء مازالوا يطرحون سياسة إقناع بريطانيا واسـتجداء العطـف وإلهاء الجماهير المسلمة ومنعها من أداء دورها في الوقـت الذي تقوم فيه القوى الصهيونية باحتلال مدينة بعد مدينة بعد مدينة وموقع بعد موقع.

الجماهير المسلمة ترد:

أما الجماهير المسلمة – والموجودة عمليا فـي المعركـة وبرغم كل ظروف اليأس والتآمر فمازالـت تملـك حيويـة مذهلة، فقامت من طرفها بالرد كالتالي:

- في ١٥ ديسمبر ١٩٤٧ قام المجاهدون بنسـف خـط أنابيب المياه بين رأس العين والقدس.
- في ٢٧ ديسمبر ١٩٤٧ الجماهير المسلمة تقاتل اليهود في القدس.

- ١٢ يناير ١٩٤٨ مجاهد عربي يدخل مركز البـوليس البريطاني بسيارة ملغومة مما أدى إلى نسفه.
- ١ فبراير ١٩٤٨ يتم نسف بناية (البالسـتاين بوسـت) اليهودية وبنايتان أخريان مجاورتان لها فـي شـارع هاسوليل بالقدس وذلك بسيارة ملغومة.
- ٢٢ فبراير ١٩٤٨ يتم نسف شارع بن يهـوذا بـثلاث سيارات كبيرة تحمل كلا منها طنا من المفرقعات.
- ١٢ فبراير ١٩٤٨ يتم نسف حي المونيفوري بالقدس.
- ١١ مارس ١٩٤٨ يتم نسف مبنى الوكالة اليهودية.
- ٢٣ مارس ١٩٤٨ نسف باب الخليل.

القوى الصهيونية تتحرك لاستكمال احتلال المواقع والمدن الهامة والجماهير المسلمة المضروبة من الإرهاب الصهيوني وتواطؤ الاستعمار وخيانة الزعماء تقف وحـدها بصـلابة. ولنضرب عدة أمثلة:

معركة القسطل: - وللقسطل أهمية عسكرية كبيـرة فـي الدفاع عن القدس وسوف نسرد تلك الحادثة كنمـوذج يـدلل على صحة تحليلنا.

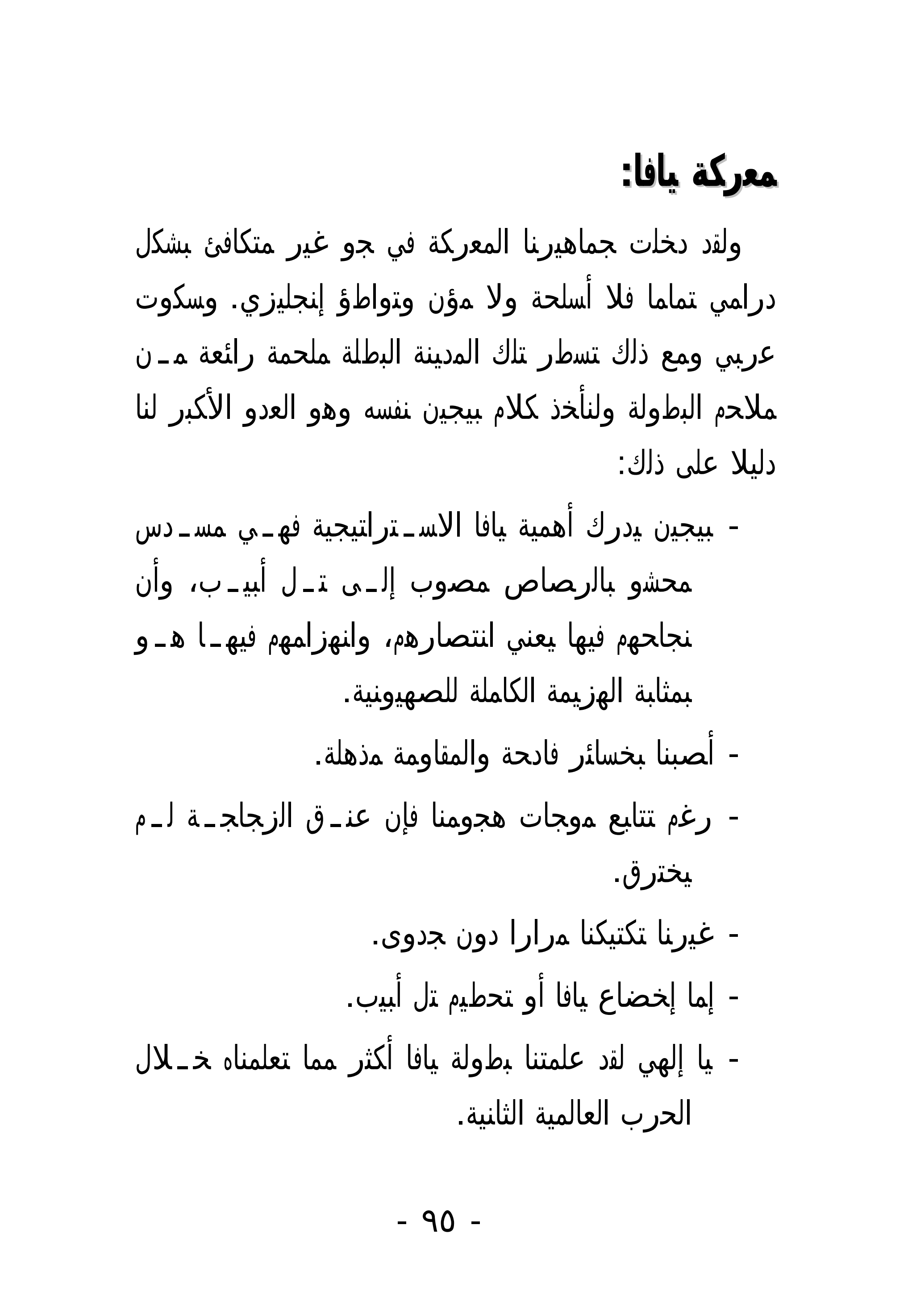
يذهب الشهيد عبد القادر الحسيني إلى اللجنـة العسـكرية العليا (برئاسة إسماعيل صفوت باشا) ويطلب أسلحة وذخائر للـــدفاع عـــن القســـطل فيقـــول لـــه الباشـــا شـــونو عبد القادر. ماكو مدافع (مـاكو تعنـي باللهجـة العراقيـة لا يوجد).

ويقول له الشرياتي وزير الدفاع السوري "إذا احتل اليهود القدس فسنأتي ونخرجهم منها أو نقتلهم فيها".

عندئذ تميز عبد القادر من الغيظ ورمى بالخريطـة فـي وجه الباشا والوزير وقـال بصـوت سـمعه الحاضـرون "أنتم خائنون ومجرمون وسيسجل التـاريخ أنكـم أضـعتم فلسطين – ستحتل القسطل وسأموت أنـا وجميـع إخـواني المجاهدين".

وعاد عبد القادر إلى القسطل واستشهد فيها في أبريل عام ١٩٤٨ بعد معركة خالدة استمرت ٦ أيام.

هل هذا يحتاج إلى تعليق؟!!..



معركة يافا:

ولقد دخلت جماهيرنا المعركة في جو غير متكافئ بشكل درامي تماما فلا أسلحة ولا مؤن وتواطؤ إنجليزي. وسكوت عربي ومع ذلك تسطر تلك المدينة البطلة ملحمة رائعة مـن ملاحم البطولة ولنأخذ كلام بيجين نفسه وهو العدو الأكبر لنا دليلا على ذلك:

- بيجين يدرك أهمية يافا الاسـتراتيجية فهـي مسـدس محشو بالرصاص مصوب إلـى تـل أبيـب، وأن نجاحهم فيها يعني انتصارهم، وانهزامهم فيهـا هـو بمثابة الهزيمة الكاملة للصهيونية.
- أصبنا بخسائر فادحة والمقاومة مذهلة.
- رغم تتابع موجات هجومنا فإن عنـق الزجاجـة لـم يخترق.
- غيرنا تكتيكنا مرارا دون جدوى.
- إما إخضاع يافا أو تحطيم تل أبيب.
- يا إلهي لقد علمتنا بطولة يافا أكثر مما تعلمناه خـلال الحرب العالمية الثانية.

- سقط منا القتلى بالعشرات.
- لولا تدخل الإنجليز لكان الوضع مروعا.

* استمرت معركة يافا من أوائل ديسمبر ١٩٤٧ حتى ١٤ مايو ١٩٤٨.
* على لسان الشهيد حسن سلامة أن بعض المسلمين اليوغسلاف شاركوا في الدفاع عن يافا!!..

معركة حيفا:

وأيضا تدخل الجماهير المسلمة معركة حيفا منفردة..

- قام الإنجليز بتسليم اليهود معسكراتهم ومواقعهم.
- قام الإنجليز بمنع إقامة مراكز حصينة داخل المدينة.
- السلاح لا يصل إلى حيفا. فلم يصل سوى ٩٠ بندقية فقط من ٦٠٠ بندقية أرسلت إليها. هل سرق الباقي؟ (من تقرير طه باشا الهاشمي عن حالة السلاح في حيفا):
- الإنجليز يسحبون السريتين الأردنيتين رقم ٢، ٤ واللتان كانتا ترابطان في حي (النبي شعنان) وبيت كاليم مما كشف الحي الشرقي العربي.

- انسحاب الإنجليز المفاجئ من حيفـا فـي ٢٣ أبريـل ١٩٤٨.

ومع كل هذا خاضت الجماهير المسلمة معركة أسطورية في الدفاع عن المدينة. وخضبت أرضها بالدم الذكي. لولا أن قام الزعماء بمطالبة أهلها بإخلائها لتأتي الجيـوش العربيـة لتحررها!!

وهكذا سقطت المدينة.

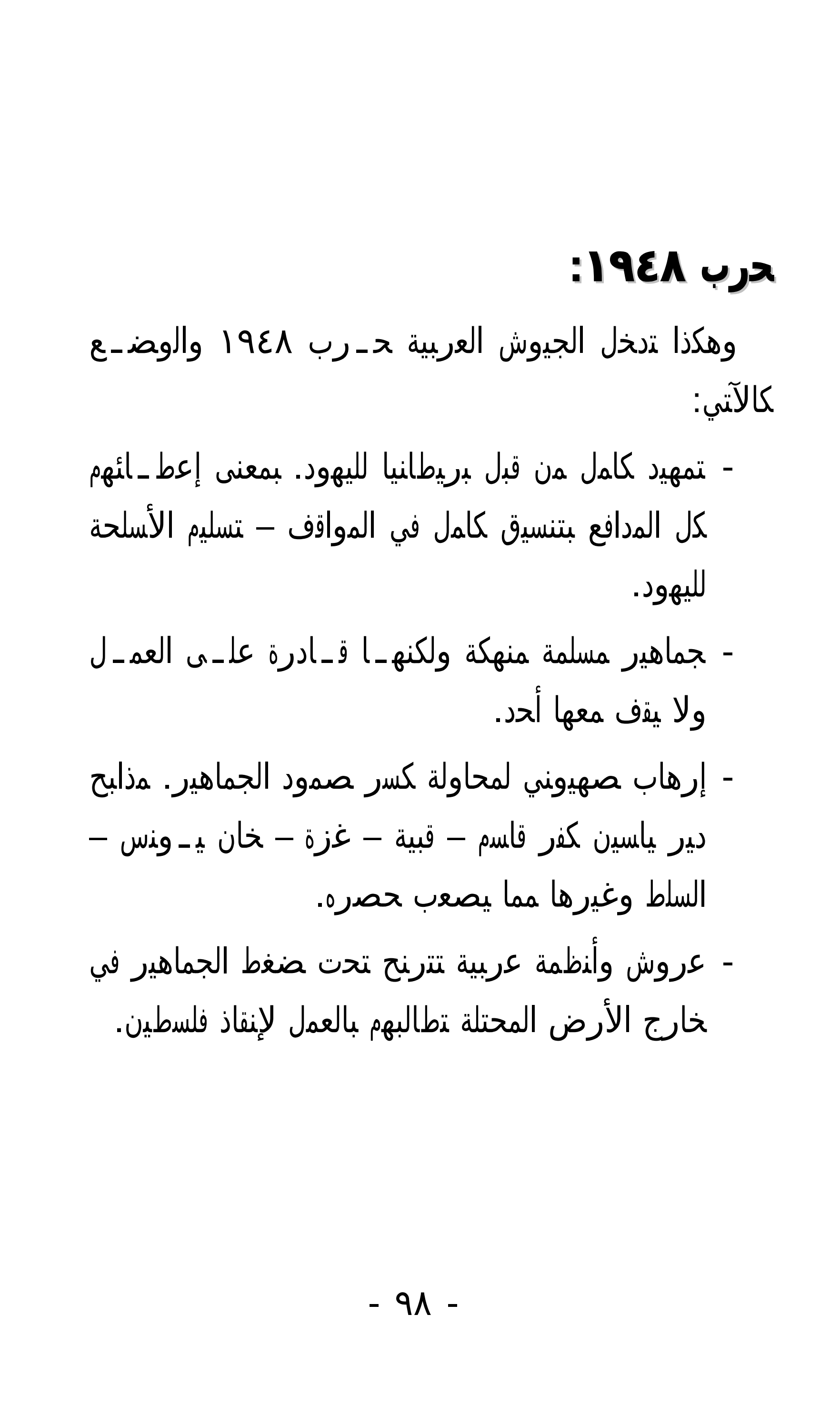
إعلان قيام إسرائيل:

وفي يوم ١٥ مايو ١٩٤٨ يعلـن بـن جوريـون قيـام إسرائيل.

ملاحظة:

قام بن جوريون بإعلان الدولة يوم ١٤ مايو ولم ينتظـر إلى يوم ١٥ مايو لأنه كان يوم سبت.

- وبريطانيا تعلن إنهاء انتدابها في ١٥ مايو ١٩٤٨.



حرب ١٩٤٨:

وهكذا تدخل الجيوش العربية حـرب ١٩٤٨ والوضـع كالآتي:

- تمهيد كامل من قبل بريطانيا لليهود. بمعنى إعطـائهم كل المدافع بتنسيق كامل في المواقف – تسليم الأسلحة لليهود.
- جماهير مسلمة منهكة ولكنهـا قـادرة علـى العمـل ولا يقف معها أحد.
- إرهاب صهيوني لمحاولة كسر صمود الجماهير. مذابح دير ياسين كفر قاسم – قبية – غزة – خان يـونس – السلط وغيرها مما يصعب حصره.
- عروش وأنظمة عربية تترنح تحت ضغط الجماهير في خارج الأرض المحتلة تطالبهم بالعمل لإنقاذ فلسطين.

الأنظمة العربية تدخل المعركة بالتكتيك التالي:

- أنظمة لا تملك تناقضا مع الكيان الصهيوني. إلا تناقضا ثانويا يمكن حله عبر المفاوضات أو عبر المعارك التكتيكية الصغيرة لتحسين ظروف التفاوض والحلول الوسط ليس إلا:
- لابد من دخول المعركة وإلا أسقطتنا الجماهير وحتى تملك تلك الأنظمة ورقة توت تداري بها عوراتها.
- كل نظام يعمل لحسابه ولا تنسيق بين الجيوش العربية.
- وهكذا تدخل الجيوش العربية المعركة وفي نية قيادات الأنظمة عدم القتال فلم تعد له عدة. لا إعداد نفسي أو تعبوي. المشاركة بقوات رمزية.. مجموعة الجيوش العربية لا تصل إلى قوة العدو العددية.
- دخول المعركة للمزايدة والاستعراض. ثم الانسحاب ليس إلا. خطأ يصل إلى حد الخيانة.
- الأنظمة العربية تطالب الشعب الفلسطيني بإخلاء مدنه لكي تأتي هي لتحررها. بل إن عمليات الترحيل ذاتها يشارك فيها الفيلق العربي والقوات الأردنية.

- الجيش الأردني تحت قيادة جلوب باشا الإنجليزي.
- الجيش الأردني يدافع فقط ولا يهاجم بأوامر من جلوب قائد الجيش.
- الملك عبد ا بإيعاز من جلوب يرى الصلح مع اليهود برغم أنهم أقوياء.

وانظر كتاب حرب ١٩٤٨ (الصراع السياسـي) العميـد محمد فايز القصري – دار المعرفة.

- أصدر جلوب أمرا للجيش الأردنـي يـوم ١٤ يوليـه ١٩٤٨ بإيقاف جميع العمليات الهجومية والتزام موقف الدفاع مع عـدم البـدء بـإطلاق الرصـاص إلا إذا هوجموا.
- إدارة سياسية سيئة للمعارك تتمثل في قبول الهدنة عدة مرات مما يحسن وضع اليهود.
- خيانة كاملة من الملك عبد ا واتصالات باليهود.

ملاحظة:

مع كل هذا التيه فإن الجيوش العربية كأفراد هم جزء من الأمة قد صنعوا انتصارات باهرة وبطولات فـذة أضـاعها

الساسة والتردد ومناورات جلوب وغيـره وخيانـة الملـك عبد ا .

- معركة التبة ٨٦ مفخرة للجندي المصري المسلم.

- الصمود في الفالوجا.

- عمليات البطل الشهيد أحمد عبد العزيز الذي لقب بـين رجاله باسم النمر والذي أمكنه أن يشق طريقا حتى بيت لحم برغم بساطة معداته. وخيانات جلوب المتكررة.

وهكذا دخلت الجيوش العربية (القوات المصرية – القوات الأردنية – القوات السورية – القوات العراقيـة – القـوات اللبنانية – القوات السورية).

وبرغم بطولة أفرادها إلا أن نية الأنظمة لم تكن القتال.

- قامت الأنظمة وتحت دعـوى أن الجيـوش العربيـة ستحرر فلسطين بتغييب الجماهير المسلمة وإخراجهـا مـن المعركة بدلا من أن تكون عونا لها.

- جيوش غير مدربة – خيانات الأنظمة – أسلحة فاسـدة عدم تنسيق.

- أيديولوجية غير إسلامية.

في مواجهة:

- عدو مدرب (في الحرب العالمية الثانية) وغيرها.

- يملك أيديولوجية تاريخية وفهما وتمثلا أكبر للحضـارة الغربية ولتكتيكها المتفوق علينا.

- جيش شعبي ومشاركة كاملة من رجال ونساء اليهـود في المعركة. فكان لابد أن تحيق بنا الهزيمة والعار وضياع فلسطين.

ملاحظة هامة جدا:

لم تشذ أي معركة سواء ٥٦ أو ٦٧ عن ذلك إطلاقا فهي دخول استعراضي وانسحاب. عدم السماح للجيوش بممارسة المعارك إطلاقا.

ملاحظة أخرى:

إن أخطر الأخطاء هو عدم السماح للجماهير بأداء دورها بل منعها عنه بشتى الوسائل. وفي مواجهة حضارة متفوقـة علينا تقنيا وفي مواجهة استعمار وتواطؤ، وفي مواجهة جيش عقائدي مسلح بأحدث الأسلحة التي أنتجتها مصانع الغـرب الاستعماري. فإن المواجهة لابد أن تكون.

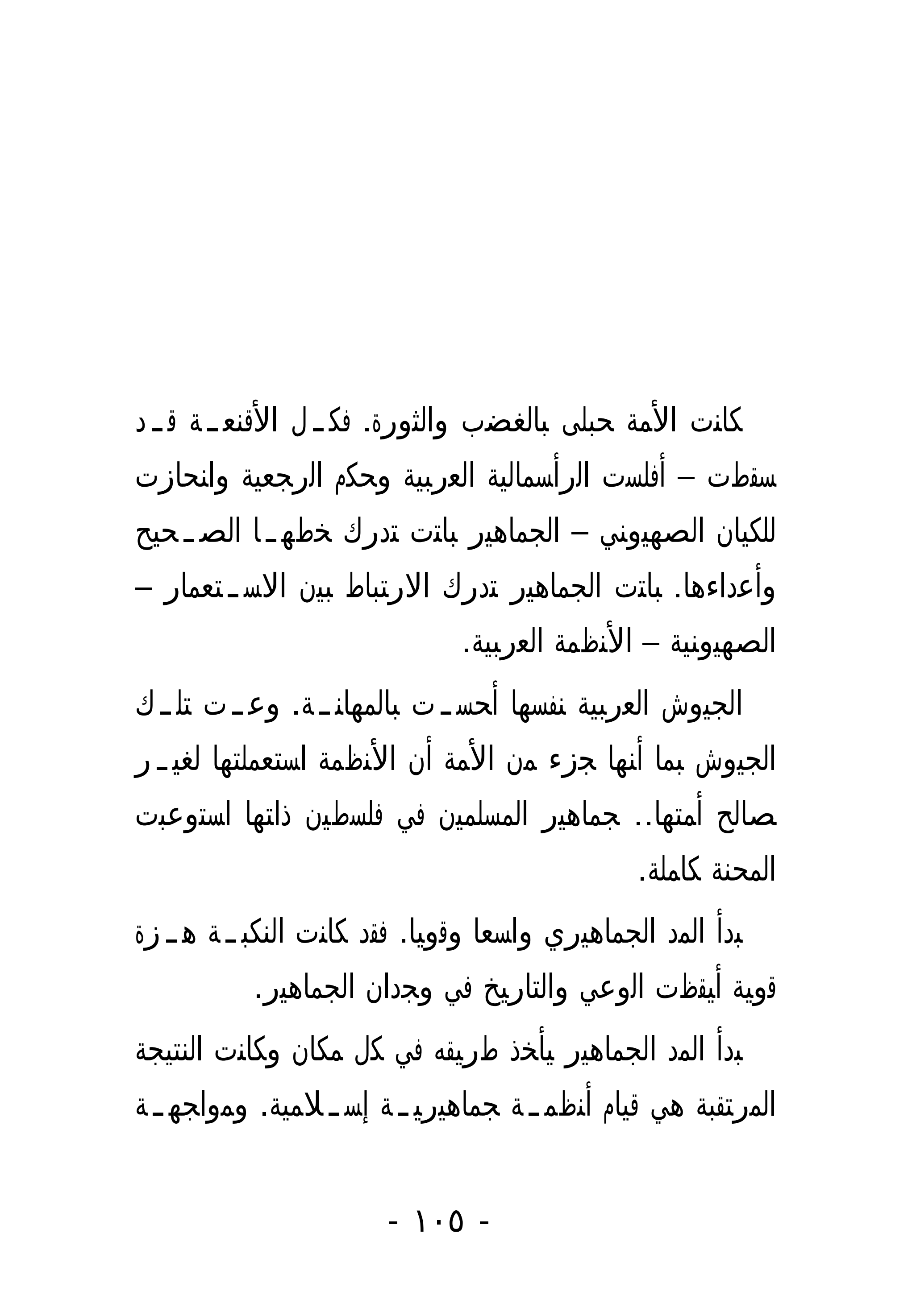
حرب تحرير شعبية – أيديولوجية إسلامية. لأن الجماهير المسلمة لا تقهر. وهذه حكمة التاريخ وهـذه ميـزة نملكهـا فجيوشهم أقوى. ولكن جماهيرنا أكثر وأصلب وهـذا حقهـم ومصلحتهم وكيانهم مهدد. وعموما هل تـرددت الجمـاهير يوما.

* ينبغي هنا أن ننوه بالبطولات الرائعـة التـي قـدمتها جماهير المسلمين في خارج الأرض المحتلة وتـدافعها إلـى التطوع وقيام الأنظمة بمنعها كما ينبغي الإشارة إلـى قيـام حركة الإخوان المسلمين وخصوصا في كـل مـن مصـر وسوريا بالتطوع والقتال ونسف المواقع اليهودية في خـارج وداخل الأرض المحتلة ولكن ضاعت كل هذه الجهود بسـب الأنظمة العربية.

* * *

الفصل الثالث

مرحلة ما بعد ١٩٤٨



كانت الأمة حبلى بالغضب والثورة. فكـل الأقنعـة قـد سقطت – أفلست الرأسمالية العربية وحكم الرجعية وانحازت للكيان الصهيوني – الجماهير باتت تدرك خطهـا الصـحيح وأعداءها. باتت الجماهير تدرك الارتباط بين الاسـتعمار – الصهيونية – الأنظمة العربية.

الجيوش العربية نفسها أحسـت بالمهانـة. وعـت تلـك الجيوش بما أنها جزء من الأمة أن الأنظمة استعملتها لغيـر صالح أمتها.. جماهير المسلمين في فلسطين ذاتها استوعبت المحنة كاملة.

بدأ المد الجماهيري واسعا وقويا. فقد كانت النكبـة هـزة قوية أيقظت الوعي والتاريخ في وجدان الجماهير.

بدأ المد الجماهير يأخذ طريقه في كل مكان وكانت النتيجة المرتقبة هي قيام أنظمـة جماهيريـة إسـلامية. ومواجهـة

صحيحة للغزوة الصهيونية الاستعمارية. ولنأخذ مصر كمثال.

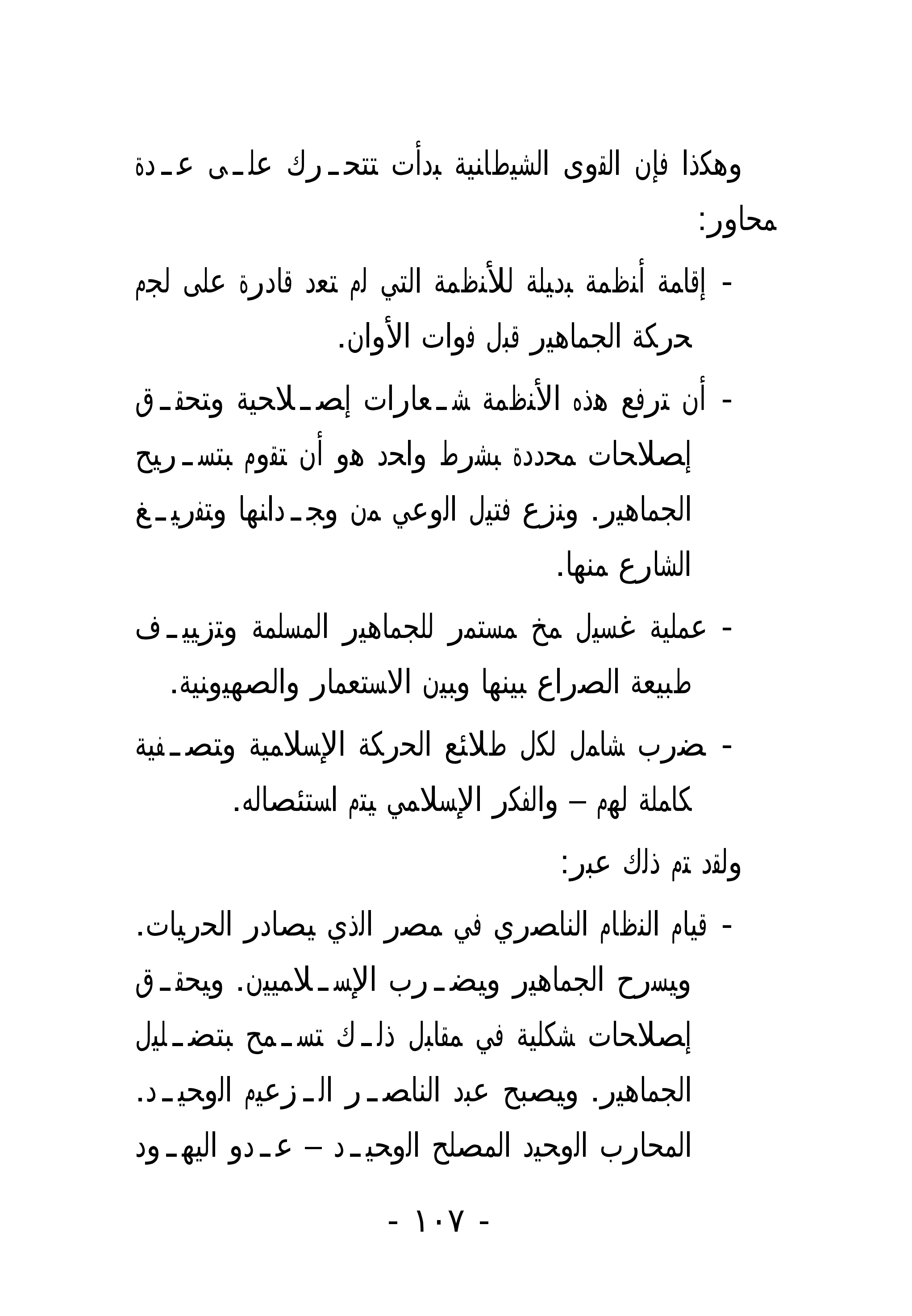
- بعد ١٩٤٨ بدأ النظام الرجعي (نظام الملك فاروق) يترنح تحت ضربات الجماهير الواسعة. الجماهير تطالب بالحرية وبالعدالة الاجتماعية وبمقاومة الاستعمار والصهيونية. إضرابات يومية من العمال – تململ في الجيش – انتفاضات فلاحية ضد الإقطاع في الريف المصري. جاءوا بحزب الوفد للجم حركة الجماهير وتهدئتها. ولم ينجح الوفد في ذلك.

وفي كل مكان كان الوضع مثل مصر الجماهير في حالة مد مستمر.

وعلى الجانب الآخر. القوى الشيطانية تدرك خطر الجماهير. وتدرك أن إسرائيل في حاجة ماسة إلى فترة تستكمل فيها بناء مؤسساتها العسكرية والاقتصادية.

وتحركت القوى الشيطانية. وتتمثل تكتيكها في:

- عزل الجماهير المسلمة بأي ثمن وإخراجها من الصراع.
- سحب تراكم الوعي لديها.

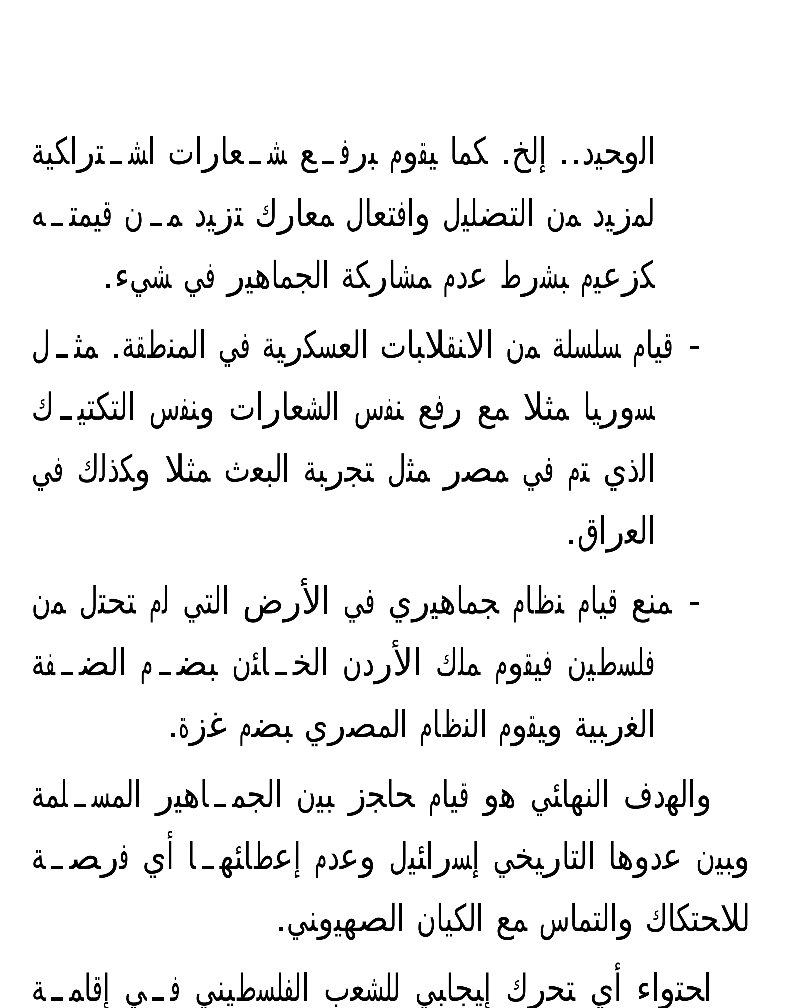


وهكذا فإن القوى الشيطانية بدأت تتحـرك علـى عـدة محاور:

- إقامة أنظمة بديلة للأنظمة التي لم تعد قادرة على لجم حركة الجماهير قبل فوات الأوان.
- أن ترفع هذه الأنظمة شـعارات إصـلاحية وتحقـق إصلاحات محددة بشرط واحد هو أن تقوم بتسـريح الجماهير. ونزع فتيل الوعي من وجـدانها وتفريـغ الشارع منها.
- عملية غسيل مخ مستمر للجماهير المسلمة وتزييـف طبيعة الصراع بينها وبين الاستعمار والصهيونية.
- ضرب شامل لكل طلائع الحركة الإسلامية وتصـفية كاملة لهم – والفكر الإسلامي يتم استئصاله.

ولقد تم ذلك عبر:

- قيام النظام الناصري في مصر الذي يصادر الحريات. ويسرح الجماهير ويضـرب الإسـلاميين. ويحقـق إصلاحات شكلية في مقابل ذالـك تسـمح بتضـليل الجماهير. ويصبح عبد الناصـر الـزعيم الوحيـد. المحارب الوحيد المصلح الوحيـد – عـدو اليهـود



الوحيد.. إلخ. كما يقوم برفع شعارات اشتراكية لمزيد من التضليل وافتعال معارك تزيد من قيمته كزعيم بشرط عدم مشاركة الجماهير في شيء.

- قيام سلسلة من الانقلابات العسكرية في المنطقة. مثل سوريا مثلا مع رفع نفس الشعارات ونفس التكتيك الذي تم في مصر مثل تجربة البعث مثلا وكذلك في العراق.
- منع قيام نظام جماهيري في الأرض التي لم تحتل من فلسطين فيقوم ملك الأردن الخائن بضم الضفة الغربية ويقوم النظام المصري بضم غزة.

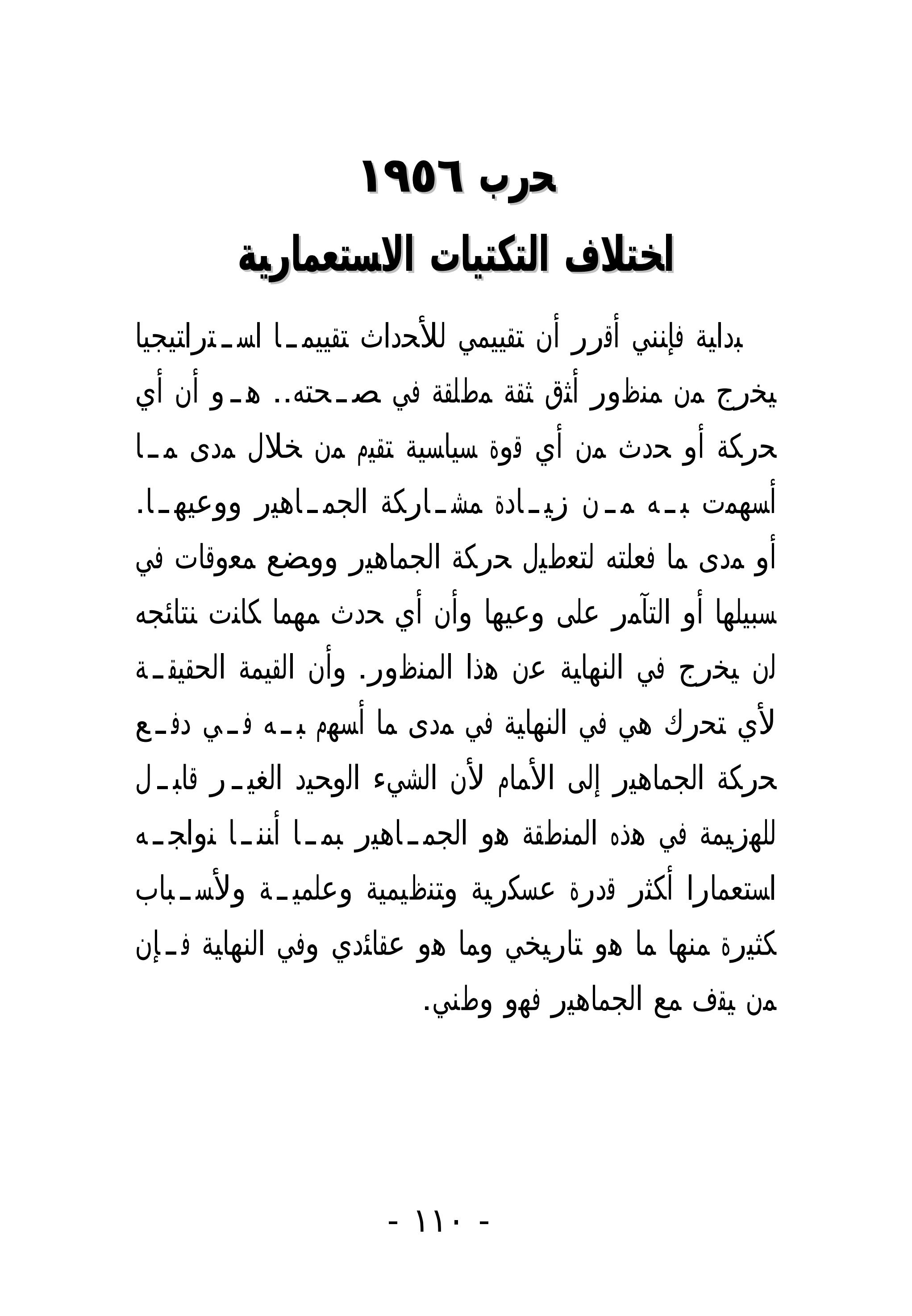
والهدف النهائي هو قيام حاجز بين الجماهير المسلمة وبين عدوها التاريخي إسرائيل وعدم إعطائها أي فرصة للاحتكاك والتماس مع الكيان الصهيوني.

احتواء أي تحرك إيجابي للشعب الفلسطيني في إقامة منظمات جماهيرية للتصدي للكيان الصهيوني بمعنى ألا تخرج تلك المنظمات عن معطف الأنظمة السابق بيان تركيبها وجوهرها وتوجهاتها.

وهكذا وبالأسلوب الشيطاني الماكر وعبر عدة تكتيكـات بالغة التعقيد استطاعت القوى الشيطانية أن تمنـع الانفجـار الإيجابي في المنطقة وتسحب ما تراكم من وعي ومن غضب ومن إدراك لدى الجماهير بعد نكبة ١٩٤٨.

واستمرت المنطقة هكـذا فـي سلسـلة مسـتمرة مـن الانفجارات الصغيرة الموجهة من قبـل القـوى الشـيطانية لامتصاص وتفريغ حركة الجماهير المسلمة من مضمونها.

* * *



حرب ١٩٥٦

اختلاف التكتيات الاستعمارية

بداية فإنني أقرر أن تقييمي للأحداث تقييمـا اسـتراتيجيا يخرج من منظور أثق ثقة مطلقة في صـحته.. هـو أن أي حركة أو حدث من أي قوة سياسية تقيم من خلال مدى مـا أسهمت بـه مـن زيـادة مشـاركة الجمـاهير ووعيهـا. أو مدى ما فعلته لتعطيل حركة الجماهير ووضع معوقات في سبيلها أو التآمر على وعيها وأن أي حدث مهما كانت نتائجه لن يخرج في النهاية عن هذا المنظور. وأن القيمة الحقيقـة لأي تحرك هي في النهاية في مدى ما أسهم بـه فـي دفـع حركة الجماهير إلى الأمام لأن الشيء الوحيد الغيـر قابـل للهزيمة في هذه المنطقة هو الجمـاهير بمـا أننـا نواجـه استعمارا أكثر قدرة عسكرية وتنظيمية وعلميـة ولأسـباب كثيرة منها ما هو تاريخي وما هو عقائدي وفي النهاية فـإن من يقف مع الجماهير فهو وطني.

ومن يفرغ حركة الجماهير ويعوقها تحت أي شعار فهـو خائن. سواء أدرك ذلك أو لم يدركه. سـواء قصـد أو لـم يقصد.

كما أنني أقرر ووفق المنظور السابق أنني لن أستدرج في فتح ملفات ووثائق مضادة. فكتابة التاريخ ليسـت مقصـدي بقدر تحليل الأحداث التاريخية لمزيد مـن الـوعي ورؤيـة المستقبل. وأن الغرق في الوثائق القابلة للتزوير طبعا فضلا عن أنه يخرجنا عن إطار منهجنا الجماهيري في فهم طبيعة الصراع فإنه تضييع للوقت وأنني أدع لغيري تلك المهمة.

كما أنني أضـيف أن الكتابـة بالطريقـة السـابقة. فـخ استعماري لأن الاستعمار يجيد تزييف الوثائق بما يملك مـن أدوات علمية. وبما يخططه من أساليب الصراع الفكري التي يجيدها.

وعلى أي حال فإنه إذا تسلح الإنسان بـالوعي الجـدلي (جماهيري وإسلامي) فإنه يمكن أن يفتح الوثائق والملفـات ويكون في مأمن من الانزلاق والانخداع والوقوع في الفـخ الاستعماري ويمكنه أن يخرج بنتائج صحيحة وغايـة فـي الأهمية ولكن ليست هذه مهمتي أو قدرتي على أي حال.

* أود أن أضيف أنه في تلك المنطقة كي تكون جماهيريا. فإنـك تكـون إسـلاميا. وأن هنـاك ارتباطـا عضـويا لا ينفصم بين الإسلام والجماهير.

وهكذا فإن تحليلنا للأحداث سيتوقف على أثرهـا علـى حركة الجماهير.

وهكذا فإننا في تحليل حرب ٥٦ ينبغي أن ندرك.

١- أنـه لا يهمنـي فـي قليـل أو كثيـر كـون نظـام عبد الناصر. محاولة انقلابيـة أمريكيـة كمـا يقـول الكثيرون أم لا (انظر كتـاب لعبـة الأمـم – مـايلز كوبلاند) وأن ما حدث في ١٩٥٦ هو حماية الاستعمار الأمريكي لنظام عبد الناصر الأمريكاني من الاستعمار البريطاني. أو أنها حرب بين استعمارين ليس إلا.

٢- كما أنه لا يعنيني أن أقول إنها محاولة لإبراز النظـام الناصري ليؤدي دوره في قمع حركة الجمـاهير. وأن أبحث في الأدلة التي تدمغ النظام بالخيانة المباشـرة. فلسنا وكلاء نيابة بالطبع.

إن فهمي للحديث يأتي على النحو التالي:

قررت القوى الشـيطانية (الاسـتعمار والصـهيونية) أن الجماهير في المنطقة قد خدرت بما يكفي وأن ما اختزنته من غضب ووعي بعد نكبة ١٩٤٨ قد تبـدد وأن الوضـع فـي المنطقة يسمح بمزيد من التوسع لليهود. ويسمح بعودة الحكم الاستعماري المباشر لها.

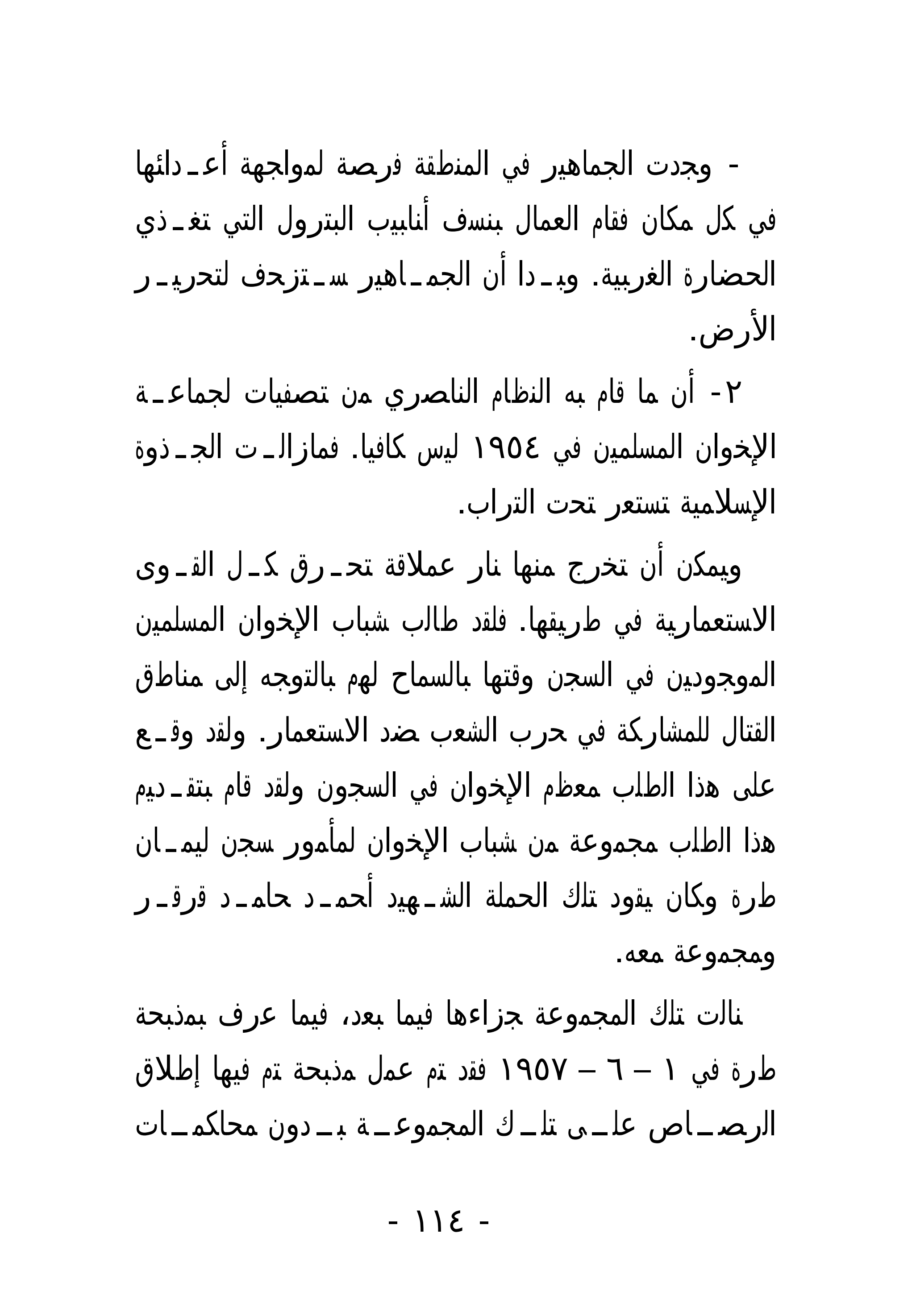
وهكذا قام وزير الخارجيـة الأمريكـي دالاس بسـحب عرض بناء السد العالي مما دفع النظام الناصري إلى تـأميم القناة. وعلى أثرها قام الاسـتعمار الإنجليـزي والفرنسـي واليهودي بالاعتداء الغاشم على مصر.

إلا أن الاستعمار فوجئ بما يلي:

١- أن الجماهير لم تفقد بعد فاعليتها وأنها عملاق لم ينم بعد وأنها سوف تستيقظ لتطيح بالاستعمار وبالنظام الناصري والاستبداد وستشكل خطرا كاسـحا للمصـالح الاسـتعمارية والصهيونية في المنطقة.

- فلقد اصطدم الغزو الاستعماري لبورسعيد مثلا بمقاومة شعبية صلبة جدا بكافة الأشكال البسيطة والرائعة.

- قام فدائيون من قطاع غزة بأعمال فدائية استشـهادية. مما هز إسرائيل هزا وشكل نواة لحرب تحرير شعبية.

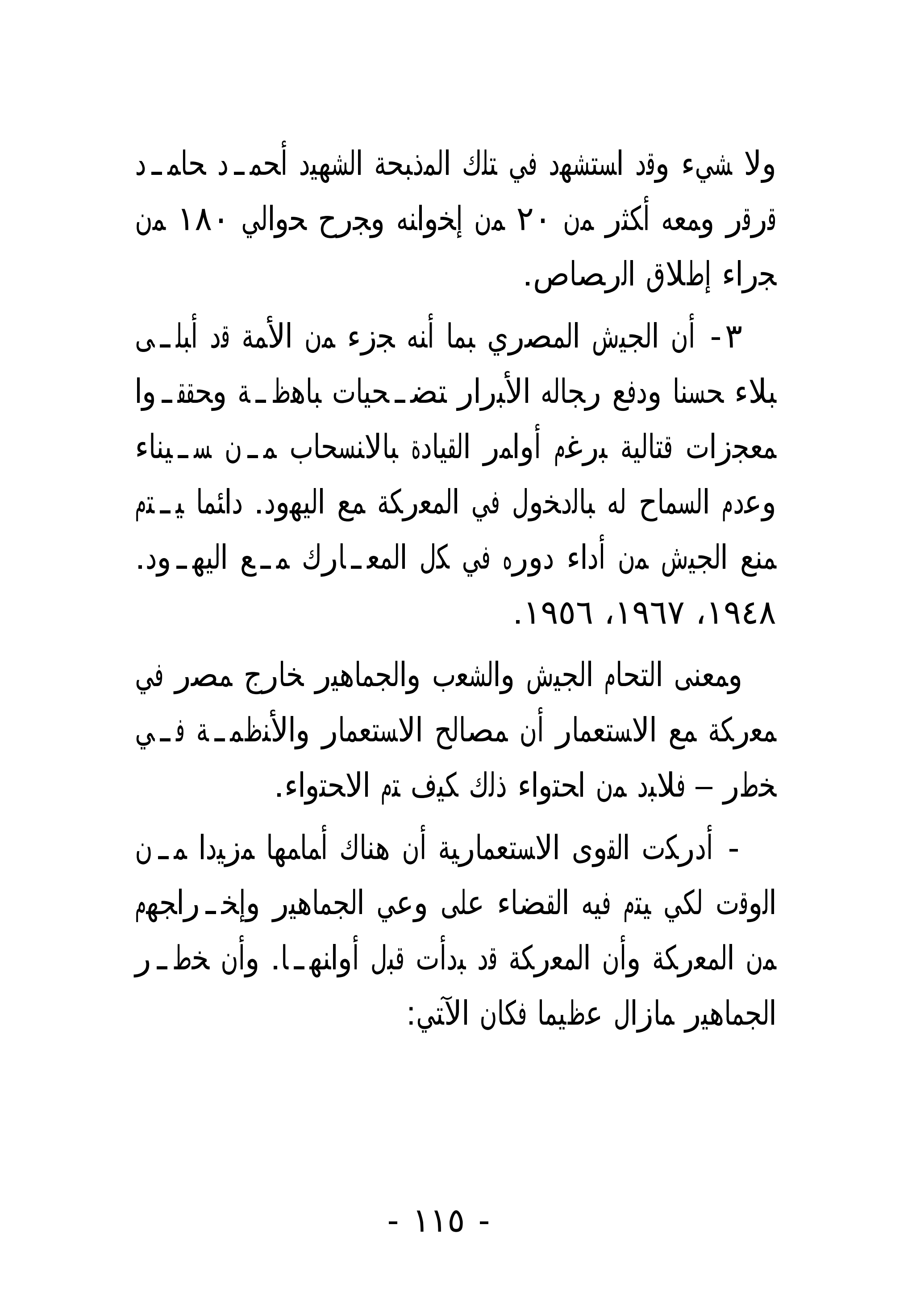


- وجدت الجماهير في المنطقة فرصة لمواجهة أعـدائها في كل مكان فقام العمال بنسف أنابيب البترول التي تغـذي الحضارة الغربية. وبـدا أن الجمـاهير سـتزحف لتحريـر الأرض.

٢- أن ما قام به النظام الناصري من تصفيات لجماعـة الإخوان المسلمين في ١٩٥٤ ليس كافيا. فمازالـت الجـذوة الإسلامية تستعر تحت التراب.

ويمكن أن تخرج منها نار عملاقة تحـرق كـل القـوى الاستعمارية في طريقها. فلقد طالب شباب الإخوان المسلمين الموجودين في السجن وقتها بالسماح لهم بالتوجه إلى مناطق القتال للمشاركة في حرب الشعب ضد الاستعمار. ولقد وقـع على هذا الطلب معظم الإخوان في السجون ولقد قام بتقـديم هذا الطلب مجموعة من شباب الإخوان لمأمور سجن ليمـان طرة وكان يقود تلك الحملة الشـهيد أحمـد حامـد قرقـر ومجموعة معه.

نالت تلك المجموعة جزاءها فيما بعد، فيما عرف بمذبحة طرة في ١ – ٦ – ١٩٥٧ فقد تم عمل مذبحة تم فيها إطلاق الرصـاص علـى تلـك المجموعـة بـدون محاكمـات



ولا شيء وقد استشهد في تلك المذبحة الشهيد أحمـد حامـد قرقر ومعه أكثر من ٢٠ من إخوانه وجرح حوالي ١٨٠ من جراء إطلاق الرصاص.

٣- أن الجيش المصري بما أنه جزء من الأمة قد أبلـى بلاء حسنا ودفع رجاله الأبرار تضـحيات باهظـة وحققـوا معجزات قتالية برغم أوامر القيادة بالانسحاب مـن سـيناء وعدم السماح له بالدخول في المعركة مع اليهود. دائما يـتم منع الجيش من أداء دوره في كل المعـارك مـع اليهـود. ١٩٤٨، ١٩٦٧، ١٩٥٦.

ومعنى التحام الجيش والشعب والجماهير خارج مصر في معركة مع الاستعمار أن مصالح الاستعمار والأنظمـة فـي خطر – فلابد من احتواء ذلك كيف تم الاحتواء.

- أدركت القوى الاستعمارية أن هناك أمامها مزيدا مـن الوقت لكي يتم فيه القضاء على وعي الجماهير وإخـراجهم من المعركة وأن المعركة قد بدأت قبل أوانهـا. وأن خطـر الجماهير مازال عظيما فكان الآتي:

١- تضغط أمريكا علـى إنجلتـرا وفرنسـا وإسـرائيل وتطالبهم بالانسحاب على هيئة قرار من الأمم المتحدة (متى كانت قرارات الأمم المتحدة تحترم).

"وهل احترمت تلك الدول يوما قرارا للأمم المتحدة فـي ١٩٤٨ وما بعدها وفي ٦٧ مثلا. بل إن أمريكا ذاتها كانـت تدفعهم لعدم احترام القرارات فلماذا في هذه المرة يحترمونها وتضغط عليهم أمريكا!!

٢- تنسحب تلك الدول. مع ضجة إعلامية ضخمة تلقـي ظلالا وغيوما على أهمية حركة الجماهير. بحيث.

(أ) يعزى الانتصار إلى ذكاء القيادة السياسية.

(ب) يدفع الجماهير في الوقوع في خطـأ قيمـة الأمـم المتحدة والرأي العام العالمي بحيث يمكن طرح تلك القوى السلمية كبديل للكفاح المسلح.

(ج) تجميل وجه أمريكا. وجعلها في نظر البعض تعمـل لصالح الأمم والشعوب الصغيرة.

٣- يتم سحق كل حركة جماهيرية إسلامية في المنطقـة. وبما أن النظام الناصري قد انتصر ولو بالكذب فإنه يمكنـه الآن ممارسة قمعه بلا حدود.

١- ولقد نجح ذلك التكتيك الاستعماري الشيطاني المعقـد أيما نجاح فلقد قام عبد الناصر بطرح نفسه علـى السـاحة كمنقذ وكبطل قومي لا يشق له غبار وأن الضمان الوحيد في مواجهة الاستعمار هو شخصية البطل وليس الجمـاهير وأن على الجماهير الآن أن تذهب لبيوتها وسيقوم عبـد الناصـر بكل المهمة. (ولقد قام الإعلام – عبد الحليم حافظ – شـادية إلخ بتكريس ذلك حتى لقد صوروا عبد الناصر كما لو كـان سوبرمان يقول للشيء كن فيكون).

* أذكر في ذلك الإطار قيام الأساطير حول شخصية عبد الناصر والتي غذتها أجهزة الإعلام وانتشرت بـين الشـعب المصري وبخاصة الأطفال عن أن عبد الناصر يستطيع مثلا أن يعبر البحر ماشيا. أو أن يهدم جدارا مثلا بقبضته.. إلخ.

٢- قام النظام الناصري بضرب أسس الفكر الإسـلامي ومحاولة استئصال كل أثر للإسلام في حياة الناس ومطاردة كل متدين حتى ولو كان غير سياسي حتى أن الناس كانـت تخاف أن تذهب إلى الصلاة. وبالتالي فهو يفقـد الجمـاهير درعها المتمثل في الإسلام تمهيدا لـ ١٩٦٧.

* كما قام بالعديد من المذابح واعتقال وشـنق أعضـاء الجماعات الإسلامية كالشهيد سيد قطب مـثلا واعتقـال ٣٠ ألف في ليلة واحدة سنة ١٩٦٥.

٣- تزييف طبيعة الصراع وإزاحة المقولات الحقيقية من الساحة (إسلامية – حرب تحرير شعبية) وتكييف الصـراع وفق مقولات خاطئة لا يفهمها النـاس ولا يشـاركون فيهـا "لاحظ أن عبد الناصر كان يخطب في الناس فينبهـرون ولا يفهمون".

وهكذا طرح عبد الناصر القومية العربيـة – بـدلا عـن الإسلامية – والاشتراكية بدلا عن بنـاء مجتمـع إسـلامي لاطبقي. وهكذا فقد أفقد الجماهير والجيوش العربية حوافزها للقتال ودمر كل دروعها وأسقط كل وعيها. تمهيـدا لحـرب ١٩٦٧.

٤- خنق وضرب كل توجـه جمـاهيري حقيقـي نحـو مواجهة إسرائيل عبر:

(أ) منع أي عمل فدائي موجه ضد إسرائيل من غزة.

(ب) مطاردة كل من يحاول تعرية وكشف حقيقة الصراع في المنطقة.

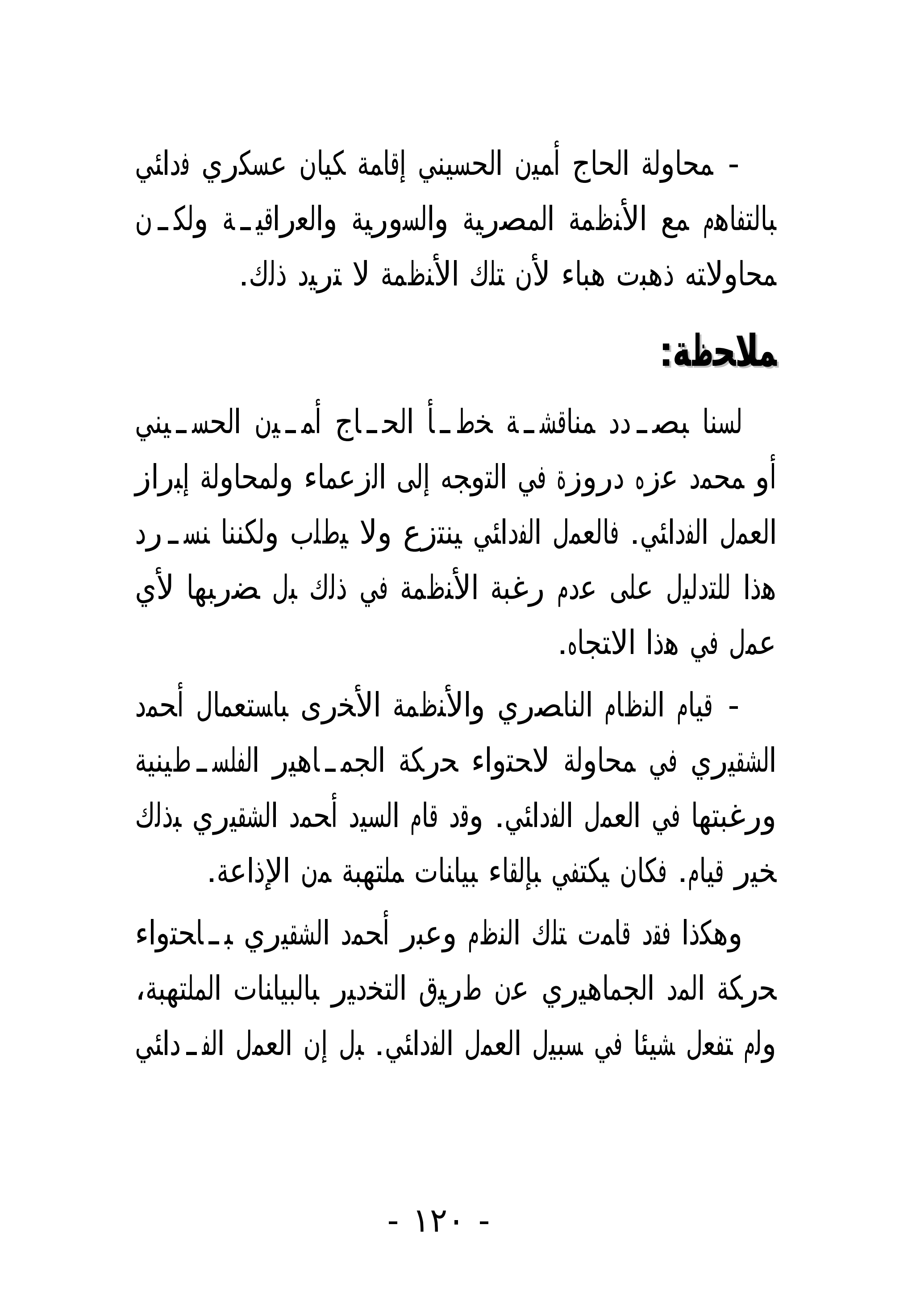
(جـ) تجهيل متعمد بطبيعة الكيان الصهيوني – وجعلـه شيئا غامضا تماما برغم أن معرفة العدو واجـب إسلامي. فضلا عن أنه شيء بدهي. فكيف تواجـه عدوا لا تعرفه.

٥- محاولة احتواء أي تحرك فلسطيني وجعـل حركـة المقاومة الفلسطينية من داخل معطف الأنظمة العربية.

وسوف تسرد بعض الوقائع الخاصـة بهـذا الموضـوع سريعا. ونعد أن نقوم بدراسة حول تلك المسألة وحول تطور حركة المقاومة الفلسطينية.

- وبرغم كل ما سبق، وبما أن حيوية الأمة غيـر قابلـة للموت أو الدمار فإنه كان لابد وبرغم كل اليأس والضـباب من ظهور تيار يستمد من إسلاميته أصالة ويقاوم وهذا التيار لم يغيب لحظة.

- حاول بعض المناضلين القدامى من أمثال محمد عـزة دروزة مثلا تبينه الرئيس عبد الناصـر وشـكري القـوتلي وغيرهم إلى أهمية وجود عمل فدائي يكـون نـواة حـرب تحرير شعبية. ولكن دون جدوى (انظر مذكرات محمد عزة دروزة).



- محاولة الحاج أمين الحسيني إقامة كيان عسكري فدائي بالتفاهم مع الأنظمة المصرية والسورية والعراقيـة ولكـن محاولاته ذهبت هباء لأن تلك الأنظمة لا تريد ذلك.

ملاحظة:

لسنا بصـدد مناقشـة خطـأ الحـاج أمـين الحسـيني أو محمد عزه دروزة في التوجه إلى الزعماء ولمحاولة إبراز العمل الفدائي. فالعمل الفدائي ينتزع ولا يطلب ولكننا نسـرد هذا للتدليل على عدم رغبة الأنظمة في ذلك بل ضربها لأي عمل في هذا الاتجاه.

- قيام النظام الناصري والأنظمة الأخرى باستعمال أحمد الشقيري في محاولة لاحتواء حركة الجمـاهير الفلسـطينية ورغبتها في العمل الفدائي. وقد قام السيد أحمد الشقيري بذلك خير قيام. فكان يكتفي بإلقاء بيانات ملتهبة من الإذاعة.

وهكذا فقد قامت تلك النظم وعبر أحمد الشقيري بـاحتواء حركة المد الجماهيري عن طريق التخدير بالبيانات الملتهبة، ولم تفعل شيئا في سبيل العمل الفدائي. بل إن العمل الفـدائي

الذي تم عبر فتح والعاصفة سنة ١٩٦٠ طالبوه بالانضمام للشقيري.

- بل إن تلك الأنظمة قامت بمحاولة خنق واحتواء حركة فتح والعاصفة حينما ظهرت إلى الوجود من رحم الأمة المسلمة وبشعارات إسلامية ومارست الخط الصحيح سنة ١٩٦٥.

ملاحظة:

بدأت حركة فتح بداية إسلامية وفدائية (الخط الصحيح لمواجهة الصهيونية) إلا أن الحركة وقعت في النهاية في المستنقع بعد عدة محاولات ومناورات شيطانية خطيرة ستكون محل دراستنا إن شاء الله تعالى. إلا أنها في سنة ١٩٦٥ كانت تمثل أملا على الخط الصحيح.

ملاحظة:

نورد هنا بعض الفقرات التي قالها أحمد الشقيري للأستاذ محمد عزة دروزة حينما زاره في منزله في ١٢ – ١٢ – ١٩٦٥ والواردة بكتاب الأستاذ محمد عزة دروزة

ص ١٦٣ وذلك في معرض رده على اقتراح الأستاذ دروزة بضرورة العمل الفدائي.

"ثم حدثته في مآل الرسالة فأكد لي أن مسألة حركة تحرير فعلية هي الآن شغله الشاغل وهو مؤمن بها كل الإيمان. وأن كل همه أن يجد المكان المناسب. وأنها لا تلقى تشـجيعا ولا ترحيبا في الأردن ولبنان والعراق وأن الرئيس جمال متردد فيها".

وحينما اقترحت عليه والكلام مازال للأستاذ دروزة – أن يتصل بمنظمة فتح وعاصفتها وأن يدعمها قال الشقيري. إن الرئيس عبد الناصر مرتاب في أن تكون جماعة فـتح مـن الإخوان المسلمين!!

وفي لقاء آخر بتاريخ ١٥ – ١٢ – ١٩٦٦ سأل الأسـتاذ دروزة عن سبب جمود قطاع غزة وسيناء وعـدم قيـام أي حركة فدائية تحريرية فيهما وقلت إن الناس يتساءلون كثيـرا عن ذلك، والمغرضون يغمزون مصر وزعيمها بسبب هـذا الجمود. فقال إنه سيرد عليه بعد وقت ولم يرد!!

حرب ١٩٦٧..

ونأتي إلى عام ١٩٦٧ والوضع كالآتي:

- أنظمة تضرب الجماهير بلا هوادة. تضـرب طلائـع الحركة الإسلامية – تضرب الجذور العقائدية للأمة. تقدم شعارات مزيفة (قومية – اشتراكية – إلخ) تمنع أي محاولة لمعرفة العدو.
- واقع فلسطيني مرتبط بالأنظمة عبر أحمد الشـقيري – منظمة التحرير الفلسطينية – كتائب مرتبطـة بتلـك الأنظمة ولا يسمح لها بالعمل. الاكتفـاء بالبيانـات الملتهبة عبر الإذاعات والتي يطلقها الشقيري كبديل عن العمل الحقيقي في محاولة لإجهاض أي جنـين فدائي يكون نواة حرب تحرير شعبية.
- منظمة فتح خرجت بشعارات إسلامية. ومارست الكفاح المسلح. مطاردة مضطهدة. محاولات لاحتوائها. إلخ.

في مواجهة عدو منظم – ابن الحضـارة الغربيـة يفهـم روحها وعلمها مرتبط بعقيدته وتاريخـه. مسـلح بأحـدث الأسلحة.

وتحدث المواجهة..

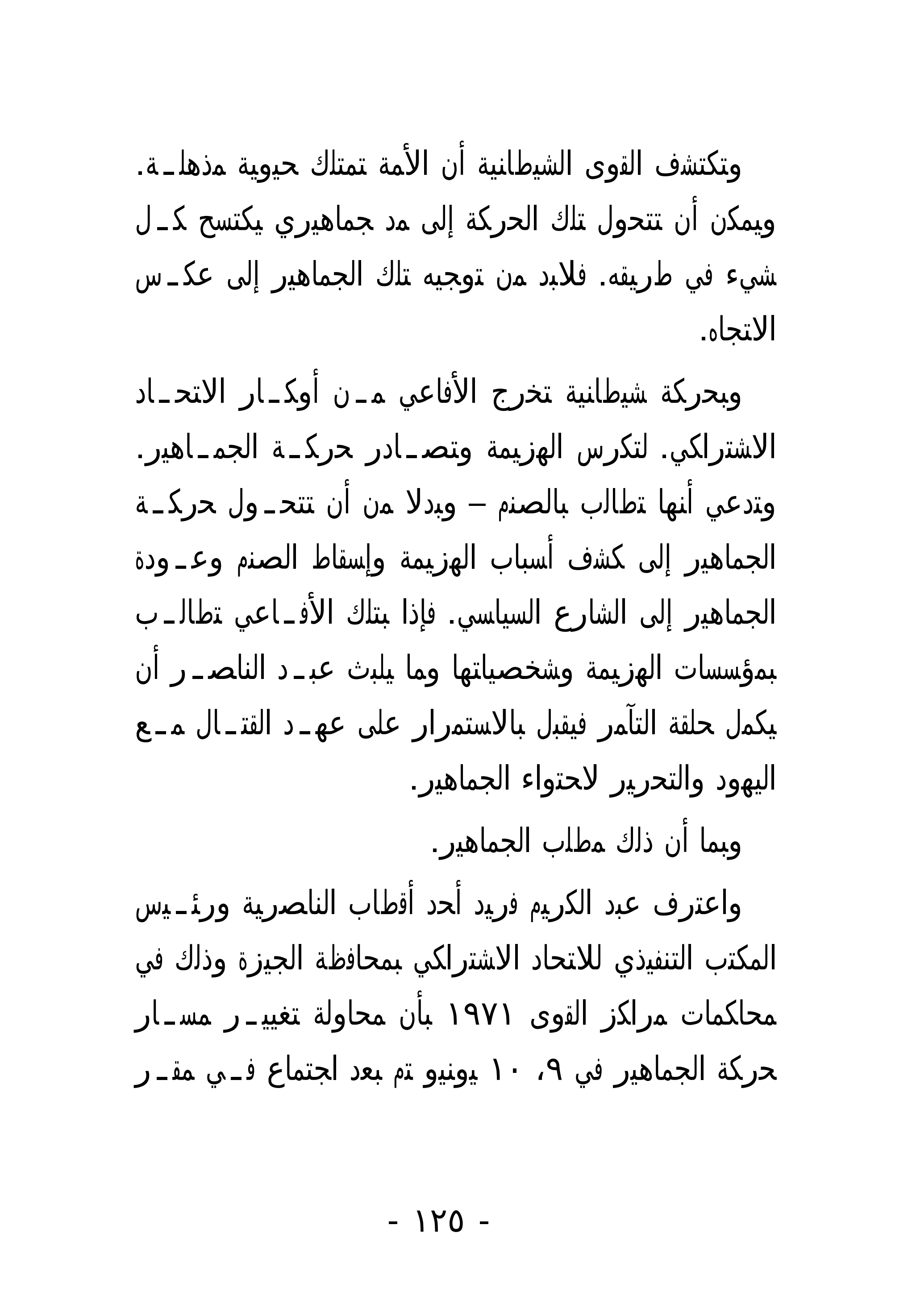
وللمرة الثالثة تسحب الجيوش من الميدان ولا يسمح لهـا بممارسة أي قتال حقيقي. مما يدفعني دفعا ووفـق التحليـل الاستراتيجي إلى أن أشم رائحة خيانة واضحة جدا من قبـل عبد الناصر. إن يوميات حرب ٦٧ وما قبلها ومـا بعـدها يدفعني إلى اتهامه بالخيانة المباشرة..

وتكتسح إسرائيل الجيش المصري في سيناء الذي ينسحب ولم يسمح له بممارسة الحرب وتمارس مذبحة بشـعة علـى أبنائه الجنود والضباط الشرفاء أثناء فوضى الانسحاب.

وتحتل سيناء. والضفة الغربية وغزة – والجولان.

ولكن الأمة مازالت حية:

خرجت الجماهير المسلمة في ٩، ١٠ يونيـو لتقـول لا. سنحارب. لن تجعلنا هزيمة الأنظمة نفقد رؤيتنا الصـحيحة. إن حرب التحرير الشعبية هي الحل. لقد غبنا طويلا ومنعونا من أداء دورنا ولكننا نعود اليـوم. لقـد كانـت شـعارات الجماهير يومها هنحارب – هنحارب. اليهود أعداء ا .



وتكتشف القوى الشيطانية أن الأمة تمتلك حيوية مذهلة. ويمكن أن تتحول تلك الحركة إلى مد جماهيري يكتسح كل شيء في طريقه. فلابد من توجيه تلك الجماهير إلى عكس الاتجاه.

وبحركة شيطانية تخرج الأفاعي من أوكار الاتحاد الاشتراكي. لتكرس الهزيمة وتصادر حركة الجماهير. وتدعي أنها تطالب بالصنم – وبدلا من أن تتحول حركة الجماهير إلى كشف أسباب الهزيمة وإسقاط الصنم وعودة الجماهير إلى الشارع السياسي. فإذا بتلك الأفاعي تطالب بمؤسسات الهزيمة وشخصياتها وما يلبث عبد الناصر أن يكمل حلقة التآمر فيقبل بالاستمرار على عهد القتال مع اليهود والتحرير لاحتواء الجماهير.

وبما أن ذلك مطلب الجماهير.

واعترف عبد الكريم فريد أحد أقطاب الناصرية ورئيس المكتب التنفيذي للاتحاد الاشتراكي بمحافظة الجيزة وذلك في محاكمات مراكز القوى ١٩٧١ بأن محاولة تغيير مسار حركة الجماهير في ٩، ١٠ يونيو تم بعد اجتماع في مقر

الاتحاد الاشتراكي في الجيزة وبناء على أوامر مـن شـمس بدران.

(انظر كتاب الأستاذ كمال خالد المحامي وأحـد أعضـاء هيئة الدفاع في تلك القضية).

أهمية حركة الجماهير في ٩، ١٠ يونيو.

تكمن أهمية حركة الجماهير المسلمة في ٩، ١٠ يونيـو برغم أنها قد تم تغيير مضمونها واتجاهها في:

١- أن الأمة لم تفقد بعد حيويتها وأنها مازالـت تطـرح الشعار الصحيح في مواجهة الاستعمار والصهيونية.

"أيديولوجية إسلامية – حرب تحرير شـعبية. شـعارات الجماهير: اليهود أعداء ا   – هنحارب – هنحارب".

٢- أن تلك الحركة وبما طرحته من رفض الاستسلام قد أخرت الحقبة الإسرائيلية وأخرت طبخة التسوية. فلـم يعـد النظام الناصري في تلك اللحظة قادرا على إتمام التسوية مما أدى وتحت ضغط الجماهير إلـى ظهـور مقـررات قمـة الخرطوم.

- لا صلح – لا اعتراف.

ما بعد ١٩٦٧:

- أفاقت الأمة وبدأت تستعيد وعيها وحركتها التـي لـم تنقطع يوما. بدأت الشعارات المزيفة والأصنام تتهادى. ولقد تمثلت حركة الأمة المسلمة في:

- قيـام مظـاهرات الطلبـة والعمـال ١٩٦٨. لاحـظ الشعارات:

عبد الناصر يا دجال – اليهود على القنال.

عبد الناصر يا دجال – يا عميل الأمريكان.

لا إله إلا ا – اليهود أعداء ا .

- زيادة وعي الأمة بأهمية الأيديولوجيـة الإسـلامية – الكفاح المسلح. مما أعطى لحركة المقاومة الفلسطينية دعمـا هائلا. باعتبار أن إفلاس كل المقولات والنظم ولم يعد هناك من طليعة للأمة سوى المقاومة بوجهها الإسلامي ويطرحهـا للكفاح المسلح.

ولقد انتزعت تلك الحركة بأعمالها العظيمة داخل الأرض المحتلة قبل ٦٧ وبعده وبإصرار رجالها على أنها ليست ردا على نكبة ٦٧ بل هي رد علـى الكيـان الصـهيوني كلـه.

انتزعت دعم الأمة كلها. وجعلت الأنظمة ترتعب منها. على أساس أنها يمكن أن تكون نواة لعمل جماهيري واسع يطـيح بالمصالح الاستعمارية وبالأنظمة معاً.

ولقد تبدت أهمية المقاومة بعد معركة الكرامة في الأردن في أعقاب نكبة ١٩٦٧ والتي ظهر فيها بوضوح أن الإسلام والحرب الشعبية قادرة على هزيمة اليهود وإحداث خسـائر ضخمة بهم كفيلة بإنهاء وجودهم في الأرض الإسلامية (٢١ مارس ١٩٦٨).

وقد كانت معركة الكرامة في الأردن فضلا عما أعادتـه من ثقة إلى الإنسان المسلم في المنطقة تمثل نقطـة تحـول خطيرة في المنطقة.

وهكذا فقد بدأت سلسلة طويلة من المؤامرات والأفخـاخ لمحاولة إزاحة حركة المقاومة عن أيديولوجيتها الإسـلامية. وعزلها عن الجماهير ولقد نجحت تلك المحـاولات أخيـرا. وهذا يستحق موضوع بحث مستقل.

- على أي حال بعد معركة الكرامة – وأحداث مظاهرات الطلبة والعمال في مصر بدأ التكتيك الشيطاني على النحـو التالي.

- المزيد من عزل الجماهير تحت شعار لا صوت يعلـو فوق صوت المعركة.

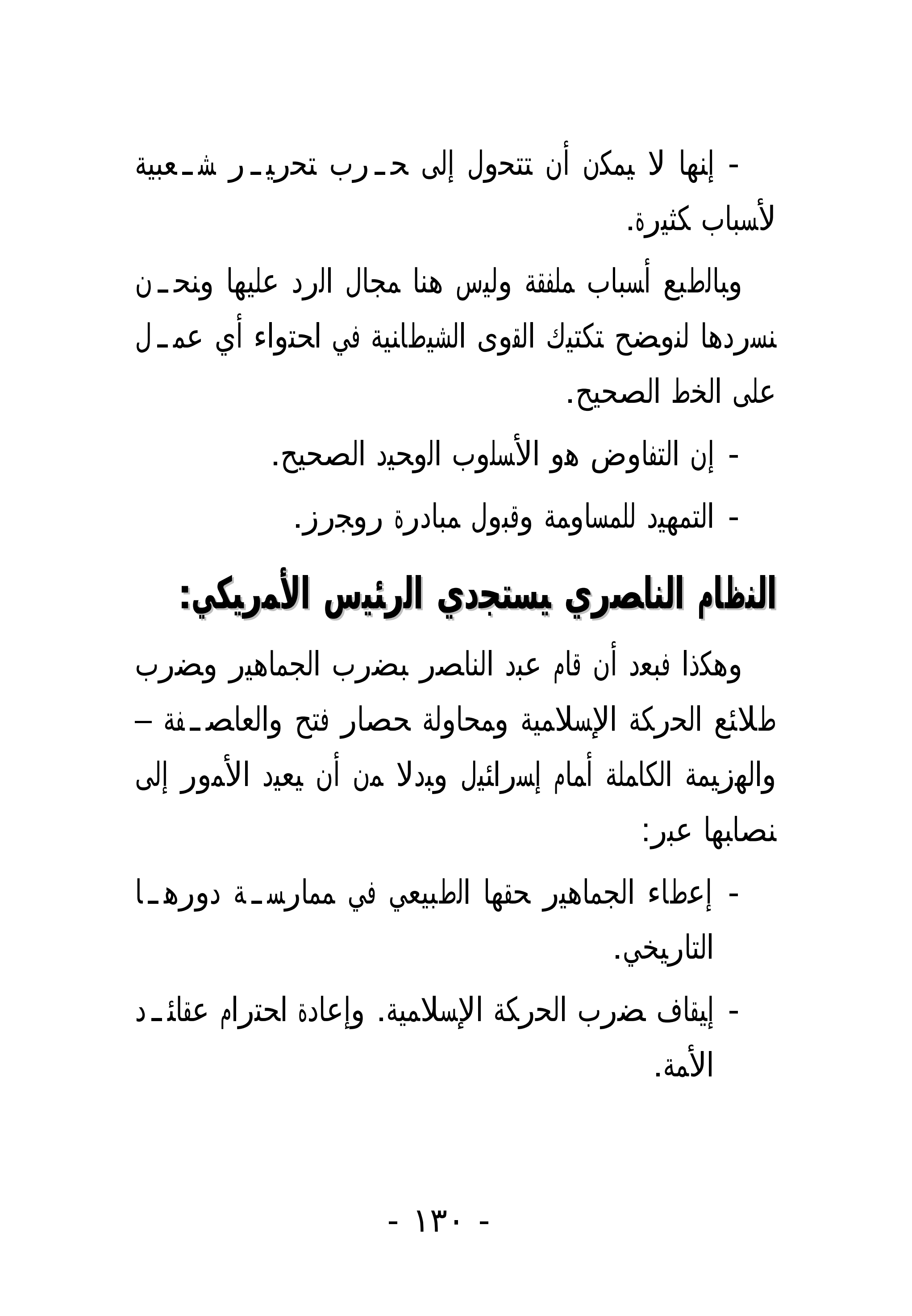
- إلهاء الجماهير بعملية محاكمات هزيلة لـبعض قـواد الجيش في ٦٧.

- إعطاء الضوء الأخضر للأنظمة فـي لبنـان والأردن لتصفية المقاومة ولكن بشكل محدد. كالآتي:

- تصفية غير نهائية حتى لا يكون ذلك سببا في انفجـار المنطقة وبروز عملاق إسلامي جمـاهيري. وهكـذا بـدأت عملية التصفية من الخارج على يد الجيش الماروني في لبنان – ونظام الملك الخائن حسين في الأردن. مع التمهيد لذلك.

- محاولة إجهاض انتشار فكرة أن المقاومة الفلسـطينية يمكن أن تتحول إلى حرب تحرير شعبية انظر مقال محمـد حسنين هيكل أحد أعمدة وكهنة النظام الناصـري – رئـيس تحرير الإعلام الناصري – الأهرام بتـاريخ ١٦ أغسـطس ١٩٦٨ وجاء فيه.

- دور المقاومة لن يكون حاسما في تصفية العدوان، إنما هو دور مساعد.



- إنها لا يمكن أن تتحول إلى حـرب تحريـر شـعبية لأسباب كثيرة.

وبالطبع أسباب ملفقة وليس هنا مجال الرد عليها ونحـن نسردها لنوضح تكتيك القوى الشيطانية في احتواء أي عمـل على الخط الصحيح.

- إن التفاوض هو الأسلوب الوحيد الصحيح.
- التمهيد للمساومة وقبول مبادرة روجرز.

النظام الناصري يستجدي الرئيس الأمريكي:

وهكذا فبعد أن قام عبد الناصر بضرب الجماهير وضرب طلائع الحركة الإسلامية ومحاولة حصار فتح والعاصـفة – والهزيمة الكاملة أمام إسرائيل وبدلا من أن يعيد الأمور إلى نصابها عبر:

- إعطاء الجماهير حقها الطبيعي في ممارسـة دورهـا التاريخي.
- إيقاف ضرب الحركة الإسلامية. وإعادة احترام عقائـد الأمة.

- دعم المقاومة الفلسطينية على طريق حـرب تحريـر شعبية.

بدلا من ذلك راح عبد الناصر يستجدي الرئيس جونسون ليعلن تكريس الهزيمة والاعتراف بإسرائيل وهكـذا كانـت مبـادرة روجـرز سـنة ١٩٧٠ والتـي يعتـرف فيهـا عبد الناصر بإسرائيل. ويؤمن بالحل السلمي علـى أسـاس قرار ٢٤٢.

ولكن الجماهير المسلمة ترفض مرة أخرى وتخرج فـي العواصم العربية لتعلن عبد الناصر يا جبـان.. يـا عميـل الأمريكان..

ولم يعد في المنطقة محور تتمحور حوله حركة الجماهير المسلمة إلا المقاومة الفلسطينية فتقـوم القـوى الشـيطانية بمحاولة تصفيتها على محورين:

١- التسلل إلى داخل المقاومة. ومحاولة دفعها بعيدا عـن إسلاميتها وبالتالي فقدانها أهم أسلحتها.

٢- ضرب متواصل على يد الأنظمة في لبنان والأردن. مذابح أيلول وما بعدها.

* * *

الفصل الرابع

مرحلة حرب ٧٣ وما بعدها

أدركت القوى الشيطانية أن الجماهير مازالت تملك حيوية مذهلة وأن حلقات الحصار حول الجماهير لم تستكمل بعـد. وأنه لابد من استكمال استئناس الجماهير. ولكي يـتم ذلـك قامت القوى الشيطانية بما يلي:

(أ) عمليات غسل مخ مستمر لعقول الجماهير باتجاه:

- أن إسرائيل أمر واقع.
- محاولة تخفيف حدة العداء لليهود. عبر مشايخ السلطة.
- التركيز على التفوق العسكري الإسرائيلي.
- التركيز على أن الهـدف هـو إزالـة آثـار العدوان.

(ب) والاتجاه الثاني يتمثل في "بما أن حركـة الجمـاهير مازالت حية وقوية فلابد من دفع زعيم عربي لتحقيق نصر تكتيكي صغير يستطيع به تمرير التسوية.

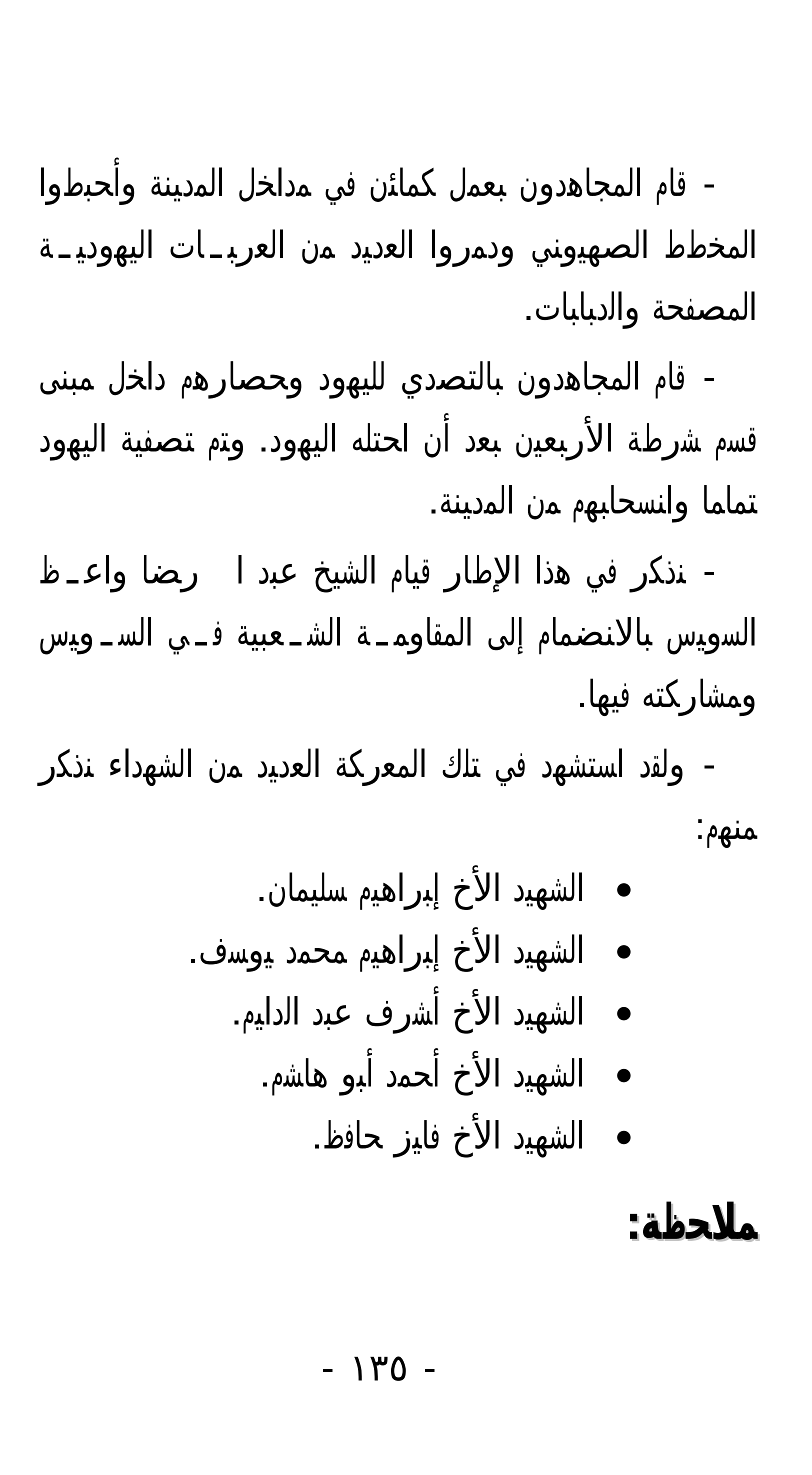
ولقد استهدفت الإدارة الأمريكية من هذا النصر التكتيكي وتحريك القضية" إلى:

- الضغط على إسرائيل لكي تقبل التسوية.
- تخدير الجماهير. ورفع زعيم عربي يسـتطيع تمرير التسوية. (انظر مذكرات كيسنجر)

وانظر أيضا محاضر لقاءات وزراء الخارجيـة العـرب بوزير الخارجية الأمريكي الذي طالبهم بتحريك القضية.

* ولكن حركة الجماهير المسلمة والتي لا يمكن أن تموت أبدا ظهرت في مدينة السويس على يد الأبطال من أعضـاء جماعة الهداية الإسلامية ومسجد الشهداء الذي أصبح مقـرا لقيادة المقاومة الشعبية.

ولقد استطاعت تلك المقاومة أن تمنع اليهود من دخـول المدينة وأن تدمر ٣٢ دبابة ومصفحة و٥ عربات وعشـرات القتلى. ولم يقدر للقوات الإسرائيلية أن تدخل المدينة وتستقر فيها. أبدا..



- قام المجاهدون بعمل كمائن في مداخل المدينة وأحبطوا المخطط الصهيوني ودمروا العديد من العربـات اليهوديـة المصفحة والدبابات.

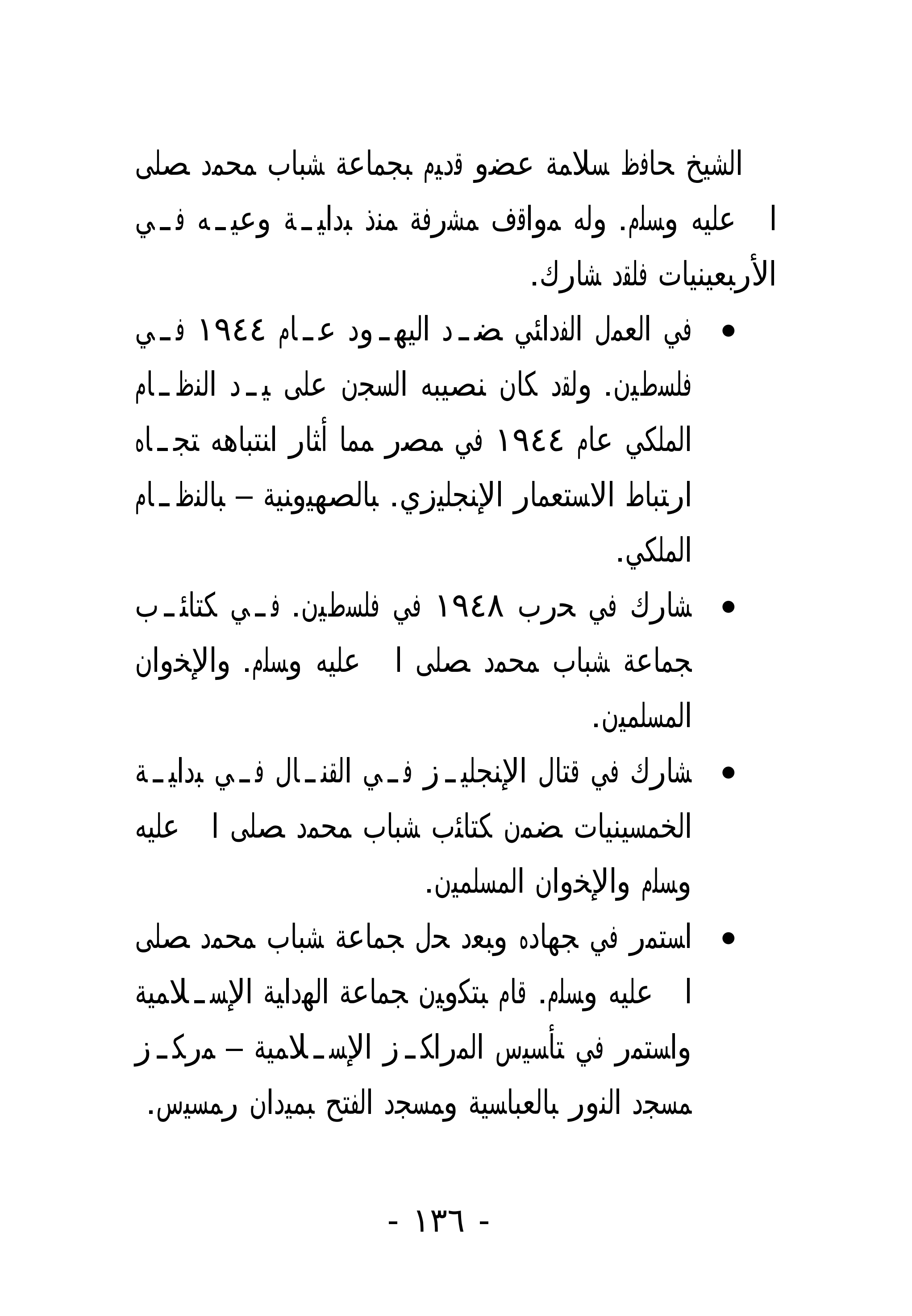
- قام المجاهدون بالتصدي لليهود وحصارهم داخل مبنى قسم شرطة الأربعين بعد أن احتله اليهود. وتم تصفية اليهود تماما وانسحابهم من المدينة.

- نذكر في هذا الإطار قيام الشيخ عبد ا رضا واعـظ السويس بالانضمام إلى المقاومـة الشـعبية فـي السـويس ومشاركته فيها.

- ولقد استشهد في تلك المعركة العديد من الشهداء نذكر منهم:

- الشهيد الأخ إبراهيم سليمان.
- الشهيد الأخ إبراهيم محمد يوسف.
- الشهيد الأخ أشرف عبد الدايم.
- الشهيد الأخ أحمد أبو هاشم.
- الشهيد الأخ فايز حافظ.

ملاحظة:



الشيخ حافظ سلامة عضو قديم بجماعة شباب محمد صلى ا   عليه وسلم. وله مواقف مشرفة منذ بدايـة وعيـه فـي الأربعينيات فلقد شارك.

- في العمل الفدائي ضـد اليهـود عـام ١٩٤٤ فـي فلسطين. ولقد كان نصيبه السجن على يـد النظـام الملكي عام ١٩٤٤ في مصر مما أثار انتباهه تجـاه ارتباط الاستعمار الإنجليزي. بالصهيونية – بالنظـام الملكي.
- شارك في حرب ١٩٤٨ في فلسطين. فـي كتائـب جماعة شباب محمد صلى ا   عليه وسلم. والإخوان المسلمين.
- شارك في قتال الإنجليـز فـي القنـال فـي بدايـة الخمسينيات ضمن كتائب شباب محمد صلى ا   عليه وسلم والإخوان المسلمين.
- استمر في جهاده وبعد حل جماعة شباب محمد صلى ا   عليه وسلم. قام بتكوين جماعة الهداية الإسـلامية واستمر في تأسيس المراكـز الإسـلامية – مركـز مسجد النور بالعباسية ومسجد الفتح بميدان رمسيس.

في هذا الإطار بدأت حرب ١٩٧٣..

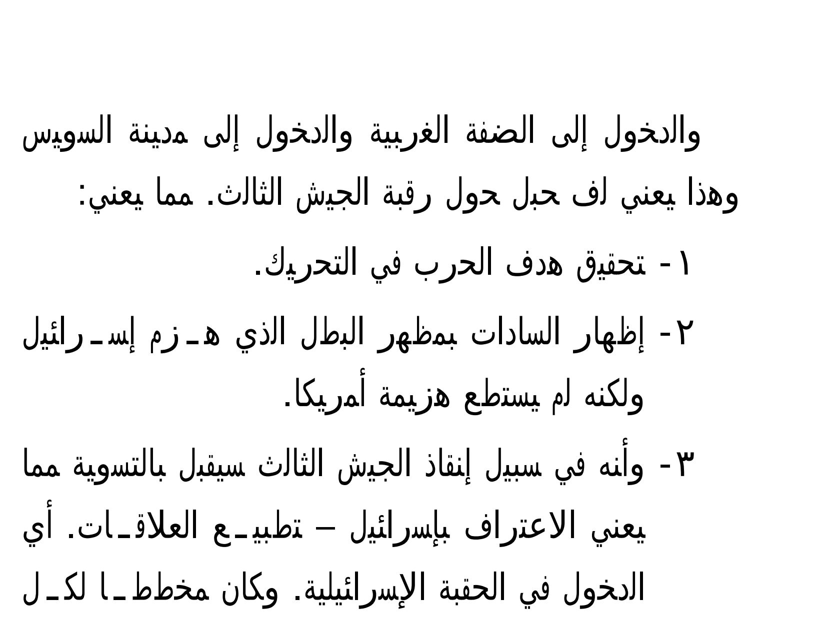
ولكن ما إن بدأ رجال القوات المسلحة الأبطال (وهم في النهاية جزء من الأمة) في تلقي الأمر بالقتال. حتى ظهرت إسلاميتهم ورفع شعار الله أكبر واستطاعوا بإمكانيات قليلة جدا. وبسلاح غير متكافئ بالمرة من أن ينزلوا ضربات موجعة وقاصمة بالعسكرية الإسرائيلية. واستطاعوا في ملحمة رائعة من عبور قناة السويس وتحرير ضفتها الشرقية.

وهرع كيسنجر إلى السادات يحذره. (لابد من تكبيل حركة رجال القوات المسلحة حتى لا تتحول الحرب إلى حرب تحرير – لقد اتفقنا على أنها حرب تحريك فقط).

ودخلت أمريكا المعركة عبر خط إمداد بالطائرات والدبابات لإسرائيل من الاحتياطي الاستراتيجي للقوات الأمريكية – معلنة أنها لن تسمح بتحقيق نصر شامل يمكن أن يكون نواة لحركة الجماهير في المنطقة كلها.

مما يطيح بالمصالح الاستعمارية كاملة.

وبدأ المخطط الشيطاني يعمل. كان لابد من اختراق قواتنا.



والدخول إلى الضفة الغربية والدخول إلى مدينة السويس وهذا يعني لف حبل حول رقبة الجيش الثالث. مما يعني:

١- تحقيق هدف الحرب في التحريك.

٢- إظهار السادات بمظهر البطل الذي هزم إسرائيل ولكنه لم يستطع هزيمة أمريكا.

٣- وأنه في سبيل إنقاذ الجيش الثالث سيقبل بالتسوية مما يعني الاعتراف بإسرائيل – تطبيع العلاقات. أي الدخول في الحقبة الإسرائيلية. وكان مخططا لكل هذا أن يتم في ٧٣.

الغريب هنا أنه لم يتم ضرب ما سمي وقتها بالثغرة. مما يدعو إلى العجب ولم يسمح لجماهير المنطقة بالقتال مع العدو تحت شعار أن القوات المسلحة تكفي.

ولكن شعب السويس البطل أفسد الخطة الأمريكية. وراح يقاتل في بسالة وشجاعة بقيادة البطل الشيخ حافظ سلامة مما جعل طبخة التسوية تتأخر كثيرا. ومما جعل النظام في مأزق وأصبح غير قادر على إتمام التسوية حيث إن:

١- لا يستطيع النظام أن يدعي أن الدخول في التسوية يعني إنقاذ الجيش الثالث. فالجيش صامد وشعب

السويس يلتحم معه ويمده بالماء والمئونات الغذائيـة ويحمي السويس في ملحمة رائعة.

٢- أن النظام بات يدرك أن الجماهير مازالت قوية وحية ونابضة وأنه مازال هناك مزيد من الوقت لتخديرها.

وهكذا فإن شعب السويس البطل قد غير معـالم المنطقـة بصورة فذة وحمى مدينته من السقوط. ولو سقطت المدينة لا سمح ا . لكان النظـام اسـتطاع أن يوقعنـا فـي الحقبـة الإسرائيلية سريعا وبشكل درامي.

* صحيح أن النظام بعد ذلك استطاع أن يوقع كامـب ديفيـد. ولكن قطاعات الجماهير الواسعة كانت في وضع سـمح لهـا أن تقف بصلابة ضد كامب ديفيد وأن تطيح بالسادات ذاته في النهاية. مما لم يكن متوفرا بالقطع وقتها لو سقطت السويس.

وهكذا فإن الشيخ حافظ سلامة. قد هـزم أمريكـا. كيسـنجر وإسرائيل والسادات. وأفسد الطبخة الأمريكية للتسوية.

كما أن الشيخ حافظ سلامة. قد دعم وأضـاف إلـى مسـيرة الجماهير الصاعدة من عز الدين الدين القسـام. وحتـى حـافظ سلامة.

* مرحلة ما بعد ٧٣ – (انظر الباب الأول).

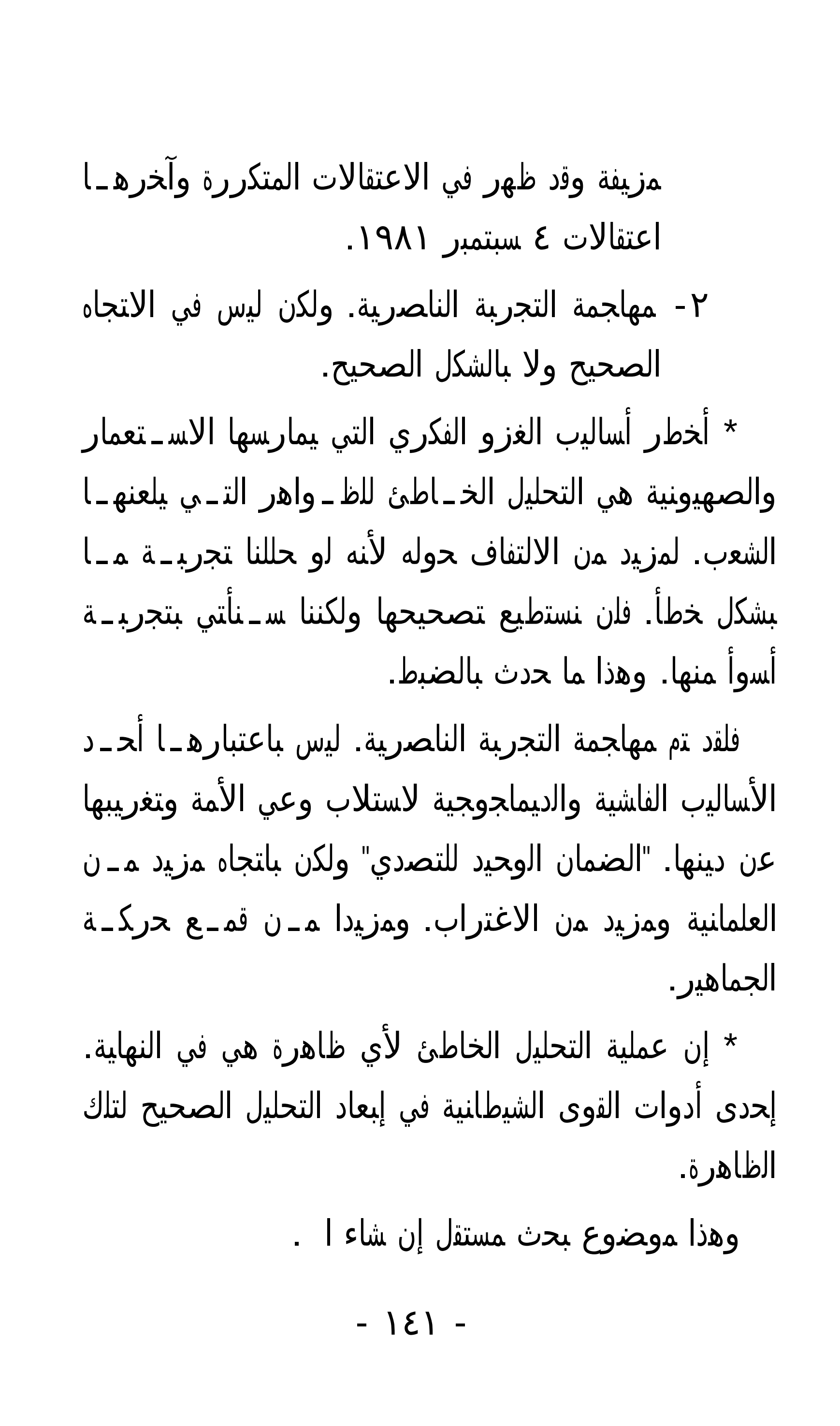
مرحلة ما بعد ٧٣

كانت الأمة قد مرت بمراحل عديدة من التحذير والتكبيل. وكانت الفترة الناصرية هي أقساها وأعنفها. وبانتهاء الفتـرة السوداء في تاريخ المنطقة. كانت الأمة قد سئمت كل مقولات وشعارات تلك الفترة. وأصبحت تقف موقف العداء الـواعي والغير واعي لشعارات تلك الفترة. وأصبحت تكره كل مـا يمت إلى الناصرية بصلة.

وهكذا كان على القوى الشيطانية أن تعمل لتصعيد نجـم جديد يرفع شعارات جديدة يحقق بها الالتفاف حولـه. وفـي نفس الوقت يحقق نصرا عسكريا يحقق مزيـدا مـن ذلـك الالتفاف ليتسنى له أداء دوره في تمرير الحقبة الإسـرائيلية. وهكذا كان السادات. وهكذا كانت حرب ٧٣.

وبدأت القوى الشيطانية تعمل بسرعة على النحو التالي:

١- رفع شعارات الديمقراطية وسيادة القانون ليلتـف الناس حول القيادة الجديدة الممثلة فـي السـادات. ولكنها ديموقراطية غير حقيقيـة وسـيادة قـانون



مزيفة وقد ظهر في الاعتقالات المتكررة وآخرهـا اعتقالات ٤ سبتمبر ١٩٨١.

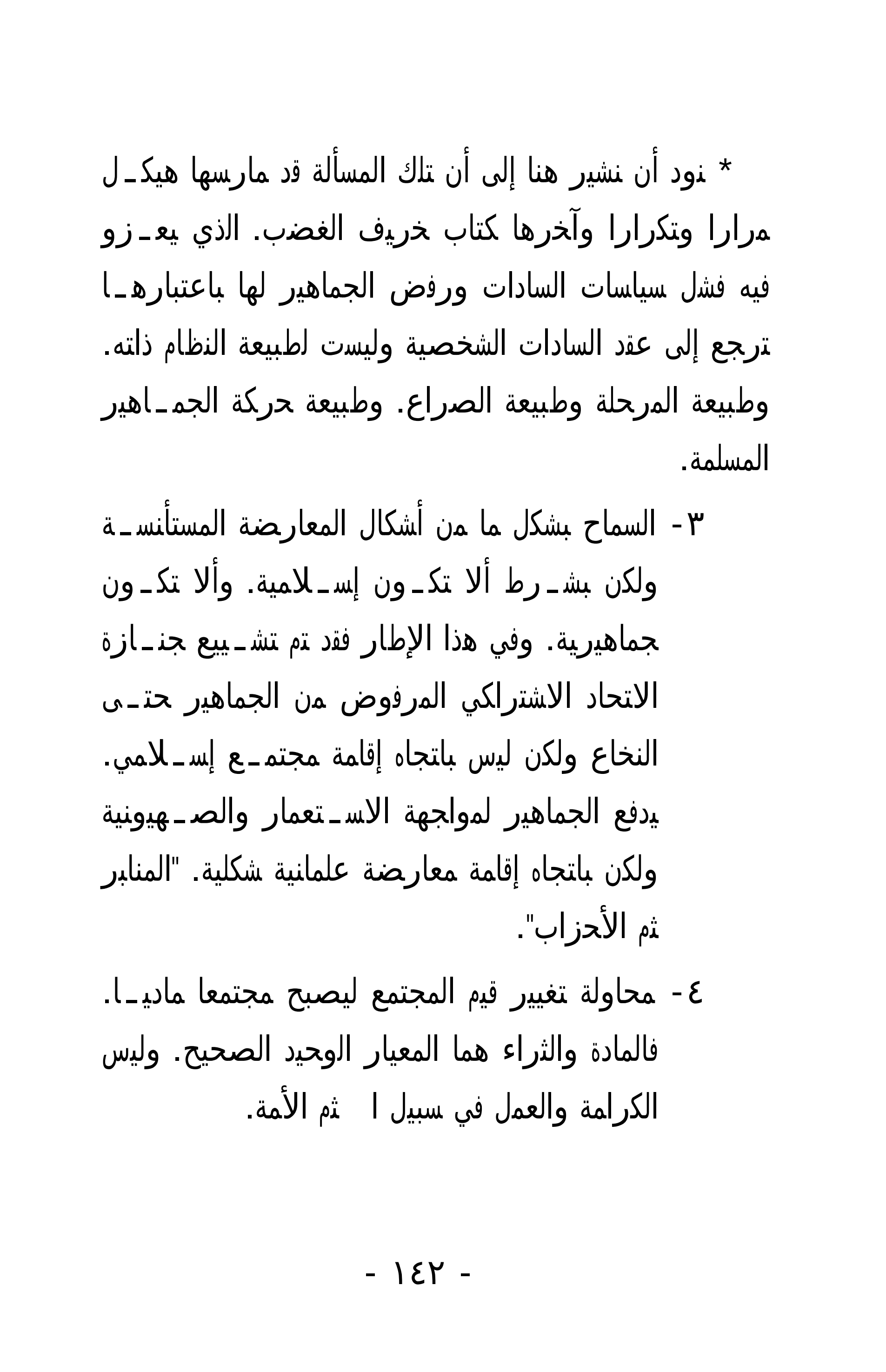
٢- مهاجمة التجربة الناصرية. ولكن ليس في الاتجاه الصحيح ولا بالشكل الصحيح.

* أخطر أساليب الغزو الفكري التي يمارسها الاسـتعمار والصهيونية هي التحليل الخـاطئ للظـواهر التـي يلعنهـا الشعب. لمزيد من الالتفاف حوله لأنه لو حللنا تجربـة مـا بشكل خطأ. فلن نستطيع تصحيحها ولكننا سـنأتي بتجربـة أسوأ منها. وهذا ما حدث بالضبط.

فلقد تم مهاجمة التجربة الناصرية. ليس باعتبارهـا أحـد الأساليب الفاشية والديماجوجية لاستلاب وعي الأمة وتغريبها عن دينها. "الضمان الوحيد للتصدي" ولكن باتجاه مزيد مـن العلمانية ومزيد من الاغتراب. ومزيدا مـن قمـع حركـة الجماهير.

* إن عملية التحليل الخاطئ لأي ظاهرة هي في النهاية. إحدى أدوات القوى الشيطانية في إبعاد التحليل الصحيح لتلك الظاهرة.

وهذا موضوع بحث مستقل إن شاء ا .



* نود أن نشير هنا إلى أن تلك المسألة قد مارسها هيكـل مرارا وتكرارا وآخرها كتاب خريف الغضب. الذي يعـزو فيه فشل سياسات السادات ورفض الجماهير لها باعتبارهـا ترجع إلى عقد السادات الشخصية وليست لطبيعة النظام ذاته. وطبيعة المرحلة وطبيعة الصراع. وطبيعة حركة الجمـاهير المسلمة.

٣- السماح بشكل ما من أشكال المعارضة المستأنسـة ولكن بشـرط ألا تكـون إسـلامية. وألا تكـون جماهيرية. وفي هذا الإطار فقد تم تشـييع جنـازة الاتحاد الاشتراكي المرفوض من الجماهير حتـى النخاع ولكن ليس باتجاه إقامة مجتمـع إسـلامي. يدفع الجماهير لمواجهة الاسـتعمار والصـهيونية ولكن باتجاه إقامة معارضة علمانية شكلية. "المنابر ثم الأحزاب".

٤- محاولة تغيير قيم المجتمع ليصبح مجتمعا ماديـا. فالمادة والثراء هما المعيار الوحيد الصحيح. وليس الكرامة والعمل في سبيل ا   ثم الأمة.

وأصبح من الطبيعي أن يدفع النظام عبر أجهزة الإعـلام "أفلام. مسلسلات. مقالات. تحقيقات صحفية. كتب.. إلخ" أن يدفع الأمة في اتجاه التكالب على الربح والثراء. بأي ثمن.

٥- إغراق الأسواق بالسلع الترفيهية.

٦- إعلان سياسة الانفتاح الاقتصادي – وهـو شـكل ملائم جدا للحقبة "الإسرائيلية – الأمريكية" ليسـهل للاحتكارات الصـهيونية والأمريكيـة امتصـاص قوتنا.

٧- رفع شأن المخنثين وعديمي الرجولة. واعتبـارهم نجوما لامعة وأبطالا قوميين. ومثلا يحتذى به. من الراقصات. والممثلين الساقطين العرب والأجانب، بل واستقبالهم في ضيافة السادات.

٨- إغراق الأسواق بالكتب الجنسية والأشرطة المنافية للآداب.

٩- وهكذا أصبح المجتمع. مجتمع الساقطين – انفتاح. سمسرة. عمولات. استيراد وتصدير. تجارة عملة. إلخ.

١٠- محاولة ربط مسألة الرخاء. بمسألة الصلح مع إسرائيل. وأنها والحروب وغيرها من المقولات التي سادت تلك الفترة. بل إننا نجد كثيرا من الكتاب يطالب بإنهاء الحروب والتصالح مع إسرائيل.

١١- دفع مصر باتجاه إحياء الوطنية المصرية كبديل للقومية العربية وليس دفع الانتماء العربي إلى انتماء أوسع "الانتماء الإسلامي".

١٢- استبدال القطاع العام بالقطاع الانفتاحي غير المنتج وتصفية كل إنتاج محلي باتجاه إقامة طبقة طفيلية تتميز بالباطجة السياسية والرغبة في الربح السريع.

على أن تكون تلك الطبقة الطفيلية وكيلة للاحتكارات العالمية المرتبطة بالاستعمار والصهيونية. بل وإلغاء المقاطعة للسلع الإسرائيلية، وهكذا أصبح المجتمع ملائما للحقبة الإسرائيلية.

وهكذا تحرك السادات باتجاه. مفاوضات الكيلو ١٠١.

- فعن الاشتباك الأول والثاني.
- فتح قناة السويس.
- وأخيرا زيارة السادات الدراماتيكية للقدس. مع التركيز على أن الصراع بيننا وبين الكيان الصهيوني هو من الأساس صراع نفسي وليس صراعا حضاريا عقائديا تاريخيا. يمتد في التاريخ والجغرافيا إلى أبعد الحدود.
- التبشير بمقولة أن ٩٩% من أوراق اللعب هي بيد أمريكا. وليست بأيدي الأمة المسلمة والجماهير المؤمنة الملتزمة بالإيمان بها وبالأيديولوجية الإسلامية. وحرب التحرير الشعبية الإسلامية مع التركيز على إفقاد الأمة ثقتها بنفسها وفي قدرتها على المواجهة.
- وأخيرا توقيع كامب ديفيد مع تغطية إعلامية واسعة ومضللة وكامب ديفيد تعني:

(أ) الاعتراف بإسرائيل.

(ب) الانسحاب من سيناء على أن تكون خالية من السلاح "منزوعة السلاح".

(جـ) انتهاء حالة الحرب.

(د) تطبيع العلاقات "سفراء. وتبادل اقتصادي.. إلخ)

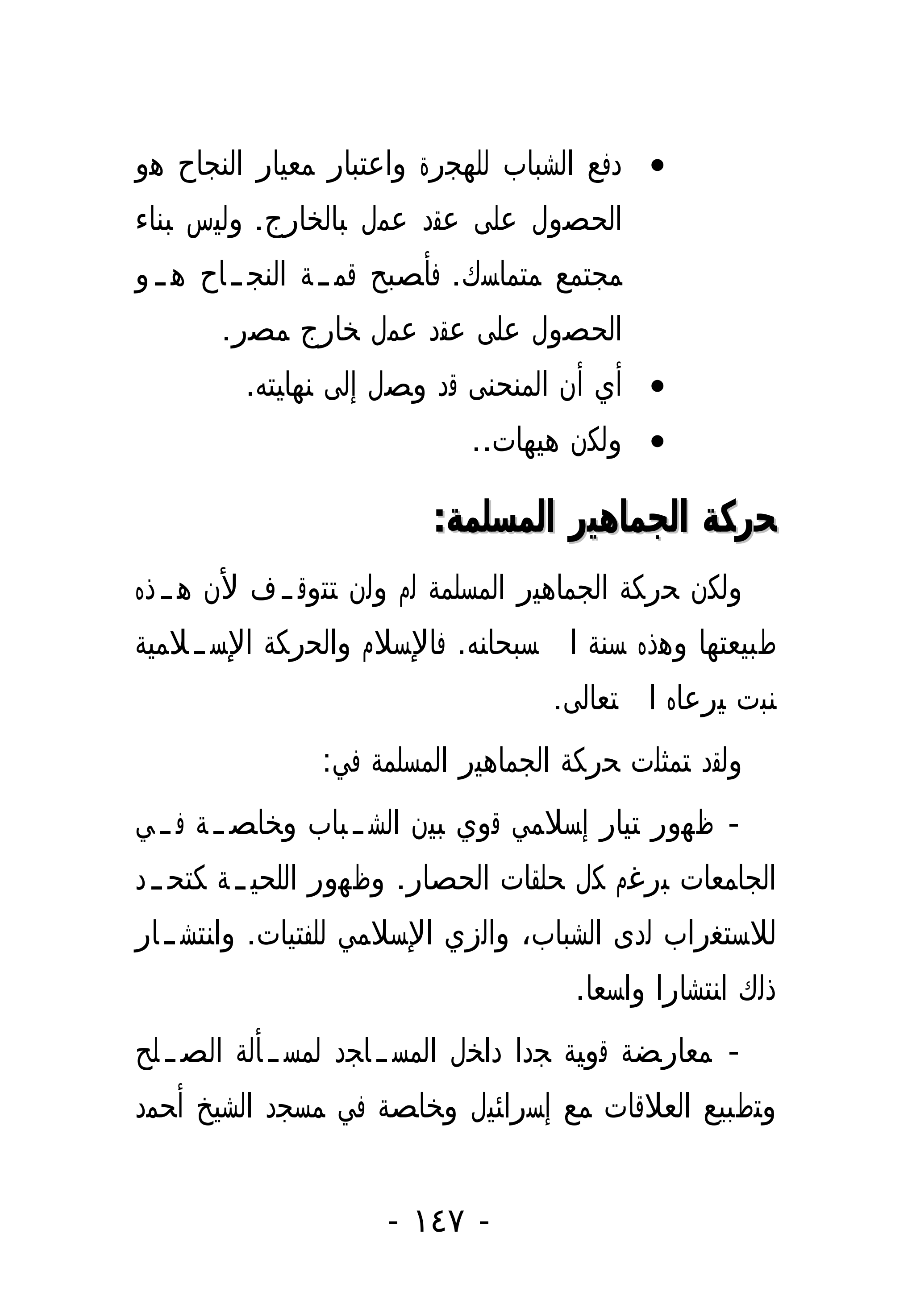
(هـ) شكل ما من أشكال حل القضية الفلسـطينية مـبهم وغير واضح ولكنه في كل حال يسقط كل شكل من أشكال رفض إسرائيل جذريا.

وهكذا وبتوقيع كامب ديفيد تبدأ الحقبة الإسـرائيلية التـي تتميز بـ:

١- مجتمع الرأسمالية الطفيلية.

٢- إغراق الأسواق بالبضائع الإسرائيلية.

- دفع المجتمع نحو التفسخ الأخلاقـي – أفـلام جنسية وأشرطة فيديو بل وحتى تغيير قـانون الأحوال الشخصية باتجاه تفسـخ الأسـرة – وإقامة امرأة ورجل مطلقان في بيت واحـد.. إلخ.
- أي في النهاية تصعيب الزواج – قانون مشبوه من أوله إلى آخره يدفع المجتمع للانحراف – تحكم النساء في الرجال.. إلخ.



- دفع الشباب للهجرة واعتبار معيار النجاح هو الحصول على عقد عمل بالخارج. وليس بناء مجتمع متماسك. فأصبح قمـة النجـاح هـو الحصول على عقد عمل خارج مصر.
- أي أن المنحنى قد وصل إلى نهايته.
- ولكن هيهات..

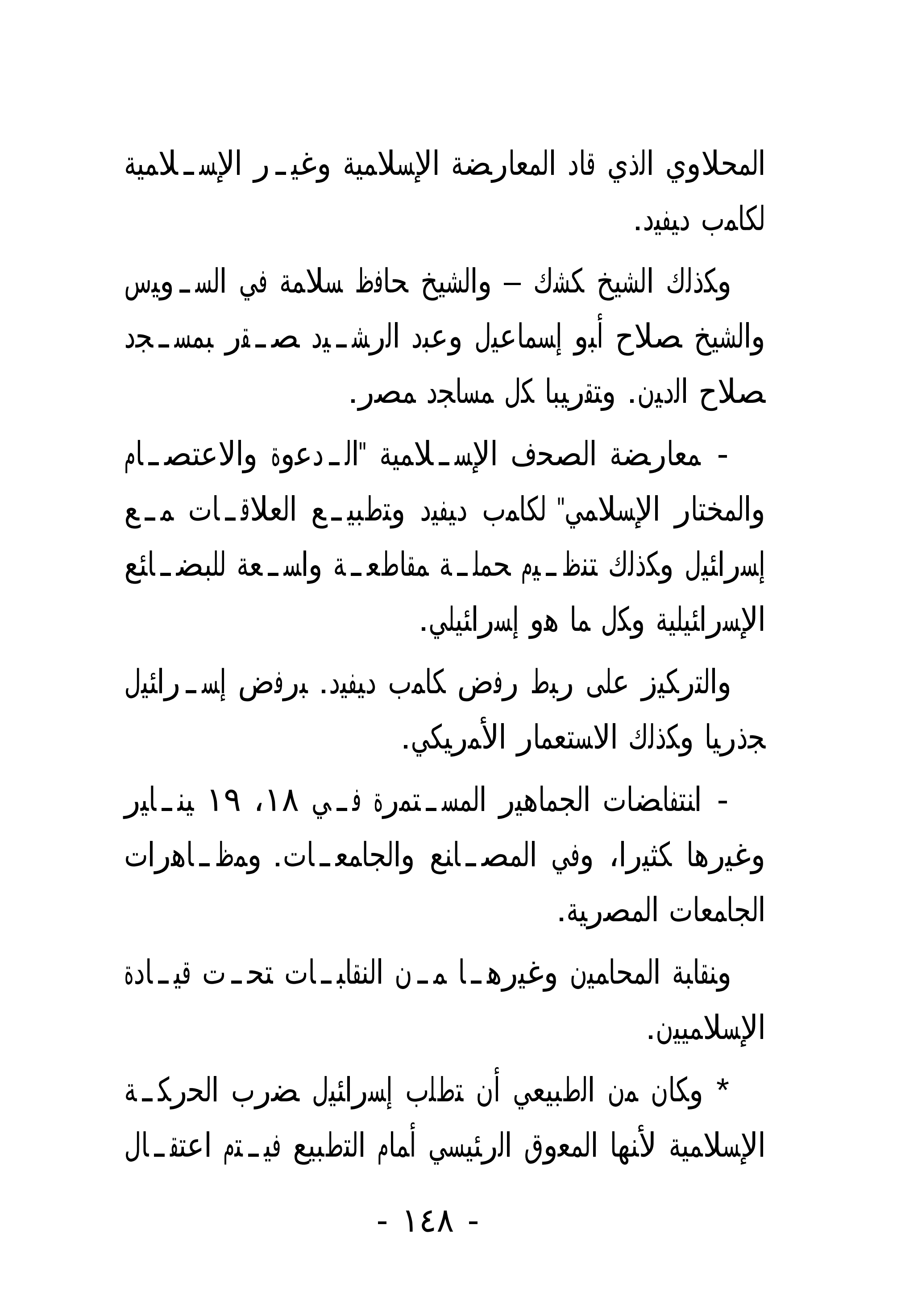
حركة الجماهير المسلمة:

ولكن حركة الجماهير المسلمة لم ولن تتوقـف لأن هـذه طبيعتها وهذه سنة الله سبحانه. فالإسلام والحركة الإسـلامية نبت يرعاه الله تعالى.

ولقد تمثلت حركة الجماهير المسلمة في:

- ظهور تيار إسلامي قوي بين الشـباب وخاصـة فـي الجامعات برغم كل حلقات الحصار. وظهور اللحيـة كتحـد للاستغراب لدى الشباب، والزي الإسلامي للفتيات. وانتشـار ذلك انتشارا واسعا.

- معارضة قوية جدا داخل المسـاجد لمسـألة الصـلح وتطبيع العلاقات مع إسرائيل وخاصة في مسجد الشيخ أحمد



المحلاوي الذي قاد المعارضة الإسلامية وغير الإسلامية لكامب ديفيد.

وكذلك الشيخ كشك – والشيخ حافظ سلامة في السويس والشيخ صلاح أبو إسماعيل وعبد الرشيد صقر بمسجد صلاح الدين. وتقريبا كل مساجد مصر.

- معارضة الصحف الإسلامية "الدعوة والاعتصام والمختار الإسلامي" لكامب ديفيد وتطبيع العلاقات مع إسرائيل وكذلك تنظيم حملة مقاطعة واسعة للبضائع الإسرائيلية وكل ما هو إسرائيلي.

والتركيز على ربط رفض كامب ديفيد. برفض إسرائيل جذريا وكذلك الاستعمار الأمريكي.

- انتفاضات الجماهير المستمرة في ١٨، ١٩ يناير وغيرها كثيرا، وفي المصانع والجامعات. ومظاهرات الجامعات المصرية.

ونقابة المحامين وغيرها من النقابات تحت قيادة الإسلاميين.

* وكان من الطبيعي أن تطلب إسرائيل ضرب الحركة الإسلامية لأنها المعوق الرئيسي أمام التطبيع فيتم اعتقال

الشيخ أحمد المحلاوي، ثم ما تلا ذلك من أحـداث دراميـة واعتقالات في ٤ سبتمبر على أثر افتعال أحـداث الزاويـة الحمراء على يد النبوي إسماعيل وزير داخلية السادات.

مما أدى في النهاية إلى تصفية السادات فـي ٦ أكتـوبر ١٩٨١ في العرض العسكري علـى يـد منظمـة الجهـاد الإسلامي. وهكذا تسقط الحقبة الإسـرائيلية وكامـب ديفيـد عمليا. وتدخل المنطقة في مرحلة جديدة.

*　　*　　*

الفصل الخامس

حرب الصيف الثاني والثمانين

انطلاقا مما تقدم وبمعرفة معطيات الواقع التاريخي في مرحلة حرب ٨٢ وما قبلها بقليل، نستطيع أن نفهم أهداف حرب ٨٢ من قبل العدو الصهيوني.

ولن يكون غريبا علينا في هذا الإطار أن نفهم لماذا كانت معظم الأنظمة العربية تدعم وبشكل مباشر، بل وتحفظ الكيان الصهيوني نحو تصفية تناقضها مع المقاومة سريعا؟!

وهكذا فإن عام ٨٢ بدأ وكانت القوى قد أفرزت على النحو التالي:

١- الكيان الصهيوني رأس الحربة الاستعمارية مدعوما من الحضارة الغربية ممثلة في أمريكا وأوروبا (الرأسمالية والشيوعية).

٢- الأنظمة العربية وقد أصبحت بشكل أو بآخر في معسكر واحد مع الكيان الصهيوني.

٣- المقاومة الفلسطينية (قيادات المنظمة) ذات الطبيعة والظروف الخاصة.

٤- القوى الصليبية المحلية ذات الطبيعة الخاصة أيضا ولننظر الآن في دور كل قوة من هذه القوى:

* الأنظمة العربية: تغري الكيان الصهيوني بحل التناقض مع تيارات المقاومة عن طريق الحل العسكري مقدمة كل عون وخاصة من البترول لإدارة آلة الحرب الإسرائيلية سواء بطريقة مباشرة أم بطريقة غير مباشرة وتقدم عونا ماديا للكتائب اللبنانية مع محاولة استدراج المقاومة لمستنقع الخيانة بكل الطرق.

وضع حاجز كثيف يمنع وصول الدعم الجماهيري إلى المقاومة داخل لبنان.

الاستعداد لمساعدة إسرائيل عن طريق المفاوضات التي تعوق الجماهير المقاتلة وتخدرها وأخيرا بيانات الشجب والاستنكار المثيرة للضحك.

* القوى الصليبية المحلية: سعد حداد. الكتائب. إلياس سركيس. فؤاد بطرس.. إلخ.

هذه القوى تملك وضعا خاصا يتمثل فـي أنهـا تعـرف انتماءها بأنه لا عربي ولا إسـلامي بـالطبع بـل معاديـة للجماهير بشكل مباشر وتسعى لإقامة كيان متميز داخل لبنان يستند على الكيان الصهيوني داخل فلسطين. وهـذا الكيـان يختلق مبررات تاريخية وعربية خاصة به جعلها تقف فـي كل مراحل تاريخ الصراع في المعسكر المعادي للجمـاهير المسلمة هذا رغم عدم جدية مبررات القوى الصليبية المحلية التي لم تجد يوما اضطهادا من قبل القوى الإسـلامية علـى طول التاريخ وعرضه.

ولقد قامت تلك القـوى الصـليبية باسـتمرار بضـرب الجماهير المسلمة بلا هوادة وبشكل يدعو للاستفزاز وضرب رجال المقاومة المسلمة الفلسطينية ممـا أدى إلـى تفجيـر الصراع في لبنان من أوائل السبعينيات وحتى الآن.

كما قامت القوى الصليبية بمساعدة آلة الحرب العسـكرية في اقتحام كثير من المواقع مثل معركة كلية العلـوم وبقيـام الموارنة بالعمل كأدلاء ومرشدين لقوات العدو المعتدية.

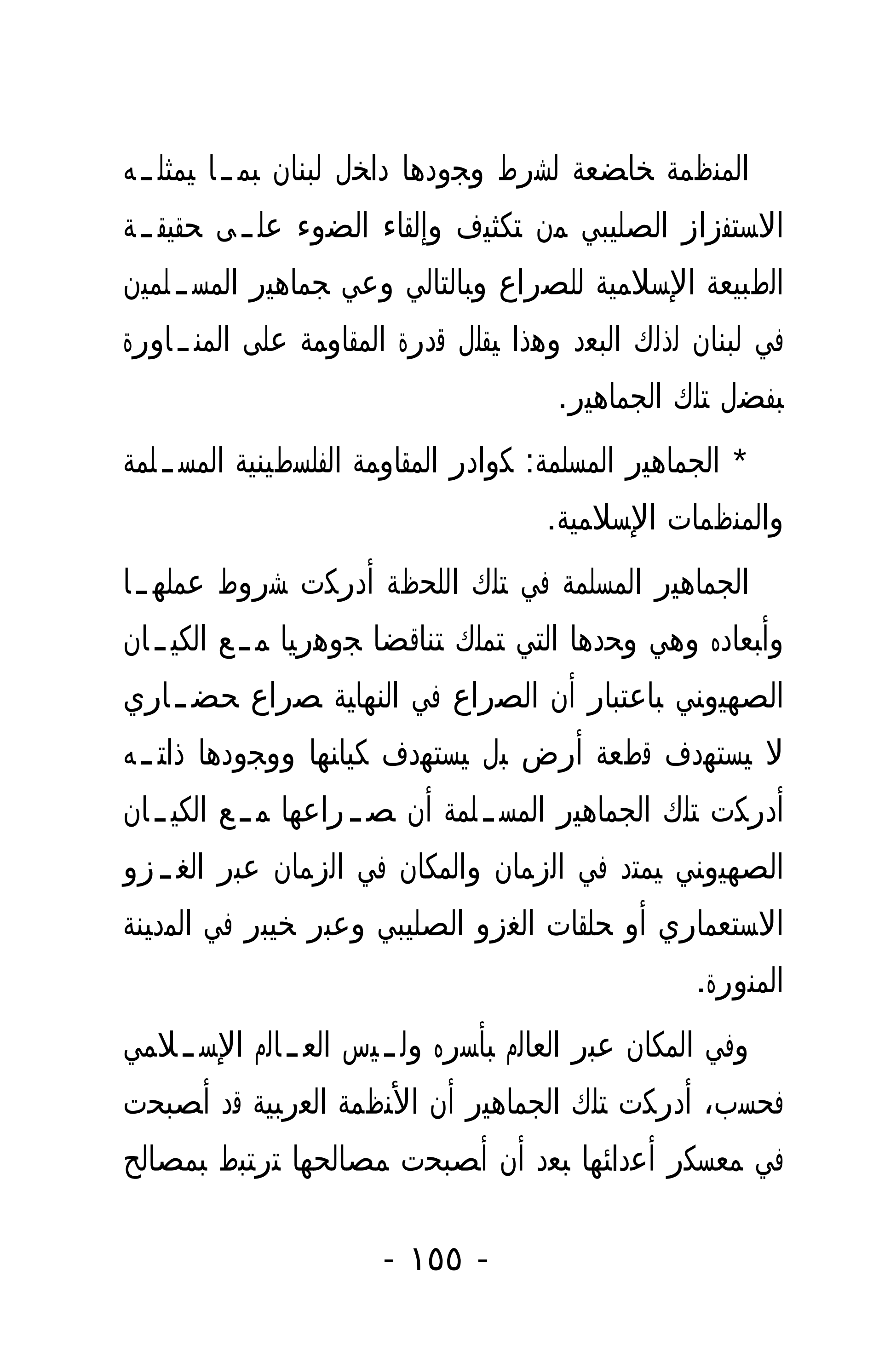
ولا يخفى علينا الدور الكبير الذي قام به الصليبيون فـي إقناع قادة العدو باستئصال المقاومة نهائيا من لبنان وخاصة بيروت.

قيادة المقاومة الفلسطينية:

يمكننا أن نفهم الطبيعة الخاطئة التـي تملكهـا المقاومـة الفلسطينية كقيادة فيما لو رجعنا لما سـبق أن ذكرنـاه عـن طبيعة المنظمة والشروط التي تعمل فيها والتي نلخصها مرة أخرى نظرا لأهميتها.

تمتلك المنظمة هامشا من التناقض مع الكيان الصـهيوني وهو المستهدف من حرب ٨٢.

طبيعة تركيب المنظمة وأيديولوجيتها في مواجهة الغـزوة الصهيونية بمعنى أن المنظمة في النهاية تركيـب علمـاني (قـومي – وطنـي – اشـتراكي.. إلـخ) وبالتـالي فإنهـا لا تملك الرؤية الصحيحة لطبيعة الصراع كما أنها لا تملـك حتى النهاية، القدرة على التصدي للهجمة الغربية باعتبارهـا تحمل مقولاتها في النضال، فكيف تتحدى مثلها الأعلى؟



المنظمة خاضعة لشرط وجودها داخل لبنان بمـا يمثلـه الاستفزاز الصليبي من تكثيف وإلقاء الضوء علـى حقيقـة الطبيعة الإسلامية للصراع وبالتالي وعي جماهير المسـلمين في لبنان لذلك البعد وهذا يقلل قدرة المقاومة على المنـاورة بفضل تلك الجماهير.

* الجماهير المسلمة: كوادر المقاومة الفلسطينية المسـلمة والمنظمات الإسلامية.

الجماهير المسلمة في تلك اللحظة أدركت شروط عملهـا وأبعاده وهي وحدها التي تملك تناقضا جوهريا مـع الكيـان الصهيوني باعتبار أن الصراع في النهاية صراع حضـاري لا يستهدف قطعة أرض بل يستهدف كيانها ووجودها ذاتـه أدركت تلك الجماهير المسـلمة أن صـراعها مـع الكيـان الصهيوني يمتد في الزمان والمكان في الزمان عبر الغـزو الاستعماري أو حلقات الغزو الصليبي وعبر خيبر في المدينة المنورة.

وفي المكان عبر العالم بأسره ولـيس العـالم الإسـلامي فحسب، أدركت تلك الجماهير أن الأنظمة العربية قد أصبحت في معسكر أعدائها بعد أن أصبحت مصالحها ترتبط بمصالح

الصهيونية الغربية ضد الجماهير ذاتها لقد قال أحد المقاتلين: إن القنابل التي أسقطتها علينا الطائرات كانت بفضل البترول العربي الذي سير هذه الطائرات كما أدركت تلك الجمـاهير الطبيعة الخاصة لقيادة منظمة التحرير الفلسطينية أي أنها لن تخرج من أن تكون خاضعة لشروط تناقضها مع إسرائيل أي أنها ستقف مع الجماهير ولكن بحدود فإنهـا ستخضـع فـي النهاية لطبيعتها التفاوضية وهكذا فـإن الجمـاهير أدركـت بوعيها أن عليها أن تدفع قيادات المنظمة لأخذ قرار الصمود وأيضا أدركت الجماهير المسلمة أنها تعمل تحـت شـروط خاصة وأفضل بمعنى أنها في مواجهة الغـزوة الصـهيونية وجها لوجه لا يحول بينها قوة قمع كما حدث فـي المـرات السابقة – القسام – حافظ سلامة – معركة الكرامـة (تحـت مظلة النظام الأردني)... إلخ.

وذلك بسبب طبيعة السلطة في لبنان وظـروف منظمـة التحرير وهكذا فإن العوائق لن تكون كبيرة في هـذه المـرة لمواجهة الكيان الصهيوني وجها لوجه.

هذا ولم تغفل تلك الجماهير المسلمة عن بعض العوامـل التي تزيد مهمتها صعوبة بمعنى وجود طابور خامس داخـل

لبنان يعمل لصالح إسرائيل وبمعنى أنها تقف وحدها وبمعنى أنها تواجه أقوى الجيوش في المنطقة وبمعنى عـدم تكـافؤ تسليحها مع تسليح الكيان الصهيوني... إلخ.

وهكذا بدأت الحرب:

بدأت حرب ٨٢ بما سمي وقتها بعملية سلام الجليل ولقـد رسمت القيادة العسكرية الصهيونية خطتها على أنها مجـرد عملية محدودة يتم فيها حل التناقض مـع المقاومـة بمعنـى ضربها ضربات تكتيكية تخرجها من لبنـان وتقربهـا مـن شروط التسوية ولكن يبدو أن مخططي السياسة الإسـرائيلية أغفلوا في هذه المرة شروط عمل الجماهير المسلمة الشجاعة بل والإيجابية وهكذا لم تكن العملية المحدودة قـادرة علـى تحقيق ذلك.

وهكذا سارعت قيادة العدو إلى تطوير العملية مسـتخرجة كل قواها النظامية ونصف الاحتيـاطي ١٣٥ ألـف جنـدي ومستعملة الكتائب وسعد حداد وبقية القوى الصليبية.

إن نظرة لتلك الحرب تعطينا المؤشرات التالية:

١- لقد جند العدو الصهيوني آلـة حربـه الاسـتعمارية مسلحة بأحدث السلاح الغربي مكتسبة خبرة أربعة حـروب سابقة ضد جبهة واحدة منفردة هي الجبهة الإسلامية المكونة مـن رجـال المقاومـة الفلسـطينية وجمـاهير المسـلمين المستضعفين.

وبالطبع ليس هناك وجه للمقارنة بين تسليح هـذه القـوة وتلك ووقفت الجماهير المسلمة تقاتل من موقع إلـى موقـع رغم ظروفها الصعبة معتمدة على عون ا ومدده ومستعملة إيمانها العميق الذي يضرب في جذور التـاريخ ومسـتلهمة مواقف خالد والحسين والقسام وحافظ سلامة ورجال معركة الكرامة ولقد استطاعت تلك الجماهير أن تنزل بآلة الحـرب الصهيونية خسارة موجعة اعترف بها الجنرال إيتان رئـيس أركان حرب العدو في تقرير نشر في مجلة الجيش الرسمية (سبعة وعشرون ألفا وخمسمائة وستون إصابة بـين قتيـل وجريح ومفقود وهو أعلى رقم تكبدته دولة العدو في تاريخها على الإطلاق ويفوق ضعف خسائرها في الحروب السابقة).

* لقد صمد المقاتلون البواسل داخل مدينة بيروت الغربية برغم حصار الجوع والعطش وبرغم أكثر من نصف مليون

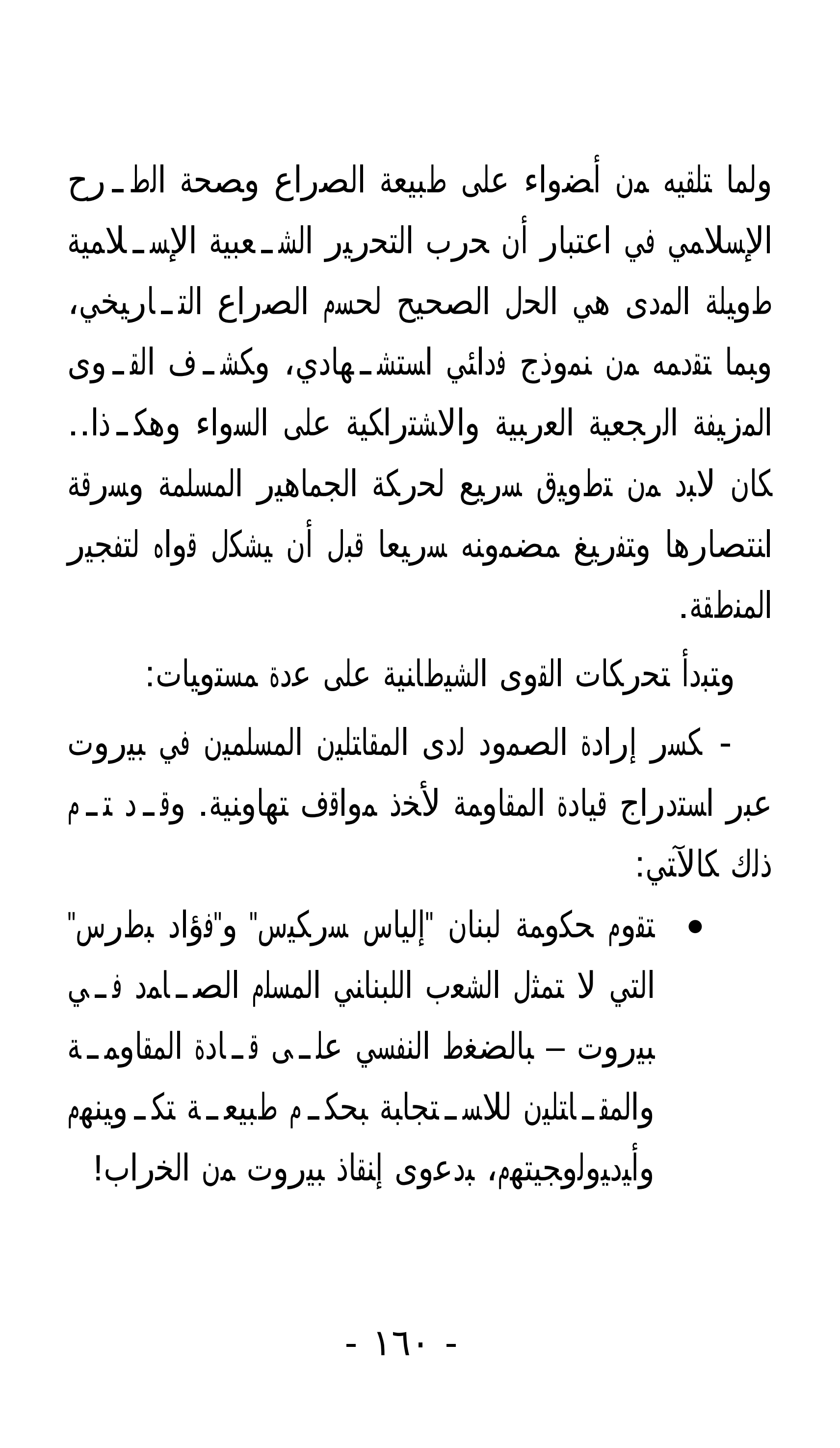
صاروخ تثبت أن بيروت الغربية هي أول مدينة في التاريخ العسكري ظلت تقصف من البر والبحر والجو في وقت واحد بالإضافة إلى حصار الجوع والعطش ومع ذلـك لـم تتقـدم القوات الإسرائيلية بل ظلت مغروسة في الوحل على حدودها تنزف الدم وتهلل لتقدمها مترا أو مترين على هذا المحور أو ذاك لتعود بعد ساعات مقهورة.

وقد قدر الخبراء العسكريون الإسرائيليون ثمـن اقتحـام بيروت بخمسين ألف إصابة.

وهكذا كانت الجماهير المسلمة على وشك تحقيق نصـر استراتيجي واسع النطاق كان كفيلا بإسقاط الحقبة الإسرائيلية بكاملها وبما فيها الأنظمة العربية العميلة.

وهنا لجأت المؤسسة الإسرائيلية إلى الاستنجاد بحلفائهـا لتحقيق ما لم تستطع تحقيقه المؤسسة العسكرية الصـهيونية ولتتكرر نفس مأساة ١٩٤٨.

إن المد الجماهيري ضد الأنظمة العربية بدأ يتسـع إبـان حصار بيروت، وإن استمرار صمود الجماهير المسلمة فـي بيروت يعني خطرا حقيقيا على تلك الأنظمة بما تشكله تلـك الجماهير المسلمة الصامدة من إلهام للجماهير خارج لبنـان،



ولما تلقيه من أضواء على طبيعة الصراع وصحة الطـرح الإسلامي في اعتبار أن حرب التحرير الشـعبية الإسـلامية طويلة المدى هي الحل الصحيح لحسم الصراع التـاريخي، وبما تقدمه من نموذج فدائي استشـهادي، وكشـف القـوى المزيفة الرجعية العربية والاشتراكية على السواء وهكـذا.. كان لابد من تطويق سريع لحركة الجماهير المسلمة وسرقة انتصارها وتفريغ مضمونه سريعا قبل أن يشكل قواه لتفجير المنطقة.

وتبدأ تحركات القوى الشيطانية على عدة مستويات:

- كسر إرادة الصمود لدى المقاتلين المسلمين في بيروت عبر استدراج قيادة المقاومة لأخذ مواقف تهاونية. وقـد تـم ذلك كالآتي:

- تقوم حكومة لبنان "إلياس سركيس" و"فؤاد بطرس" التي لا تمثل الشعب اللبناني المسلم الصـامد فـي بيروت – بالضغط النفسي علـى قـادة المقاومـة والمقـاتلين للاسـتجابة بحكـم طبيعـة تكـوينهم وأيديولوجيتهم، بدعوى إنقاذ بيروت من الخراب!

- تقوم الأنظمة الرجعية العربيـة بـالتلويح لقيـادة المقاومة (المهزومـة قبـل أن تـدخل المعركـة) بإمكانية الخروج من بيروت سـالمين وبإمكانيـة التسوية وبإعطائها وعدا بالضغط علـى أمريكـا لتسمح بقيام دولة فلسطينية على جزء من الأرض.
- تقوم أمريكا بإرسال مبعوثها (فيليب حبيب) لطـبخ التسوية، ولتحقيق فتح بيروت على إسـرائيل دون قتال، ومنع جماهير المسلمين من تحقيق انتصارها الفذ.

ولاشك أن قيادة المنظمة قد استجابت لهـا، نظـرا لمـا ذكرناه من قبل أن طبيعتها غيـر الإسـلامية (العلمانيـة)، ولافتقادها الرؤية الحضارية للصراع فإنها سريعا ما تبيع دم المقاتل وتتفاوض (التفاوض سمة أساسية من سـمات تلـك القوى غير الإسلامية).

وهكذا تم استدراج ياسر عرفات (لاحظ المنزلـق) وهـو استقبال مبعوث البرلمان الأمريكي (ماكلوبسـكي) وإصـدار الوثيقة المشهورة أثناء الحصار ضمنها اعتـراف المنظمـة

بجميع القرارات الصادرة من الأمـم المتحـدة فـي شـأن الفلسطينيين مما يترجم في النهاية اعترافه بالعدو.

ولقد كانت تلك الوثيقة أخطر من قنابل الطائرات والبحرية وكل آلة الحرب الإسرائيلية التي لـم تسـتطع إسـقاط إرادة القتال والصمود لدى الجماهير المسلمة للشعبين الفلسـطيني واللبناني. ومن مارس الحرب يعرف أهمية إرادة الصـمود في تحقيق النصر. إن تلك الوثيقة قد شرخت إرادة الصـمود لدى المقاتلين ولكي ندرك ذلك لابد أن نعرف أسباب صمود الجماهير المسلمة للشعبين الفلسطيني واللبناني.

إن صمود تلك الجماهير المسلمة ينبع أساسا من وعي تلك الجماهير لطبيعة الصراع الإفنائي بينها باعتبارها تمثل فـي تلك اللحظة طليعة الأمة الإسلامية وفلذة كبدها وبـين رأس الحربة الغربية الممثلة في إسرائيل لإفناء الكيان الحضـاري لتلك الأمة.

ينبع صمود تلك الجماهير من ذلك الامتداد العميـق فـي التاريخ باتجاه بدر وغار حراء في مواجهـة خيبـر وبنـي قينقاع.

ينبع من إدراكها أن تلك المواجهة تمثل صـراع القـوى الإسلامية في مواجهة القوى الشيطانية وبالتالي فهـي تمثـل محمدا صلى ا عليه وسلم في مواجهة الشـيطان، وتمثـل الحسين في مواجهة يزيد، وتمثل خالدا في مواجهة هرقل.

فإذا بالمناضل "ياسر عرفات" يسحب ذلك البعد التاريخي والاستراتيجي الفذ والممتد لغايات بعيدة يسحبه ويستبدله ببعد صـــغير حقيـــر مجـــرد مـــن أي زمـــن تـــاريخي أو أيديولوجي مستندا على مجرد الظفر بقطعـة أرض كمـا حددت تلك القرارات الدولية – وهكذا فـإن الحـافز علـى الاستمرار في القتال قد سقط مادام الأمر يتلخص في قطعـة أرض ستوفرها في النهاية مفاوضات الغرف المكيفة!!..

وهكذا فإن تلك الوثيقة كانت شرخا هـائلا فـي صـمود الجماهير المسلمة للشعبين اللبناني والفلسطيني داخل بيروت.

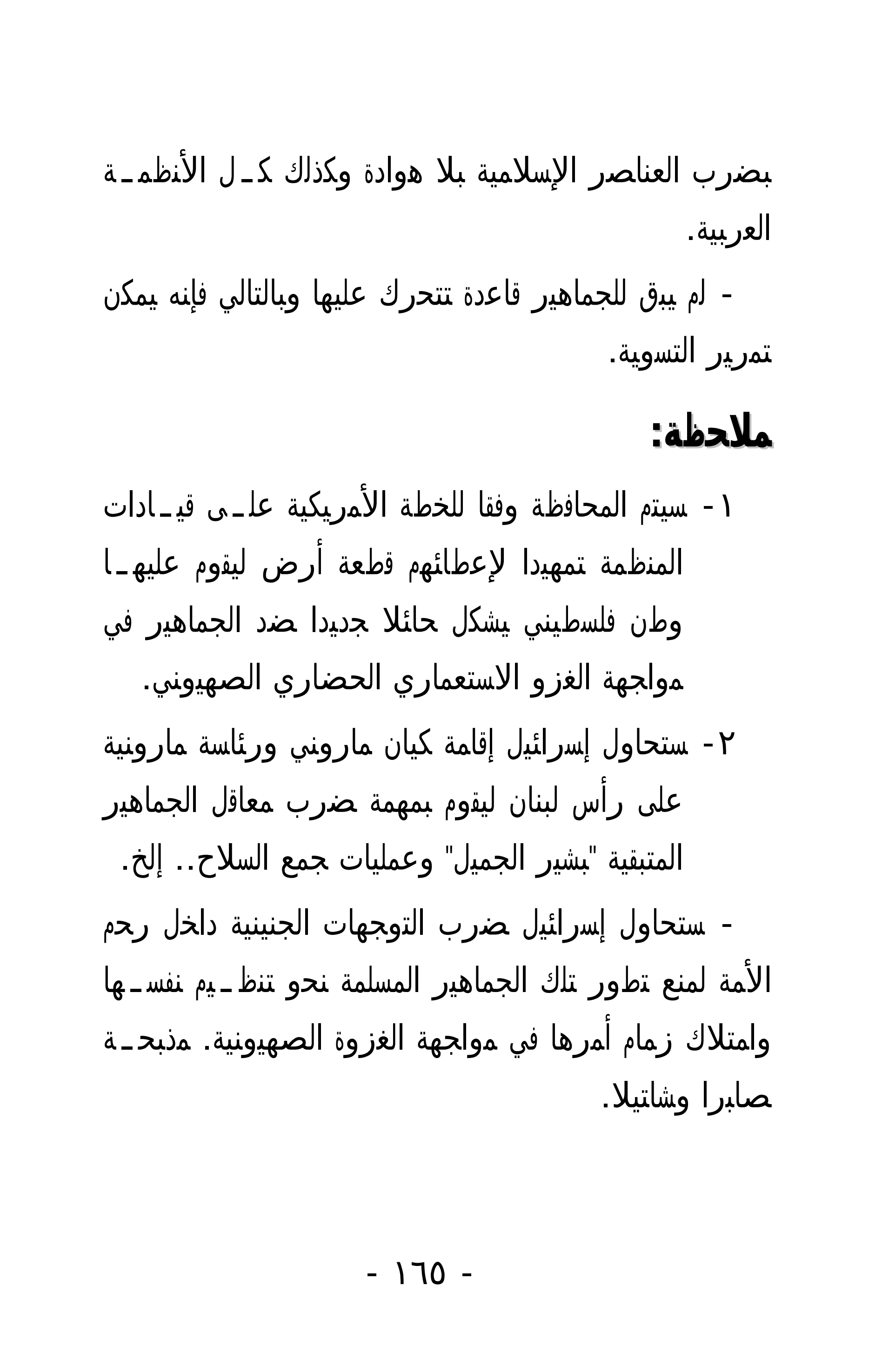
وهكذا فبعد أن تم تحقيق ذلك الشرخ فلا مانع من مرحلة تالية من مراحل التفاوض وليبدأ "حبيب" اسـتكمال تحقيـق النصر للهجمة الغربية وليدخل "فيليب حبيب" بيروت مشفوعا بتأييد البعض ليحقق ما لم تستطع آلة الحـرب الإسـرائيلية تحقيقه.

وهكذا يقوم "فيليب حبيب" بطبخ مؤامرة تسوية لإخـراج المقاتلين من بيروت وبذلك يحقـق "فيليـب" والمغـرر بـه "عرفات" أهداف المتآمرين ولنقترب من التكـريس النهـائي للحقبة الإسرائيلية بمعنى:

- أنه بتصفية التناقض بين المقاومة الفلسطينية وإسرائيل عبر إخراجها من بيروت وتشتيت قواتها وإفقـاد الجمـاهير المسلمة لحليف قوي لم تعد إسرائيل تواجه سوى الجمـاهير المسلمة – المستعصية على الضرب والإفناء – (وفي الحقيقة فإن إسرائيل على طول تاريخها لم تواجه تحديا حقيقيا إلا من تلك الجماهير في طول تاريخ الصراع):

- إن خروج المقاومة من لبنان يعني سحب نـواة جيـدة كان يمكنها أن تتحول إلى قوة جماهيرية هائلة لإزاحة الحقبة الإسرائيلية بكاملها ولتشكل جدارا صـلبا يمكـن أن يسـقط التسوية في النهاية برغم أنف قيادات المنظمة نظرا للظروف الخاصة في لبنان..

وهكذا فإن آخر معاقل الجماهير قد سقط، يلاحظ في هـذا الإطار ضرب الملك حسين للجماهير المسلمة فـي معـارك أيلول الأسود وإخراجها من الأردن.. قيام النظـام السـوري



بضرب العناصر الإسلامية بلا هوادة وكذلك كـل الأنظمـة العربية.

- لم يبق للجماهير قاعدة تتحرك عليها وبالتالي فإنه يمكن تمرير التسوية.

ملاحظة:

١- سيتم المحافظة وفقا للخطة الأمريكية علـى قيـادات المنظمة تمهيدا لإعطائهم قطعة أرض ليقوم عليهـا وطن فلسطيني يشكل حائلا جديدا ضد الجماهير في مواجهة الغزو الاستعماري الحضاري الصهيوني.

٢- ستحاول إسرائيل إقامة كيان ماروني ورئاسة مارونية على رأس لبنان ليقوم بمهمة ضرب معاقل الجماهير المتبقية "بشير الجميل" وعمليات جمع السلاح.. إلخ.

- ستحاول إسرائيل ضرب التوجهات الجنينية داخل رحم الأمة لمنع تطور تلك الجماهير المسلمة نحو تنظـيم نفسـها وامتلاك زمام أمرها في مواجهة الغزوة الصهيونية. مذبحـة صابرا وشاتيلا.

وسوف نقوم بتحليلها فيما بعد.

٣- عملية الخروج ذاتها لننظر فيها على النحو الآتي:

- حفلات توديع – مقاتلون يخرجون بسلاحهم – عدم تجمعهم في مكان واحد – تشتيتهم – إلخ.. المحافظة على نفس القيادات القديمة..
- لاشك أن عملية الخروج خيانة ضخمة لجماهير المسلمين من الشعبين الفلسطيني واللبناني واللذين تركا لمواجهة العسكرية الإسرائيلية والعسكرية الكتائبية دون سند عسكري أو نفسي.
- يدعي قادة المنظمة أنهم خرجوا من بيروت، لأن بيروت ليست في النهاية مدينة فلسطينية وهذا خطأ تاريخي وواقعي!

تاريخيا فالصراع ليس صراعا فلسطينيا إسرائيليا ولكنه صراع إسلامي صهيوني مع ملاحظة أن قادة المقاومة قد خانوا حتى توجهاتهم القومية.. فمازالت بيروت مدينة عربية!! أليس كذلك؟

وواقعيا فإن صمود بيروت الغربية صمودا فذا لم تكن القيادة تتوقعه ولم تشتك بيروت الغربية، بل حتى لم تئن

تحت ضربات العسكرية الإسرائيلية بل ظلت شامخة وأعني أن جماهيرها كانت أكثر صمودا حتى منكم ولـم تطـالبكم بالخروج، بل قاتلت معكم بيتا ببيت، وكانت علـى اسـتعداد للصمود حتى النهاية. بل لا أقول جديدا إذا قررت أنها قاتلت حتى بعد خروجكم.

إنها قاتلت لأنها تدرك البعد الحضاري للصراع!

- يدعي قادة المقاومة: أن الخروج من بيروت كان مـن أجل أطفالها وهل يبيع أطفال بيروت كل مستقبلهم في مقابل لحظة أمـان غيـر مضـمونة (انظـر صـابرا وشـاتيلا) لا يا سادة إن خروجكم من بيروت كان خيانة لأطفالها وبيعا لمستقبلهم وتسليما لهم غنيمة لفوهات "مدافع الكتائب" "وسـعد حداد" "وشارون" ولن يغفرها لكم الأطفال.

وهكذا تنتهي معركة بيروت وقد انتقلت قيـادة المقاومـة الفلسطينية عمليا إلى معسكر أعدائها بانتظار أن تحن علـيهم أمريكا بالوفاء بعهد الشرف الذي قطعته على نفسـها عبـر "حبيب" في إعطاء قطعة من الأرض لإقامة مأوى ذليل لكم.

وهكذا ستسقط قيادة المنظمة تباعا في الحقبة الإسـرائيلية مادامت قد تركت الجماهير عارية مقابـل وعـد أمريكـي بالأمان.

وهكذا فلم يعد في الساحة عمليا سوى الجماهير المسـلمة المحاصرة من أنظمتها والمقموعة حتى النخـاع مـن قبـل أجهزة الشرطة والجيوش..

مرحلة آل الجميل:

مرحلة بشير الجميل وأخيـه أمـين، اسـتكمال ضـرب الجماهير المسلمة بعد انتقال المقاومـة الفلسـطينية عمليـا (وسيعقب ذلك رسميا) إلى صفوف أعدائها عقب توقيع اتفاقية الرحيل وخيانة الجماهير المسلمة فـي لبنـان فـإن القـوى الصهيونية باتت تدرك أنه لم يعد هناك إلا الجماهير المسلمة في لبنان لتضربها وتصفيها نفسيا وجسديا ليعم العلو والإفساد الإسرائيلي في المنطقة تماما.

ويعم ذلك بطريقين:

- إقامة نظام فاشي في لبنان – لاستكمال حلقة الأنظمـة الديكتاتورية في العالم العربي والإسلامي الذي يقوم بضرب

حركة الجماهير المسلمة أولا بأول فيريح إسرائيل منها، لأن قيام نظام ديموقراطي في المنطقة يعني قدرة الجماهير علـى تنظيم نفسها بشروط أفضل وبالتالي يشـكل خطـرا علـى إسرائيل.

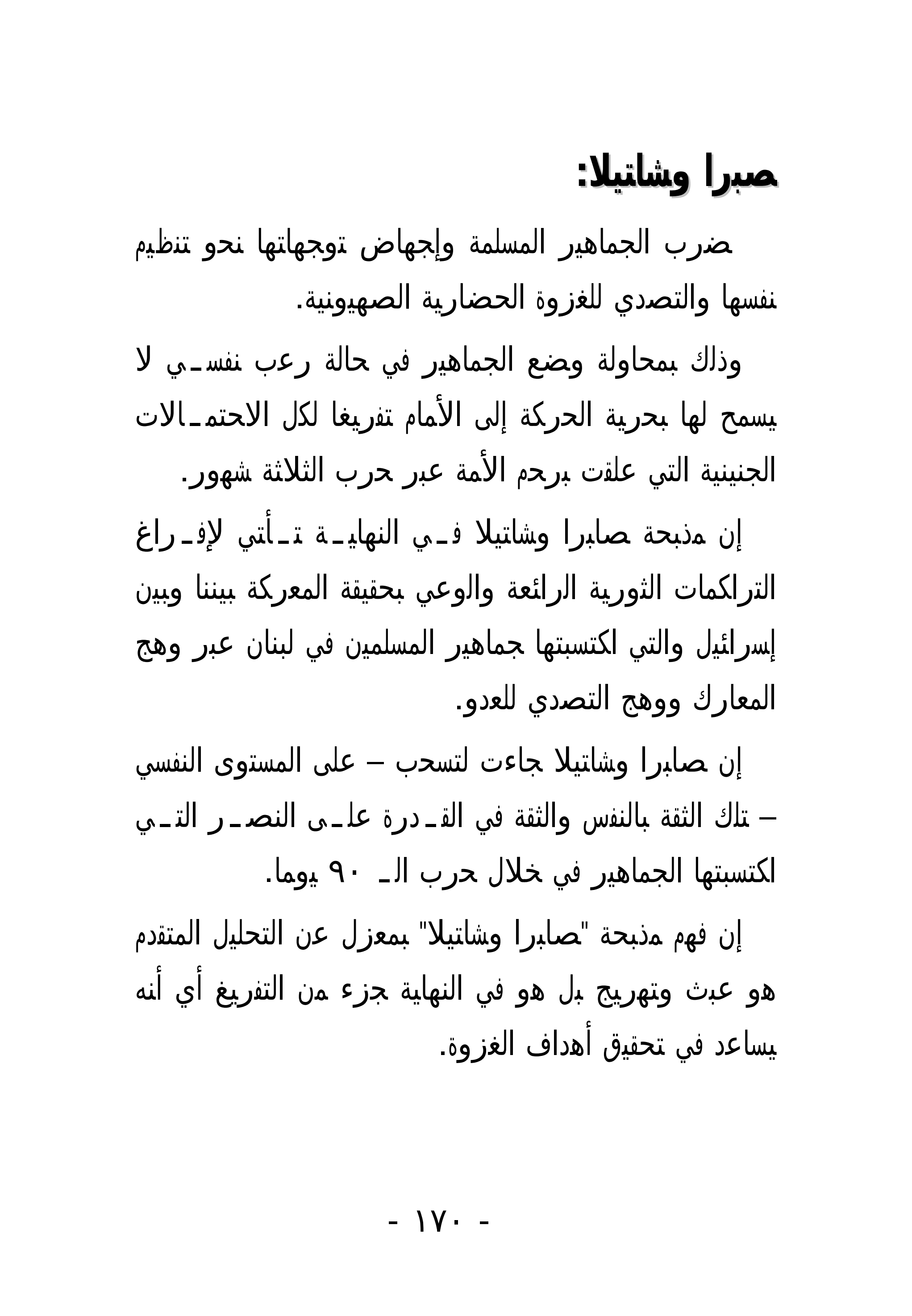
- عمل مجزرة بشعة تمارس إسرائيل ضربا نفسيا لكـل تطلعات الجماهير المسلمة إجهاضا لما يمكن أن يكـون قـد لحق برحم الأمة من أجنة إسلامية في طريقهـا للظهـور – (صبرا وشاتيلا)..

والطريق الأول يأتي عبر تسليم الرئاسـة إلـى الكتائـب المارونية لإنشاء حكم يقوم بالتصـدي للجمـاهير المسـلمة ليمنعها من تطوير نفسها وبروزها للتصدي لإسرائيل، وقـد قام الحكم الفاشي بقيادة أمين الجميل بما يلي فـي الأربعـة أسابيع الأولى من حكمه وبعدها.

- نزع سلاح القطاع الغربي من بيروت حيث تتمركـز جماهير المسلمين المسلحين.

- عدم نزع سلاح بل تشجيع الميلشيات المسيحية (خمسة وعشرين ألف مقاتل كتائبي) مزودين بأحدث الأسلحة.

- اعتقال المئات من طلائع جماهير المسلمين.



صبرا وشاتيلا:

ضرب الجماهير المسلمة وإجهاض توجهاتها نحو تنظيم نفسها والتصدي للغزوة الحضارية الصهيونية.

وذلك بمحاولة وضع الجماهير في حالة رعب نفسـي لا يسمح لها بحرية الحركة إلى الأمام تفريغا لكل الاحتمـالات الجنينية التي علقت برحم الأمة عبر حرب الثلاثة شهور.

إن مذبحة صابرا وشاتيلا فـي النهايـة تـأتي لإفـراغ التراكمات الثورية الرائعة والوعي بحقيقة المعركة بيننا وبين إسرائيل والتي اكتسبتها جماهير المسلمين في لبنان عبر وهج المعارك ووهج التصدي للعدو.

إن صابرا وشاتيلا جاءت لتسحب – على المستوى النفسي – تلك الثقة بالنفس والثقة في القـدرة علـى النصـر التـي اكتسبتها الجماهير في خلال حرب الـ ٩٠ يوما.

إن فهم مذبحة "صابرا وشاتيلا" بمعزل عن التحليل المتقدم هو عبث وتهريج بل هو في النهاية جزء من التفريغ أي أنه يساعد في تحقيق أهداف الغزوة.

- إن "صابرا وشاتيلا" بالحساب العسكري والسياسي العادي ليس فيها أي فائدة لجيش إسرائيل الذي قام بها.

فعلى المستوى العسكري ماذا يستفيد جيش الاحتلال من ذبح ٦ آلاف عزل من السلاح بينهم الرجال والنساء والأطفال؟!

وعلى المستوى السياسي أليس ذلك يشكل عبئا أمام الرأي العام العالمي فضلا عن الإحباط النفسي الذي يعانيه جنود الاحتلال؟!

وهكذا فإن المؤسسة الحاكمة في إسرائيل قد أعدت نفسها لتحقيق الهدف النفسي وهو إخراج الجماهير نفسيا من ساحة المعركة وضرب توجهاتها نحو تنظيم نفسها في اتجاه التصدي لإسرائيل وسحب كمية الوعي الذي تراكم لدى تلك الجماهير خلال المعركة.

وهكذا قامت إسرائيل بتكليف الميليشيات المسيحية (سعد حداد – الكتائب) بالقيام بالمهمة بدلا منها وتحت إشرافها ومباركتها.

على أننا ينبغي أن نورد بعض الملاحظات الخاصة حول المذبحة والتي نستخرجها من شهادات الناجين من المجزرة

والمنثور في مجلة شئون فلسطينية نوفمبر – ديسمبر ١٩٨٢ عدد: ١٣٢، ١٣٣.

في مجمل حديث (م – و) فلسطيني – بقال ٥٣ سنة يقـيم في شاتيلا ومر شاب لبناني قال: الريس سمح لـي أن أمـر لأنني لبناني فقال له واحد لبناني: ولكن مسلم وقتله!!

- وهكذا يتضح من المستهدف من المذبحة إنها الجماهير المسلمة بكل انتماءاتها!!

- (أ – ك) ٧٢ سنة يقيم في مخيم شاتيلا: فـي طريـق عودتنا شاهدنا امرأة تلطم وجهها وتقول:

"ذبحونا قتلوا كل الشباب".. السماح للمرأة بالعبور لإحداث الأثر النفسي المستهدف.

- (ن – ش) فلسطيني بائع (كيروسين) يقيم فـي مخـيم صبرا: "قالوا للمرأة إذا لم تأكلي (برازا) نقتل أولادك فقامت المرأة أمامنا بأكل (البراز).

لاحظ كسر الكرامة والعزة لدى الشخصية المسلمة لقتـل روح التطور نحو التنظيم الإسلامي للتصدي لإسرائيل.

- (ج – م) لبنانية ٢٧ سنة ربة منزل من مخيم صابرا:

"أنا منكم وفيكم. من لحمكم ودمكم.. أنا مسيحية من الأشرافية، من حينها تركني" – رغم كونها زوجة مقاتل فلسطيني – من المستهدف!!

- (ع. م) مصرية ٥٠ سنة عاملة تنظيفات بمستشفى عكا:

"كانت مجزرة. أطلقوا علينا الرصاص. وبقيت نائمة دون أي حركة خوفا من أن يشاهدوني. ولكن حضر واحد منهم وأخذ يلكزني بسلاحه حتى يتأكد من موتي. لكني بقيت كما أنا دون أية حركة – تركني، عاد وبعدها أغمى علي، ولا أعرف كيف تم نقلي إلى هنا.

إذن فالمستهدف كل جماهير المسلمين وليس اللبناني والفلسطيني فقط.

- شاب فلسطيني ١٨ سنة. حداد سيارات يقيم في مخيم صبرا:

فجأة حضرت فتاة مصابة بيدها تصرخ وتقول "الكتائب قتلوا أمي وإخوتي كلهم وتركوني مصابة لأحكي ما جرى" تحقيق الهدف النفسي.

- ف. س – مصرية – عاملة في مستشفى غزة – تقـيم في صبرا.

- س. خ كردية من تركيا ١٨ سنة من حي بئر حسن.

- المحامي (ي) لبنان – علمنـا بمقتـل ثلاثـة عمـال مصريين منهم مساعدي ويدعى عرابي.

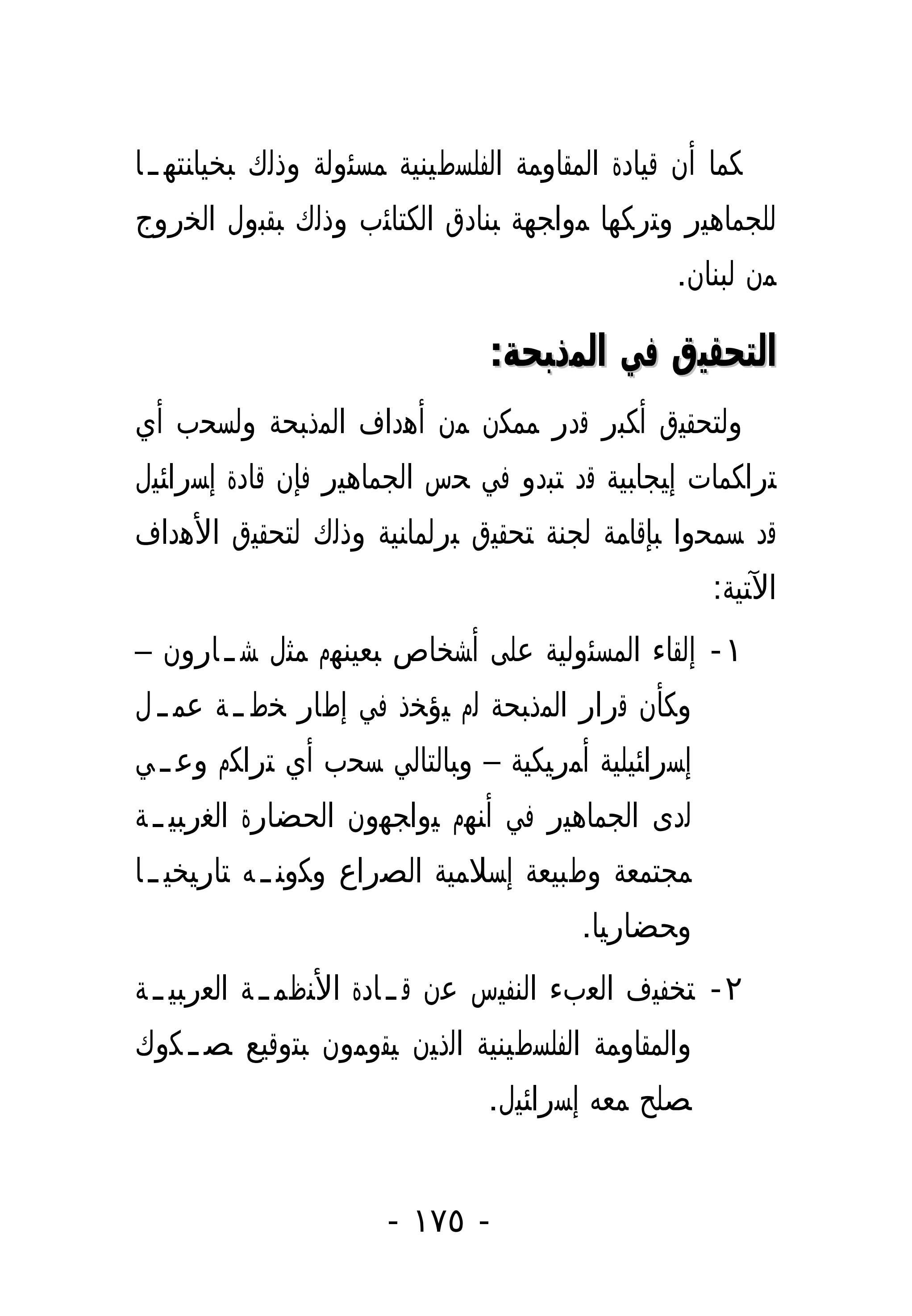
- ص. ع ٣٤ سنة مخيم صابرا:

فأجابه المسلح ولكنك مسلم ثم أطلق عليه الرصاص مـن مسدسه.

لا أحتاج إلى تعليق – مصري – كردي – تركي – لبناني – فلسطيني أي ولكنك مسلم.

- وهكذا فإنه اتضح هدف المجزرة كما ذكرناه سابقا من كسر حاجز الصمود النفسي لدى الجماهير المسلمة وإجهاض توجهاتها الجنينية نحو تنظيم نفسها تحت راية الإسلام.

- نود الإشارة إلى أن الكتائب بإشراف إسـرائيل قامـت بعمل المذبحة – وأن الحضارة الغربيـة وليسـت إسـرائيل وحدها متهمة بالمسئولية عن المذبحـة. كمـا أن الأنظمـة العربية. شاركت في المذبحة سواء بالسكوت أو بدعم الكتائب (مثل بعضهم) – أو دعم إسرائيل (مثل البعض الآخر).



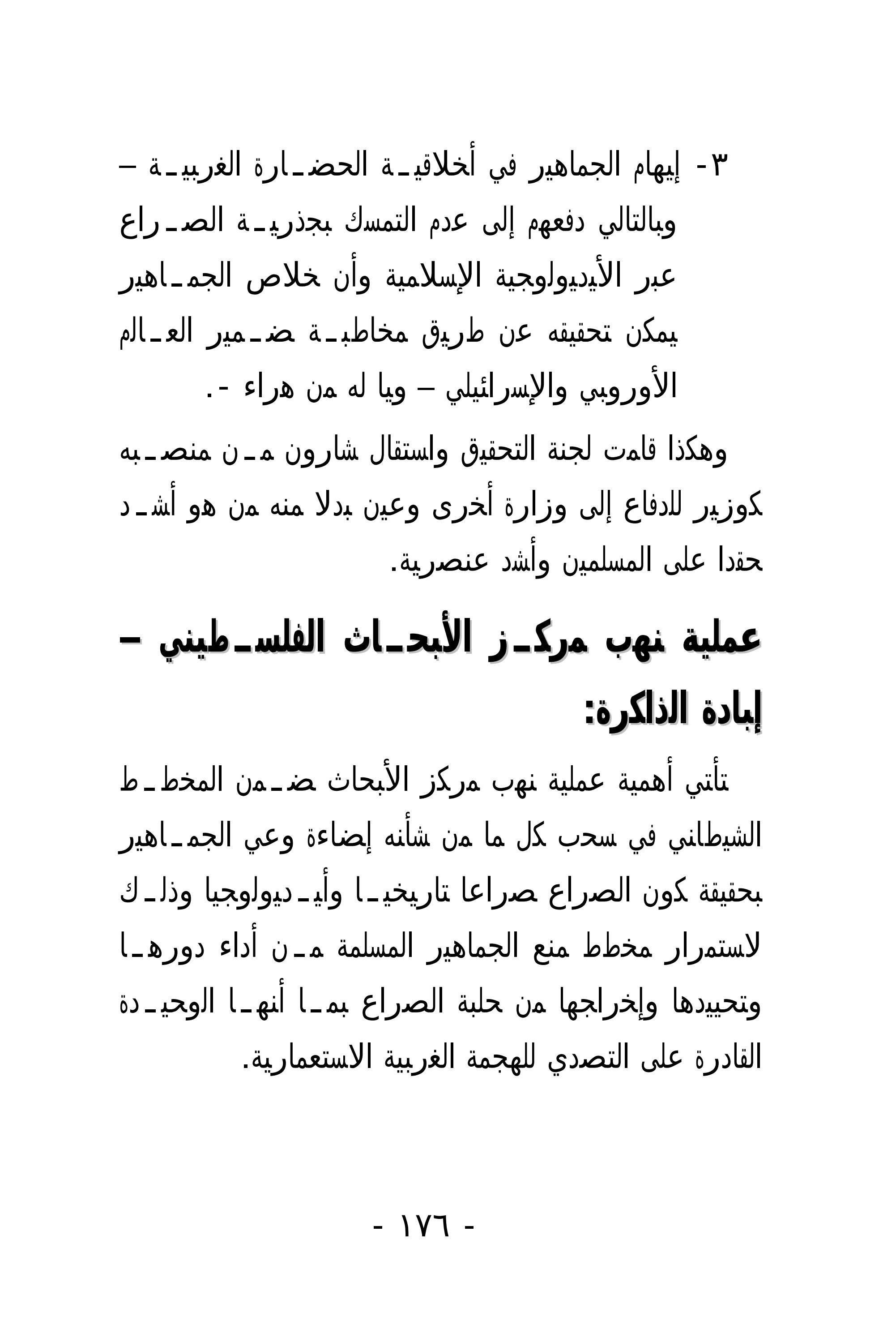
كما أن قيادة المقاومة الفلسطينية مسئولة وذلك بخيانتهـا للجماهير وتركها مواجهة بنادق الكتائب وذلك بقبول الخروج من لبنان.

التحقيق في المذبحة:

ولتحقيق أكبر قدر ممكن من أهداف المذبحة ولسحب أي تراكمات إيجابية قد تبدو في حس الجماهير فإن قادة إسرائيل قد سمحوا بإقامة لجنة تحقيق برلمانية وذلك لتحقيق الأهداف الآتية:

١- إلقاء المسئولية على أشخاص بعينهم مثل شـارون – وكأن قرار المذبحة لم يؤخذ في إطار خطـة عمـل إسرائيلية أمريكية – وبالتالي سحب أي تراكم وعـي لدى الجماهير في أنهم يواجهون الحضارة الغربيـة مجتمعة وطبيعة إسلامية الصراع وكونـه تاريخيـا وحضاريا.

٢- تخفيف العبء النفيس عن قـادة الأنظمـة العربيـة والمقاومة الفلسطينية الذين يقومون بتوقيع صـكوك صلح معه إسرائيل.

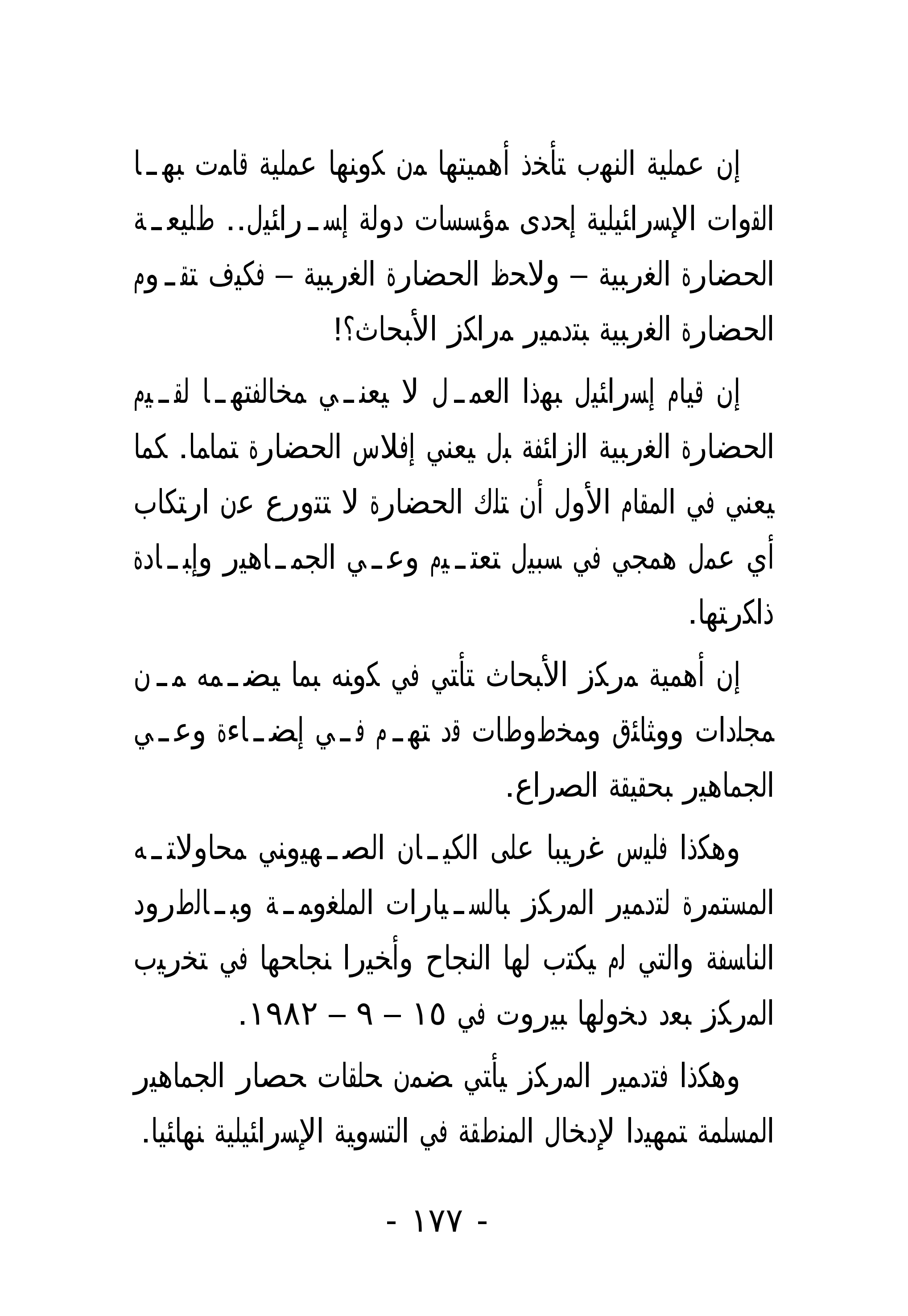


٣- إيهام الجماهير في أخلاقيـة الحضـارة الغربيـة – وبالتالي دفعهم إلى عدم التمسك بجذريـة الصـراع عبر الأيديولوجية الإسلامية وأن خلاص الجمـاهير يمكن تحقيقه عن طريق مخاطبـة ضـمير العـالم الأوروبي والإسرائيلي – ويا له من هراء -.

وهكذا قامت لجنة التحقيق واستقال شارون مـن منصـبه كوزير للدفاع إلى وزارة أخرى وعين بدلا منه من هو أشـد حقدا على المسلمين وأشد عنصرية.

عملية نهب مركـز الأبحـاث الفلسـطيني – إبادة الذاكرة:

تأتي أهمية عملية نهب مركز الأبحاث ضـمن المخطـط الشيطاني في سحب كل ما من شأنه إضاءة وعي الجمـاهير بحقيقة كون الصراع صراعا تاريخيـا وأيـديولوجيا وذلـك لاستمرار مخطط منع الجماهير المسلمة مـن أداء دورهـا وتحييدها وإخراجها من حلبة الصراع بمـا أنهـا الوحيـدة القادرة على التصدي للهجمة الغربية الاستعمارية.



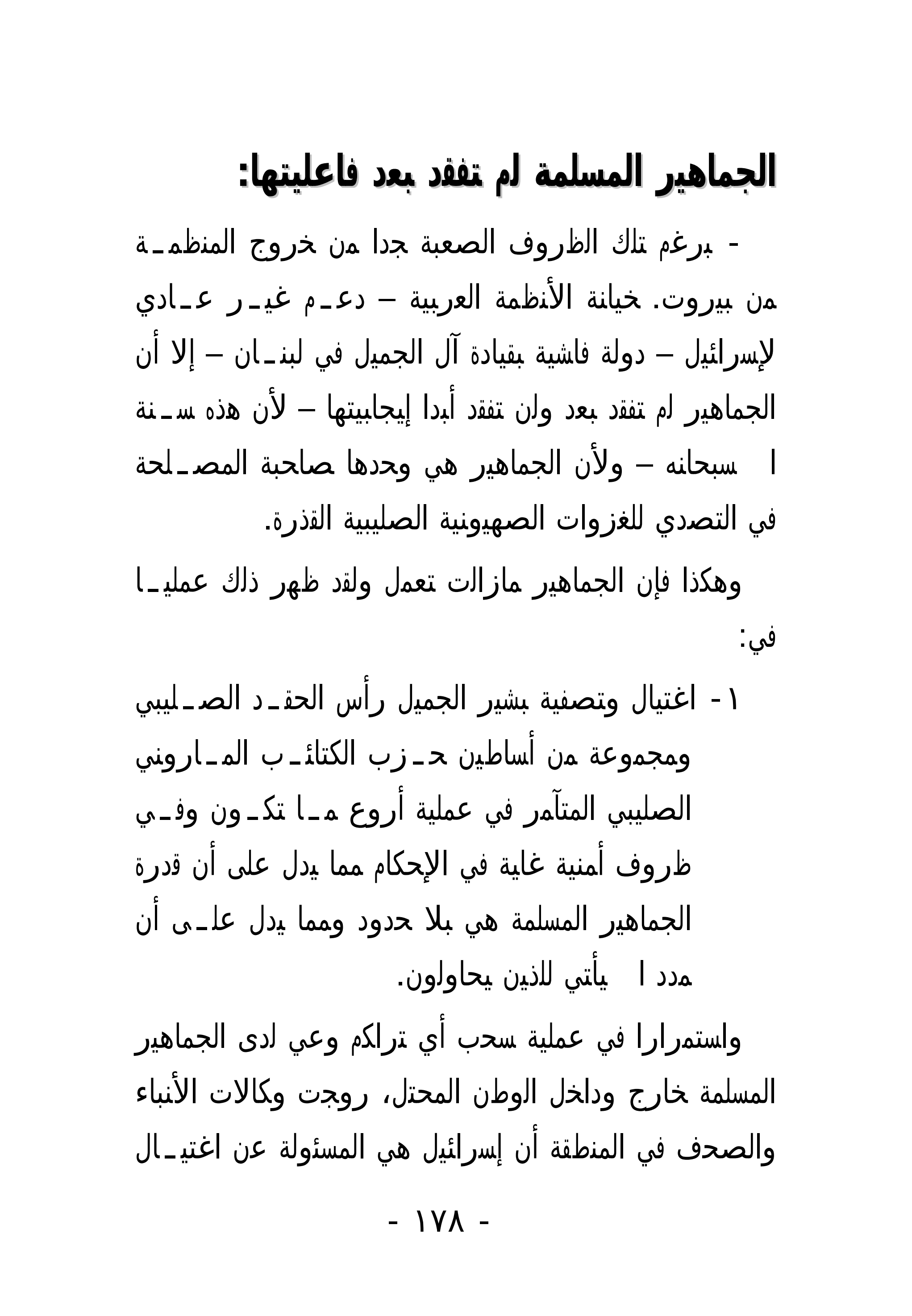
إن عملية النهب تأخذ أهميتها من كونها عملية قامت بهـا القوات الإسرائيلية إحدى مؤسسات دولة إسـرائيل.. طليعـة الحضارة الغربية – ولاحظ الحضارة الغربية – فكيف تقـوم الحضارة الغربية بتدمير مراكز الأبحاث؟!

إن قيام إسرائيل بهذا العمـل لا يعنـي مخالفتهـا لقـيم الحضارة الغربية الزائفة بل يعني إفلاس الحضارة تماما. كما يعني في المقام الأول أن تلك الحضارة لا تتورع عن ارتكاب أي عمل همجي في سبيل تعتـيم وعـي الجمـاهير وإبـادة ذاكرتها.

إن أهمية مركز الأبحاث تأتي في كونه بما يضـمه مـن مجلدات ووثائق ومخطوطات قد تهـم فـي إضـاءة وعـي الجماهير بحقيقة الصراع.

وهكذا فليس غريبا على الكيـان الصـهيوني محاولاتـه المستمرة لتدمير المركز بالسـيارات الملغومـة وبـالطرود الناسفة والتي لم يكتب لها النجاح وأخيرا نجاحها في تخريب المركز بعد دخولها بيروت في ١٥ – ٩ – ١٩٨٢.

وهكذا فتدمير المركز يأتي ضمن حلقات حصار الجماهير المسلمة تمهيدا لإدخال المنطقة في التسوية الإسرائيلية نهائيا.



الجماهير المسلمة لم تفقد بعد فاعليتها:

- برغم تلك الظروف الصعبة جدا من خروج المنظمة من بيروت. خيانة الأنظمة العربية – دعم غير عادي لإسرائيل – دولة فاشية بقيادة آل الجميل في لبنان – إلا أن الجماهير لم تفقد بعد ولن تفقد أبدا إيجابيتها – لأن هذه سنة ا سبحانه – ولأن الجماهير هي وحدها صاحبة المصلحة في التصدي للغزوات الصهيونية الصليبية القذرة.

وهكذا فإن الجماهير مازالت تعمل ولقد ظهر ذلك عمليا في:

١- اغتيال وتصفية بشير الجميل رأس الحقد الصليبي ومجموعة من أساطين حزب الكتائب الماروني الصليبي المتآمر في عملية أروع ما تكون وفي ظروف أمنية غاية في الإحكام مما يدل على أن قدرة الجماهير المسلمة هي بلا حدود ومما يدل على أن مدد ا يأتي للذين يحاولون.

واستمرارا في عملية سحب أي تراكم وعي لدى الجماهير المسلمة خارج وداخل الوطن المحتل، روجت وكالات الأنباء والصحف في المنطقة أن إسرائيل هي المسئولة عن اغتيال

الجميل. وهذا هراء واضح. فأين التناقض بين بشير الجميل وإسرائيل؟ - إن إسرائيل ذاتها هي التي أوصلته إلـى سـدة الرئاسة فوق دباباتها.

إن ذلك المؤشر يعني أن تقول تلك الأوعيـة الإعلاميـة المرتبطة بالغرب أن خلاص الجماهير ليس على أيديها ذاتها بل على يد إسرائيل عدوتها أليس هذا هراء؟!

كما أن ذلك يسحب رصيد الثقة من الجماهير المسلمة في الجماهير المسلمة داخل لبنان ويوهمها بأنها فقدت الفعالية!

اتهام الحزب القومي السوري الاجتماعي بـذات الاتهـام ليس له أساس لذات الأسباب، لأنه لا يملك تناقضا مع بشير الجميل. إن الوحيد الذي يملك تناقضا مع بشير الجميل هـو الجماهير المسلمة.

٢- عملية نسف مقر الحاكم العسكري الإسـرائيلي فـي صور، إن تلك العملية تعني ببساطة شديدة أن خـط الاستشهاد - القسام - أحمد عبد العزيز – عبد القادر الحسيني – شهداء الكرامة مازال يعمل ولن ينهـار أبدا.

٣- عمليات التصدي المستمر بالسلاح وخلافـه لقـوات الاحتلال الإسرائيلي والعمليات الفدائية داخل خطوط العدو..

٤- محاولة تدمير قوة المفاوضات اللبنانية الإسرائيلية في كريات شموته "رفض المفاوضات كأسلوب".

٥- التظاهر والانتفاض ضد قوات الاحتلال.

استدراج المقاومة نحو التسوية:

قلنا: إنه عمليا فإن المقاومة (القيادة قد فقدت أهم أسلحتها بعد إصدار ياسر عرفات للوثيقة التاريخية المشهورة أثنـاء الحصار في مقابلة كلاوز الأمريكي).

وإنه بعد إتمام الرحيل عن بيروت فقدت قيادة المقاومـة الشروط الخاصة التي كانت تعطي شكل تناقضها مع الكيـان الصهيوني أبعادا خاصة.

وهكذا فإن التلويح بقطعة أرض تقام عليها دولة فلسطينية سيسقط التناقض نهائيا.

وهكذا بدأت القوى الشيطانية عبر البعض بمحاولة دفـع قيادة المنظمة نحو السقوط الرسمي في بؤرة التسوية.

في مقابلة إذاعية وتليفزيونية وعلى لسان ياسر عرفـات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية قبل انتقاله من أثينا إلى تونس: "إننا لا ننتقدها. لكننا نقوم بدراستها".

في إطار موقـف اللجنـة التنفيذيـة لمنظمـة التحريـر الفلسطينية من المشروع الأمريكي أعـرب رئـيس الـدائرة السياسية للمنظمة فاروق القدومي (أبو اللطف) عن اعتقـاده بأن بيان الرئيس ريجان حول مستقبل الأراضي التي تحتلها إسرائيل يتضمن عناصر جديدة (٣ – ٩ – ١٩٨٢).

منذ أول ديسمبر الماضي لم يمض يوم في المناطق التـي يقيم فيها الجيش الإسرائيلي حواجز احتلاله ومراكز آلياتـه العسكرية دون عملية مسلمة ضد قواته سـواء بالقنابـل أو انفجار الألغام أو بواسطة السيارات الملغمة في حالـة شـبه دائمة من الذعر في ظل احتياطات أمنية مشددة بالنسبة إلـى تنقل القوات إلى مواضعها أو حواجزها العسكرية.

- أمر الحاكم العسكري الإسرائيلي في الجنوب بتـاريخ ١٠ ديسمبر باعتقال ٣٥ شخصا من قرى مختلفة لاتهـامهم بإعادة تنظيم شبكة إرهابية.

- انفجار لغم أرضي في سيارة عسكرية إسـرائيلية فـي حاصيا في البقاع الغربي.

- في مخيم عين الحلوة الذي تحاصره القوات الإسرائيلية قتل جنديان نتيجة انفجار لغم قرب موقع عسكري على مدخل المخيم.

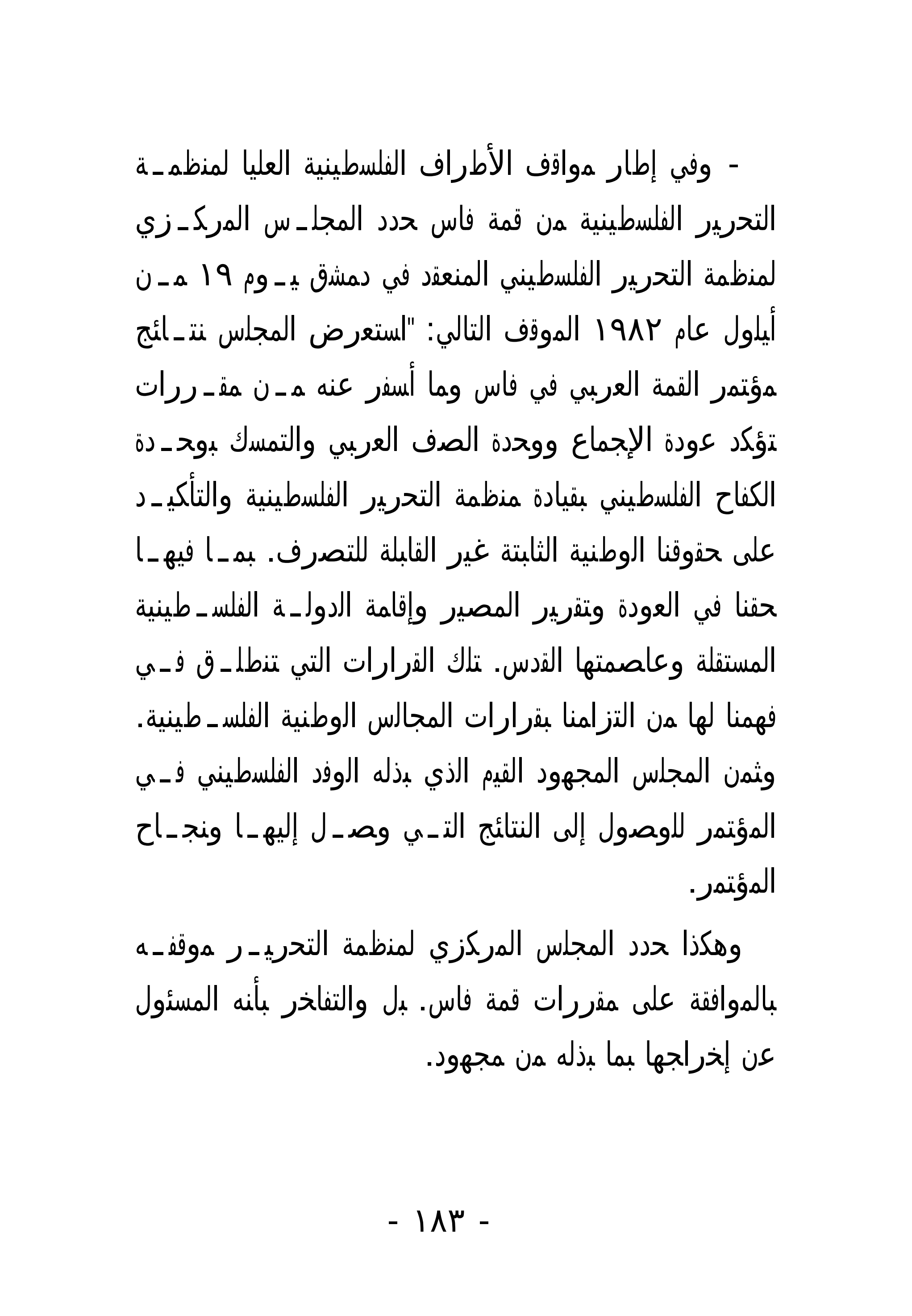
- في بعبدا انفجر لغم أرضـي فـي سـيارة عسـكرية إسرائيلية قالت مصادر إسرائيلية إنه جرح بسببه جنديان!

- كما وجدت جثة إسرائيلي كان يدعى "مزارحي" ينقـل الوقود والبنزين إلى مواقع القوات الإسرائيلية في الشوف.

- في مطلع شهر فبراير تعرضت سيارة أتوبيس عسكرية إسرائيلية لنيران الرشاشات والقنابل اليدوية – وهـي تنقـل الجنود عند مدخل بيروت قرب عرمون. أصيب فـي هـذه العملية ٢١ جنديا إسرائيليا.

- في ١٠ فبراير – انفجرت شحنة ناسفة فـي مـركبتين إسرائيليتين شرق بيروت.

- تعرضت قافلة إسرائيلية لكمين قرب مفرق الزرارية – أبو الأسود شمال صور وأطلـق المهـاجمون الرشاشـات والقذائف على القافلة الإسرائيلية.



- وفي إطار مواقف الأطراف الفلسطينية العليا لمنظمة التحرير الفلسطينية من قمة فاس حدد المجلس المركزي لمنظمة التحرير الفلسطيني المنعقد في دمشق يوم ١٩ من أيلول عام ١٩٨٢ الموقف التالي: "استعرض المجلس نتائج مؤتمر القمة العربي في فاس وما أسفر عنه من مقررات تؤكد عودة الإجماع ووحدة الصف العربي والتمسك بوحدة الكفاح الفلسطيني بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية والتأكيد على حقوقنا الوطنية الثابتة غير القابلة للتصرف. بما فيها حقنا في العودة وتقرير المصير وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس. تلك القرارات التي تنطلق في فهمنا لها من التزامنا بقرارات المجالس الوطنية الفلسطينية. وثمن المجلس المجهود القيم الذي بذله الوفد الفلسطيني في المؤتمر للوصول إلى النتائج التي وصل إليها ونجاح المؤتمر.

وهكذا حدد المجلس المركزي لمنظمة التحرير موقفه بالموافقة على مقررات قمة فاس. بل والتفاخر بأنه المسئول عن إخراجها بما بذله من مجهود.

مقررات قمة فاس:

١- انسحاب إسرائيلي من جميع الأراضي التي احتلتهـا سنة ١٩٦٧.

٢- إزالة المستعمرات التي أقامتها إسرائيل في الأراضي العربية بعد عام ١٩٦٧.

٣- ضمان حرية العبادة وممارسة الشعائر لجميع الأديان في الأماكن المقدسة.

٤- تقرير حق الشـعب الفلسـطيني بتقريـر مصـيره وممارسة حقوقه الوطنية الثابتة غير القابلة للتصرف بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية ممثلـه الشـرعي الوحيد وتعويض من لا يرغب في ذلك.

٥- إخضاع الضفة الغربية وقطاع غزة لفتـرة انتقاليـة تحت إشراف الأمم المتحدة ولمدة لا تزيد عن بضعة شهور.

٦- قيام الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس.

٧- يضع مجلس الأمن الدولي ضمانات سلام بين جميـع دول المنطقة بما فيها الدولة الفلسطينية المستقلة.

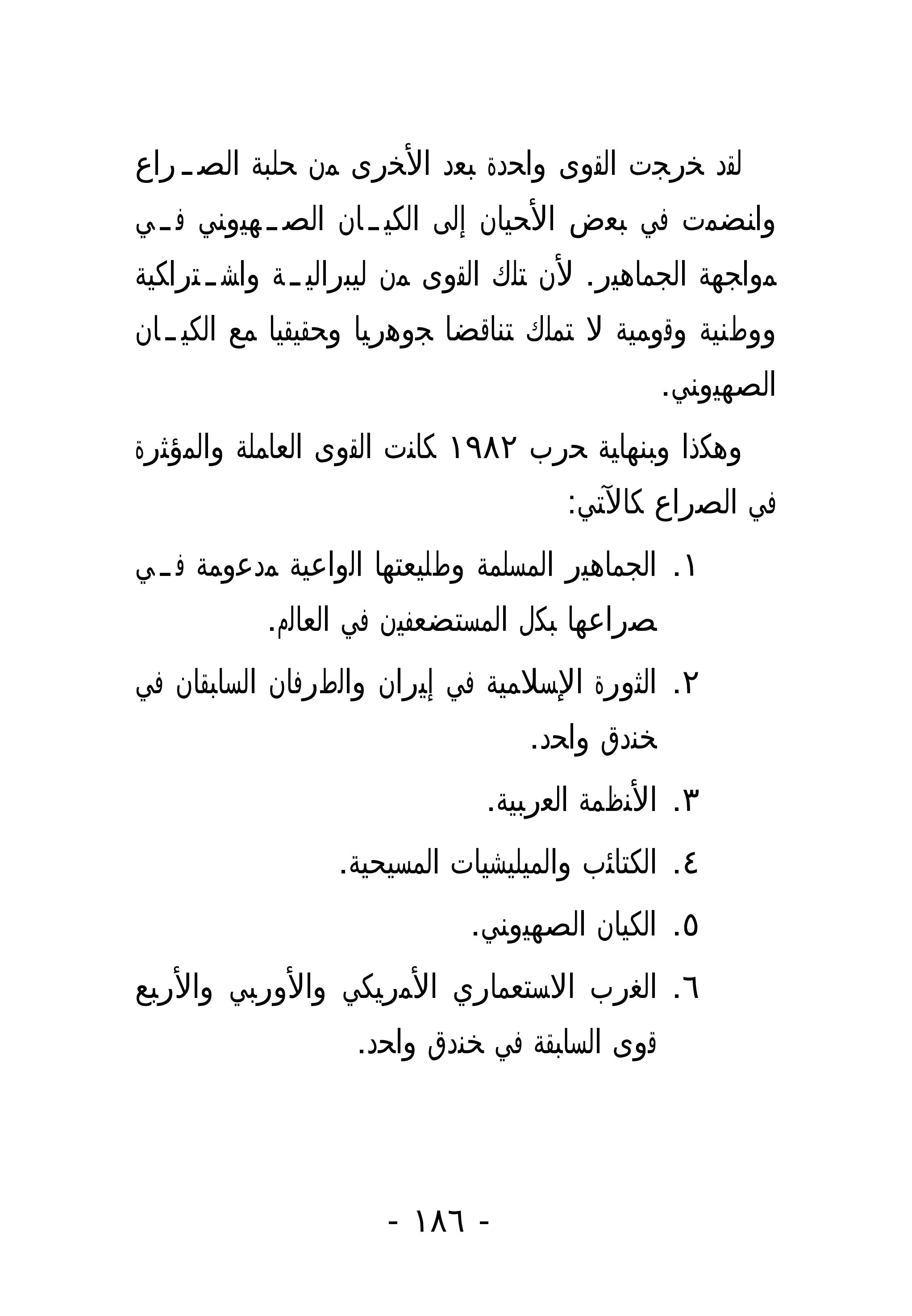
٨- يقوم مجلس الأمن الدولي بضمان تنفيذ تلك المبادئ.

- وفي حديث لياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لوكالة الأنباء الجزائرية لدى وصوله إلى الجزائر قادما من المغرب بعد انتهاء أعمال قمة فاس "نفى أن يكون البند السابع من ميثاق فاس تنازلا عربيا من دون مقابل" وأوضح: إننا نربط طبقا للشرعية الدولية وقرارات الأمم المتحدة بين السلام وبين إنشاء دولة فلسطينية تكون القدس عاصمة لها.

وهكذا فإن قيادة المقاومة الفلسطينية تعترف بإسرائيل وتطلب قطعة أرض تقيم عليها دولتها وهكذا فإن كل التناقضات قد حلت والقوى قد أفرزت لتجد الجماهير المسلمة وحدها وجها لوجه مع كل رموز المرحلة.

مرحلة الجماهير المسلمة:

هذا هو عصر الجماهير المسلمة. إن الجماهير المسلمة تقف اليوم على أعتاب مرحلة خطيرة جدا فلم يبق في الساحة سواها في مواجهة الهجمة الصهيونية الأمريكية الاستعمارية الصليبية السافرة.



لقد خرجت القوى واحدة بعد الأخرى من حلبة الصـراع وانضمت في بعض الأحيان إلى الكيـان الصـهيوني فـي مواجهة الجماهير. لأن تلك القوى من ليبراليـة واشـتراكية ووطنية وقومية لا تملك تناقضا جوهريا وحقيقيا مع الكيـان الصهيوني.

وهكذا وبنهاية حرب ١٩٨٢ كانت القوى العاملة والمؤثرة في الصراع كالآتي:

١. الجماهير المسلمة وطليعتها الواعية مدعومة فـي صراعها بكل المستضعفين في العالم.
٢. الثورة الإسلامية في إيران والطرفان السابقان في خندق واحد.
٣. الأنظمة العربية.
٤. الكتائب والميليشيات المسيحية.
٥. الكيان الصهيوني.
٦. الغرب الاستعماري الأمريكي والأوربي والأربع قوى السابقة في خندق واحد.

في اجتماع المجلس الوطني الفلسطيني فـي المؤشـرات الأولية لم يخرج عما سبق التوقع له طبقا لهذه الدراسة مـع ملاحظة ما يلي:

١- تشكيل وفد تضامن ومناصرة مع الشعب الفلسـطيني وقد رحل هذا الوفد من القاهرة إلى الجزائر ممثلا فيه كـل الأطراف ما عدا طـرف واحـد هـو الاتجـاه الإسـلامي الجماهيري. ولقد تجاهل المسافرون والداعون الشيخ أحمـد المحلاوي برغم ثقله الجماهيري الواسع جدا حيث اختصـه الرئيس الراحل بالسباب علنا على شاشة التليفزيـون وذلـك لموقف الشيخ الصامد في رفض كامـب ديفيـد وتحـريض الجماهير على رفضها.

حاول الشيخ أحمد المحلاوي أن يصحب وفد المناصـرة فتم استبعاده عبر حركات بهلوانية من المشرفين على الوفـد وتم تسويفه لتفويت الفرصة عليه ليـذهب منفـردا وعلـى مسئوليته الخاصة!! هل يعني هذا أن المؤتمر قد رسم له أن يسقط في مستنقع التسوية.

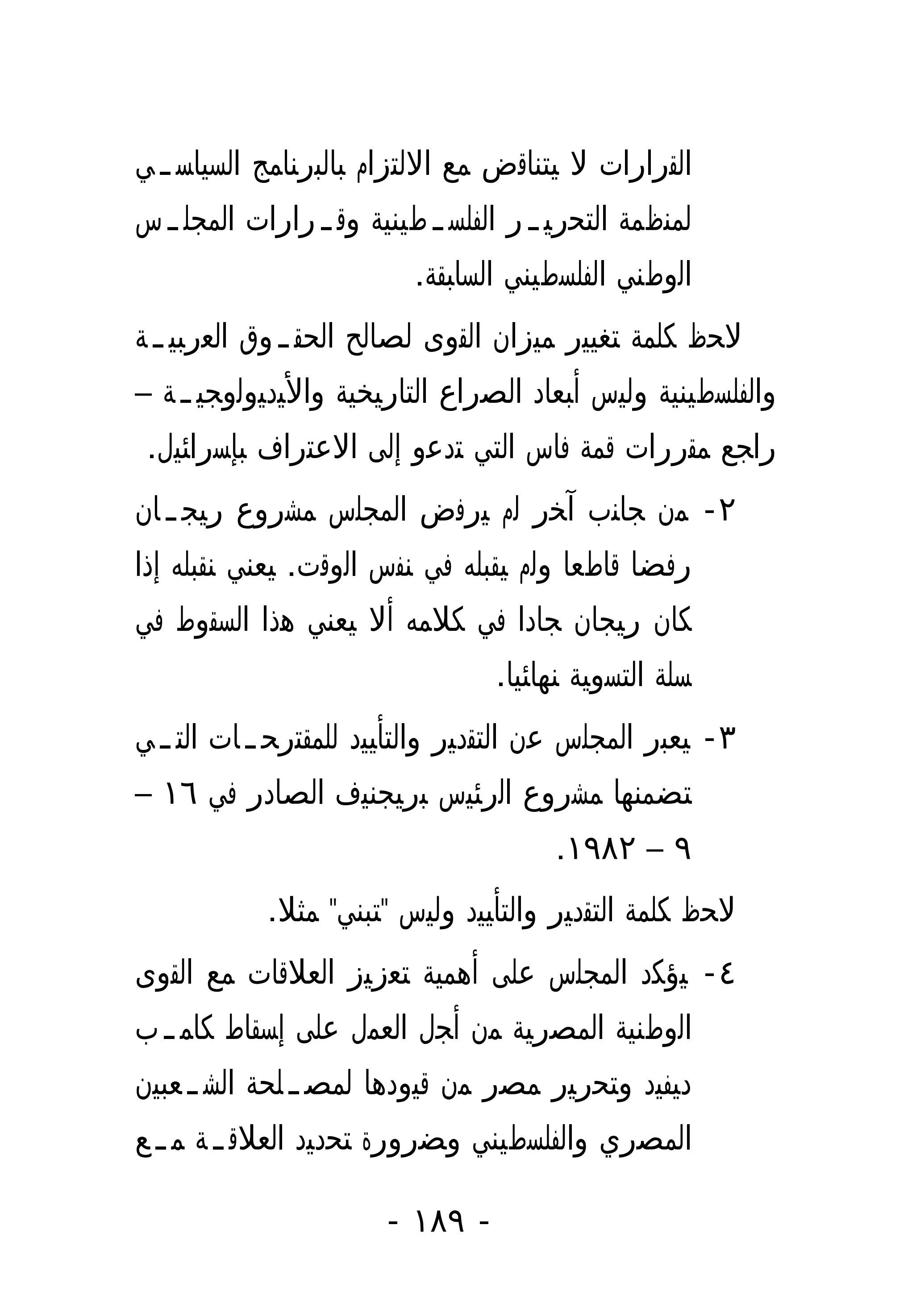
٢- استقبال المؤتمر لبعض ممثلي اليهود داخل فلسطين – حركة السلام الآن. وغيرها من الحركات المشبوهة. إننـي

أفهم أن يستقبل المؤتمر مناصرين مـن أمريكـا وأوروبـا ومناصرين من اليهود خارج الأرض المحتلة أما أن يسـتقبل يهودا من داخل الأرض المحتلة فيعني إسقاط كـل الأدوات الأيديولوجية والتاريخية في الصراع. والسؤال إذا كان هؤلاء اليهود قد اقتنعوا بالحق الفلسطيني. فلماذا لم يرحلـوا مـن إسرائيل. إن استمرار وجودهم في إسرائيل يعني مزيدا مـن التشريد لشعبي. أن وجودهم يفني وجودي في أبسط الأحوال وهكذا تفقد قيادة المقاومة الرؤية التاريخية تماما.

مقررات المجلس الوطني:

وقد توصلت فصائل المقاومة جميعا لاتفاق حول القرارات السياسية المتعلقة بصياغة الموقف مـن مشـاريع التسـوية المختلفة والعلاقة مع الأردن ومصر وسوريا علـى النحـو التالي:

١- يعتبر المجلس الوطني الفلسطيني مقررات قمة فاس هي الحد الأدنى للتحرك السياسي العربي الذي يجب أن يتكامل مع العمل العسـكري بكـل مسـتلزماته. لصالح تعديل ميزان القوى لصالح الحقوق العربيـة والفلسطينية العادلة ويؤكد المجلس أن فهمـه لتلـك


القرارات لا يتناقض مع الالتزام بالبرنامج السياسـي لمنظمة التحريـر الفلسـطينية وقـرارات المجلـس الوطني الفلسطيني السابقة.

لاحظ كلمة تغيير ميزان القوى لصالح الحقـوق العربيـة والفلسطينية وليس أبعاد الصراع التاريخية والأيديولوجيـة – راجع مقررات قمة فاس التي تدعو إلى الاعتراف بإسرائيل.

٢- من جانب آخر لم يرفض المجلس مشروع ريجـان رفضا قاطعا ولم يقبله في نفس الوقت. يعني نقبله إذا كان ريجان جادا في كلامه ألا يعني هذا السقوط في سلة التسوية نهائيا.

٣- يعبر المجلس عن التقدير والتأييد للمقترحـات التـي تضمنها مشروع الرئيس بريجنيف الصادر في ١٦ – ٩ – ١٩٨٢.

لاحظ كلمة التقدير والتأييد وليس "تبني" مثلا.

٤- يؤكد المجلس على أهمية تعزيز العلاقات مع القوى الوطنية المصرية من أجل العمل على إسقاط كامـب ديفيد وتحرير مصر من قيودها لمصـلحة الشـعبين المصري والفلسطيني وضرورة تحديد العلاقـة مـع

النظام المصري بهدف تحرره وابتعاده عن كامب ديفيد.

لاحظ أن القوى الوطنية المصرية ليست إلا رفعت السعيد وخالد محيي الدين فأين الشيخ المحلاوي الذي وقف مع القضية دائما وأول من رفض كامب ديفيد رفضا عمليا ذا أثر وأين الإسلاميون عموما الذين أسقطوا رأس نظام كامب ديفيد ودفعوا عشرات الشهداء وآلاف المعتقلين أم أنهم رغم ذلك ليسوا قوى وطنية!!

٥- التأكيد على العلاقة الخاصة والمميزة التي تربط الشعبين الأردني والفلسطيني وضرورة العمل على تطويرها – ويرى المجلس أن تكون العلاقة المستقبلية مع الأردن على أسس كونفدرالية بين دولتين مستقلتين.

الآن اتضح شكل التسوية قطعة أرض للفلسطينيين مع اتحاد كونفدرالي مع الأردن "مع الملك حسين"!! ولا تعليق.

هل ستكون تلك الدولة ضد إسرائيل أم ضد الجماهير المسلمة وهل نسينا بعد مجازر سبتمبر الأسود.

٦- تدعيم العلاقة مع الحركة الوطنية اللبنانية وسوريا.

لاحظ الغموض..

- التزاما بالقرارات السابقة للمجلس الوطني الفلسـطيني والخاصة بالعلاقات مـع القـوى التقدميـة والديموقراطيـة اليهودية. يدعو المجلس اللجنة التنفيذية إلى دراسة التحـرك في هذا الإطار بما يتلاءم ومصلحة النضال.

انظر تعليقنا السابق على استقبال ممثلـي تلـك القـوى التقدمية والديموقراطية!!

٧- خرجت قيادة منظمة التحرير عن أن تكون مؤثرة في الصراع ويمكن أن نضيفها إلى الأنظمـة العربيـة بشكل أو بآخر.

لماذا لم يعد في مواجهة الغزوة الاستعمارية الصليبية إلا الجماهير المسلمة:

١- لأن كل القوى لا تملك تناقضا مع إسرائيل.

٢- لأن تلك الجماهير هي الوحيدة التي تملـك تناقضـا جوهريا مع الكيان الصهيوني فإن تلك الجماهير تدرك:

(أ) أن حضارتها مستهدفة.

(ب) حريتها مستهدفة.

(جـ) كينونتها ووجودها ذاته كأمة مسلمة مستهدفة.

(د) لقمة عيشها مستهدفة.

(هـ) أن انتماءها هو الهدف النهائي.

وكذلك تلك الجماهير تملك:

(أ) إدراكا ووعيا تاريخيا عميقا بحقيقة الصراع.

(ب) أيديولوجية ربانية إسلامية تملك لها القدرة على الفهم والعمل والتحليل والاستجابة.

(جـ) بعدا بشريا ضخما في مواجهة إسرائيل يشكل عمقا استراتيجيا.

(د) دعما مباشرا وغير مباشر من الثورة الإسلامية فـي إيران وأهم ما تملك تلك الجمـاهير هـو مـدد ا سبحانه وتعالى.

التناقض الثانوي الأخير..

بعد خروج المقاومة من بيـروت وتشـتتها فـي العـالم العربي. ومحاولة تجمع بعض عناصـرها فـي طـرابلس وغيرها من مدن ومناطق لبنان. بـدأت القـوى الشـيطانية وكأنها قد نجحت في حل تناقضها مـع المقاومـة (تنـاقض

ثانوي) عبر إخراجها من لبنان وجرها إلى التسوية. ولكـن كان هناك تناقض ثانوي آخر بين النظام السـوري الخـائن والقذر وبين العدو الصهيوني والهجمة الاستعمارية وبدأ كل طرف يجمع أوراق الصراع. فالجانـب الإسـرائيلي يوقـع اتفاقية مع النظام اللبناني (أمين الجميل) لتكريس دولة فاشية في لبنان تقوم بتحقيق أهداف الكيان الصهيوني وفقا لما تـم شرحه وبمباركة ودعم كامل من أمريكا.

وبدأت المسألة كالتالي:

- دولة فاشية تقمع الجمـاهير بـالجيش والميليشـيات المارونية.
- قوة متعددة الجنسيات (استعمارية حتـى النخـاع).. أمريكا بمصالحها الاستعمارية في المنطقة – فرنسـا بمصالحها أيضا وميراثهـا الصـليبي الاسـتعماري الموغل في عداء الجماهير المسلمة.
- منظمات فلسطينية مشتتة تتساقط سراعا فـي سـلة التسوية.
- جماهير بدت لوهلة قصيرة أنه تم تحجيمها.

- النظام السوري بتواجده ومصالحه في لبنـان وكـان على إسرائيل والغرب الاستعماري الذي بات يـدرك أنه لابد من حل التناقض الثانوي مع النظام السوري. ولكي نفهم طبيعة التناقض الثـانوي هـذا علينـا أن ندرك طبيعة النظام السوري.

النظام السوري في النهاية ليس إلا أحد أوجـه العلمانيـة المرتبطة بالغرب وطبقا للمفهوم السابق شرحه في الصـراع فإن له توجهات خاصة تدفعه لعدم السقوط فـي التسـوية إلا بعد أن ينال نصيبه من الكعكة وهو نظـام فاشـي ودمـوي يواجـه حركـة مـد جمـاهيري إسـلامي فـي الـداخل لا يستطيع مواجهاتها إلا عبر المزايدة بأنه لـم يسـقط فـي التسوية وأنه مازال يواجه عدو الأمة الإسـلامية التـاريخي (إسرائيل) وأنه بالتالي يتقي ذلك الضـغط الإسـلامي فـي الداخل الذي لا يستطيع مواجهته إلا بالقوة العسكرية التي لن يجد لها مبررا سوى استمرار مواجهة ولو شكلية مع إسرائيل وهكذا فإن حركة الجماهير المسلمة الضاغطة على النظـام السوري في الداخل تؤخر سقوطه في الحقبة الإسرائيلية. لأن النظام السوري يدرك جيدا أن الحائط الأخير أمام سقوطه هو

استمرار المزايدة بمواجهة إسرائيل ولكن يجب أن ندرك أن النظام السوري في هذه المواجهة. يريـد أن يضـع حركـة الجماهير المسلمة في لبنان في جيبه يزايد بها – لينـال بهـا أكبر نصيب من الكعكة. وأنه لن يسمح بأي حال من الأحوال أن تتجاوز حركة الجماهير خطا معينا. وإلا فإنه يدرك أنهـا سوف تطيح ضمن ما تطيح به هو في النهاية. وفـي هـذا الإطار ينبغي فهم تحركات النظام السوري العميل الذي فقـد كل مبررات وجوده في الداخل ولم يعد قادرا على السـقوط في الحقبة الإسرائيلية بفضل حركة الجماهير المسلمة داخـل سوريا.

وهكذا فإن الجميع بدأ يعيد ترتيب معطياته لخوض جولة يتم فيها حسم التناقض الثانوي بين النظام السوري وإسرائيل وفقا للرؤية السابقة فإسرائيل بعد أن تم لها دخـول بيـروت وإقامة نظام فاشي وقوات متعددة الجنسـيات – واسـتدراج المقاومة نحو التسوية فإن عليها أن تدعم مركز قادة المقاومة (عرفات) ليستطيع أداء دوره في التسوية والنظام السـوري لكي يحافظ على وجوده من ناحية ولينال نصيبه من الكعكـة من ناحية قام بـ:

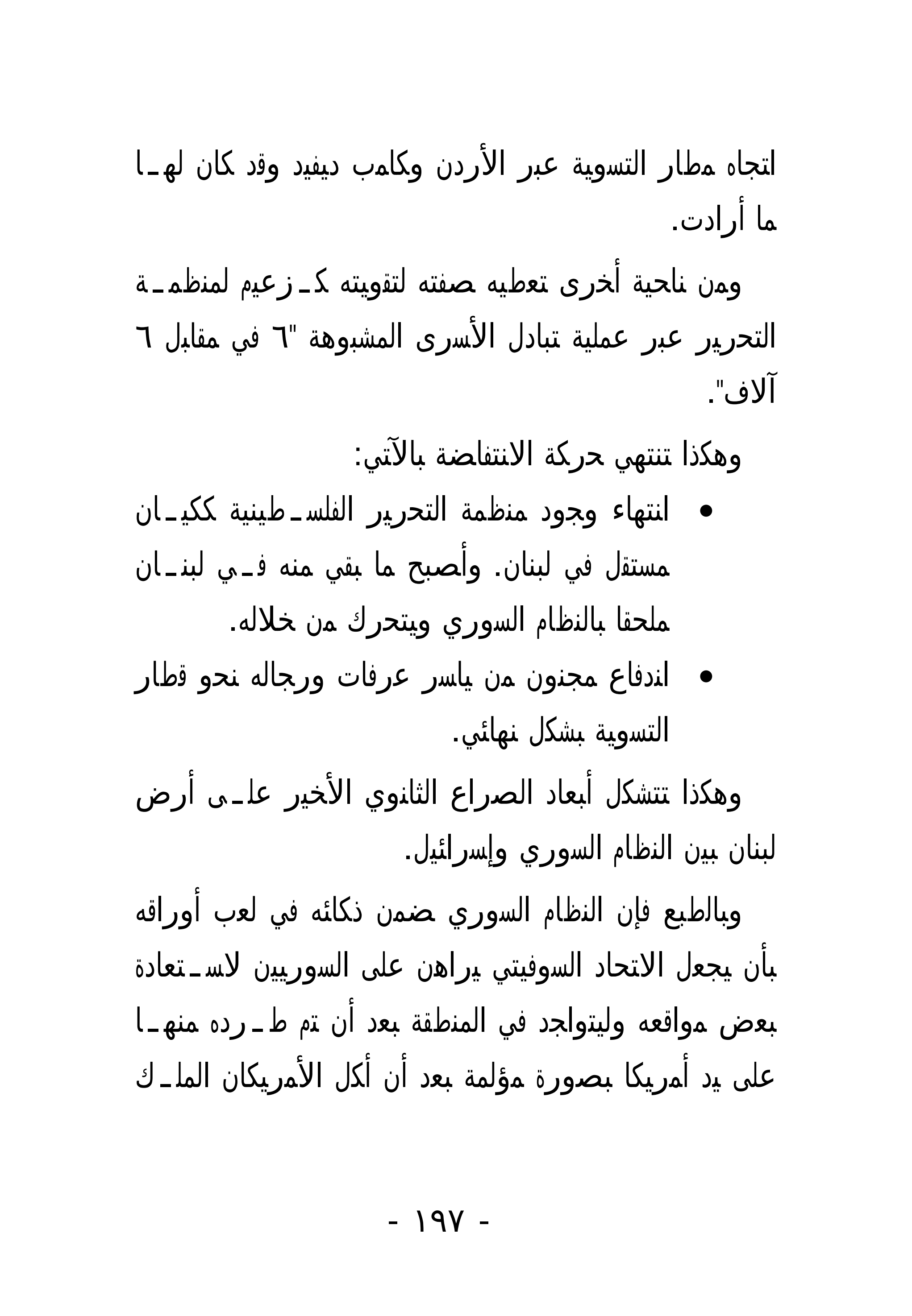
١- دعم حركة الجماهير جزئيا ومحاولة التفاف النظـام حولها ليضمها إلى أوراقه في الصراع.

٣- جعل المقاومة الفلسطينية في جيبه تماما ليساوم بهـا وليحقق شروطا أفضل.

وهكذا بدأ صعود ما يسمى بحركة الانشقاق داخل فتح.

فقد دفع النظام السوري بعض رجال فتح بالانتفاض ضـد قيادة ياسر عرفات مستثمرا ذلك المناخ الذي أفرزته حلقـات الصراع من أن ياسر عرفات قد خان الجمـاهير المسـلمة "وهذه حقيقة" ولكن النظام السوري لا يرفض عرفات ويدفع رجال المنظمة للانتفاض ضده وعيا لحركة الجماهير ولكـن لتصبح المنظمة بالكامل في جيبه وإحدى أوراقه في تحقيـق شروط أفضل وفي تحقيق ابتزاز أكبر لدول النفط لتدفع لـه مزيدا من الدولارات.

على أي حال تتركه إسرائيل ويخرج عرفـات وتنتهـي عملية وجود ما يسمى بالمقاومة الفلسطينية على أرض لبنان مع ملاحظة أن إسرائيل تقوم ببعض الحركات مثل رفضـها شكليا خروج عرفات وذلك في محاولة لدعم مركز عرفات. فهي تتركه للنظام السوري كي يدفعه أكثر بالضغط عليه في


اتجاه مطار التسوية عبر الأردن وكامب ديفيد وقد كان لهـا ما أرادت.

ومن ناحية أخرى تعطيه صفته لتقويته كـزعيم لمنظمـة التحرير عبر عملية تبادل الأسرى المشبوهة "٦ في مقابل ٦ آلاف".

وهكذا تنتهي حركة الانتفاضة بالآتي:

- انتهاء وجود منظمة التحرير الفلسـطينية ككيـان مستقل في لبنان. وأصبح ما بقي منه فـي لبنـان ملحقا بالنظام السوري ويتحرك من خلاله.
- اندفاع مجنون من ياسر عرفات ورجاله نحو قطار التسوية بشكل نهائي.

وهكذا تتشكل أبعاد الصراع الثانوي الأخير علـى أرض لبنان بين النظام السوري وإسرائيل.

وبالطبع فإن النظام السوري ضمن ذكائه في لعب أوراقه بأن يجعل الاتحاد السوفيتي يراهن على السوريين لاسـتعادة بعض مواقعه وليتواجد في المنطقة بعد أن تم طـرده منهـا على يد أمريكا بصورة مؤلمة بعد أن أكل الأمريكان الملـك

في القاهرة – ويلاحظ أن النظام السـوري يسـتعمل أيضـا الورقة السوفيتية في تحسين شروط تفاوضه ليس إلا.

وهذا التناقض الأخير لن يتم حسمه إلا عبر:

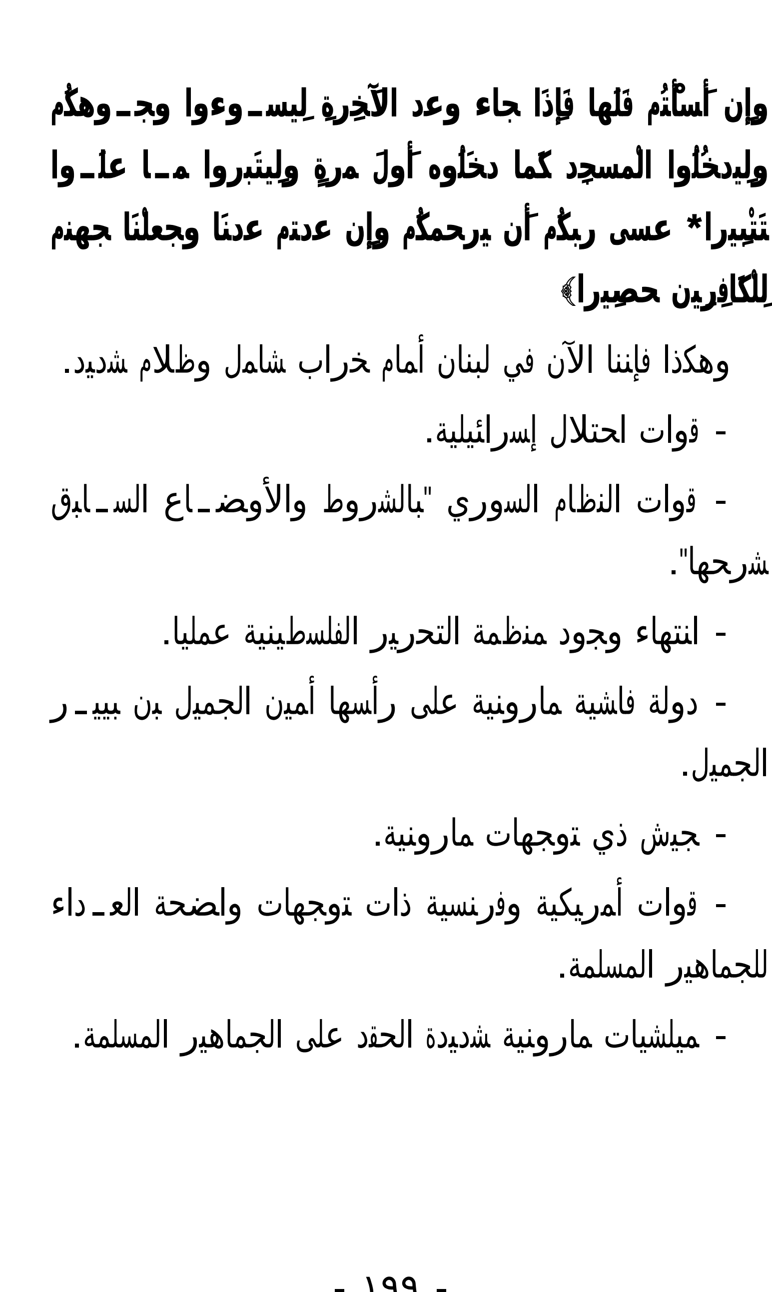
- إما أن يسلم الغرب الاستعماري وإسـرائيل بحـق النظام السوري في جزء من الكعكة.
- وإما أن يتم صدام معه لحسم التناقض عسكريا.

وإن تحديد أي خيار منهما يتوقف بالطبع على عدة عوامل أهمها وأبرزها هو حركة الجماهير الإسلامية لأن التنـاقض الجوهري دائما هو الذي سيحدد شـكل وأبعـاد التناقضـات الثانوية.

العالمية الإسلامية الثانية:

بسم ا الرحمن الرحيم

﴿وقَضينَا إِلَى بنِي إِسرائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدن فِي الْأَرضِ مرتَين ولَتَعلُن علُوا كَبِيرا* فَإِذَا جاء وعد أُولاهمـا بعثْنَـا علَيكُم عِبادا لَنَا أُولِي بأْسٍ شَدِيدٍ فَجاسوا خِلَالَ الديارِ وكَـان وعدا مفْعولاً* ثُم رددنَا لَكُم الْكَرةَ علَيهِم وأَمددنَاكُم بِـأَموالٍ وبنِين وجعلْنَاكُم أَكْثَر نَفِيرا* إِن أَحسنْتُم أَحسـنْتُم لِأَنْفُسِـكُم



وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسـوءوا وجـوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا مـا علـوا تتبيرا* عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا﴾

وهكذا فإننا الآن في لبنان أمام خراب شامل وظلام شديد.

- قوات احتلال إسرائيلية.

- قوات النظام السوري "بالشروط والأوضـاع السـابق شرحها".

- انتهاء وجود منظمة التحرير الفلسطينية عمليا.

- دولة فاشية مارونية على رأسها أمين الجميل بن بييـر الجميل.

- جيش ذي توجهات مارونية.

- قوات أمريكية وفرنسية ذات توجهات واضحة العـداء للجماهير المسلمة.

- ميلشيات مارونية شديدة الحقد على الجماهير المسلمة.

جماهير مسلمة بدا للحظة أن كل شيء قد انهار بالنسبة لها وأن الصعود اليهودي قد بلغ ذروته وأن الخراب قد أصبح شاملا.

ولكن كان الخراب المبدع.

صعود الجماهير المسلمة:

حقا إنه الخراب المبدع. من رحم الأمة الخصيب من الخراب المبدع بدأ صعود الجماهير. باتت الجماهير صاحبة المصلحة الحقيقية والتناقض الجوهري مع الكيان الصهيوني والغزوة الأمريكية الفرنسية والحقد الماروني الصليبي بدأ العملاق ينتفض ويستمر ويتقدم.

لم تنته حركة الجماهير. مازال عز الدين القسام وفوزي القاوقجي وحافظ سلامة وأحمد عبد العزيز والحسين مازالوا في الطليعة. ها هي الجماهير المسلمة. تملك أيديولوجيتها الإسلامية ورؤيتها الفذة. بدت الجماهير وجها لوجه أمام فلذة أكباد القوى الشيطانية فالجماهير المسلمة غير قابلة للهزيمة. لأنها وحدها تملك رصيد الانتصار بدأ انقلاب المنحنى وبدأ

الصعود الإسلامي مرة أخرى على يـد جمـاهير الجنـوب وبيروت.

ها هي الجماهير تعيد تشكيل نفسها تحت قيادات إسلامية ووفق أيديولوجيتها الإسلامية وبلا أدنى تواجد لكل الرمـوز العلمانية التي منعت الجمـاهير طـويلا مـن أداء دورهـا وساهمت في تضليلها وكبت حركتها المبدعة. بـدأت تلـك الجماهير تمتلك زمام أمرها وبدأ الانتفاض التاريخي العظيم بدأت العالمية الإسلامية الثانية.

فبعد أن قامت الجماهير المسلمة والتي لم تنقطع حركتهـا يوما وبعد أن تم اغتيال بشير الجميـل والمقاومـة الشـعبية الفدائية لقوات العدو الصهيوني مستمرة.

بدأت انتفاضة الجنوب الرائعة. قام رجال الدين الثـوريين من أمثال الشيخ محمد شمس الدين بإعطاء حركة الجمـاهير زخما هائلا والتلاحم معهـا والتصـدي المسـتمر للهجمـة الصهيونية. بدأت الجماهير تقاوم مقاومة يومية رائعة مسلحة وغير مسلحة. بدأت تجمع نفسها حول الشعارات الإسـلامية التي تخرج طاقاتها الهادرة فهاهي الجماهير تتقـدم "خيبـر خيبر يا يهود. جيش محمد سوف يعود" وهكذا عـاد جـيش

محمد ليحقق أروع الانتصارات في تاريخنا المعاصر علـى اليهود وتستمر المقاومة ويصـبح ثمـن الاحـتلال باهظـا وتضطر إسرائيل للانسحاب من كثير من المنـاطق والبقيـة تأتي إن شاء ا .

ها هي الجماهير المسلمة تضرب الغـرب كـل الغـرب وليس اليهود وحدهم:

- نسف مقر قيادة القوات الأمريكية (مشاة الأسـطول – المارينز) في عمل فدائي رائع حسيني لا يمكن مقاومته على حد قول أحد رجال المخابرات الأمريكية: إن الأعمـال مـن هذا الطراز لا يمكن مقاومتها.

حقا فإن الجماهير المسلمة إذا امتلكت إرادتها ولـم يحـل حائل بينها وبين عدوها. فإنها لا يمكن مقاومتها ليس لها إلا أن تنتصر لأن هذه سنة ا ولن تجد لسنة ا تبديلا. ولـن تجد لسنة ا تحويلا.

- نسف مقر قيادة القوات الفرنسية.

- النسف اليـومي المسـتمر لكـل قواعـد الاحـتلال الصهيوني.

- المقاومة المستمرة لكل أساليب الدجل ومحاولة دفع الجماهير إلى أنصاف الحلول عبر الأطروحات اليسارية واليمينية وغيرها. الجماهير لا تعرف التفاوض لقد تم ذبح السلام والتفاوض على يد جماهير المسلمين في لبنان. وليس لهم إلا أن ينتصروا.

الجماهير في زحف ملحمي رائع تسيطر على بيروت الغربية والجبل. يا لها من لحظة رائعة.

الاستيلاء على الإذاعة والتليفزيون.

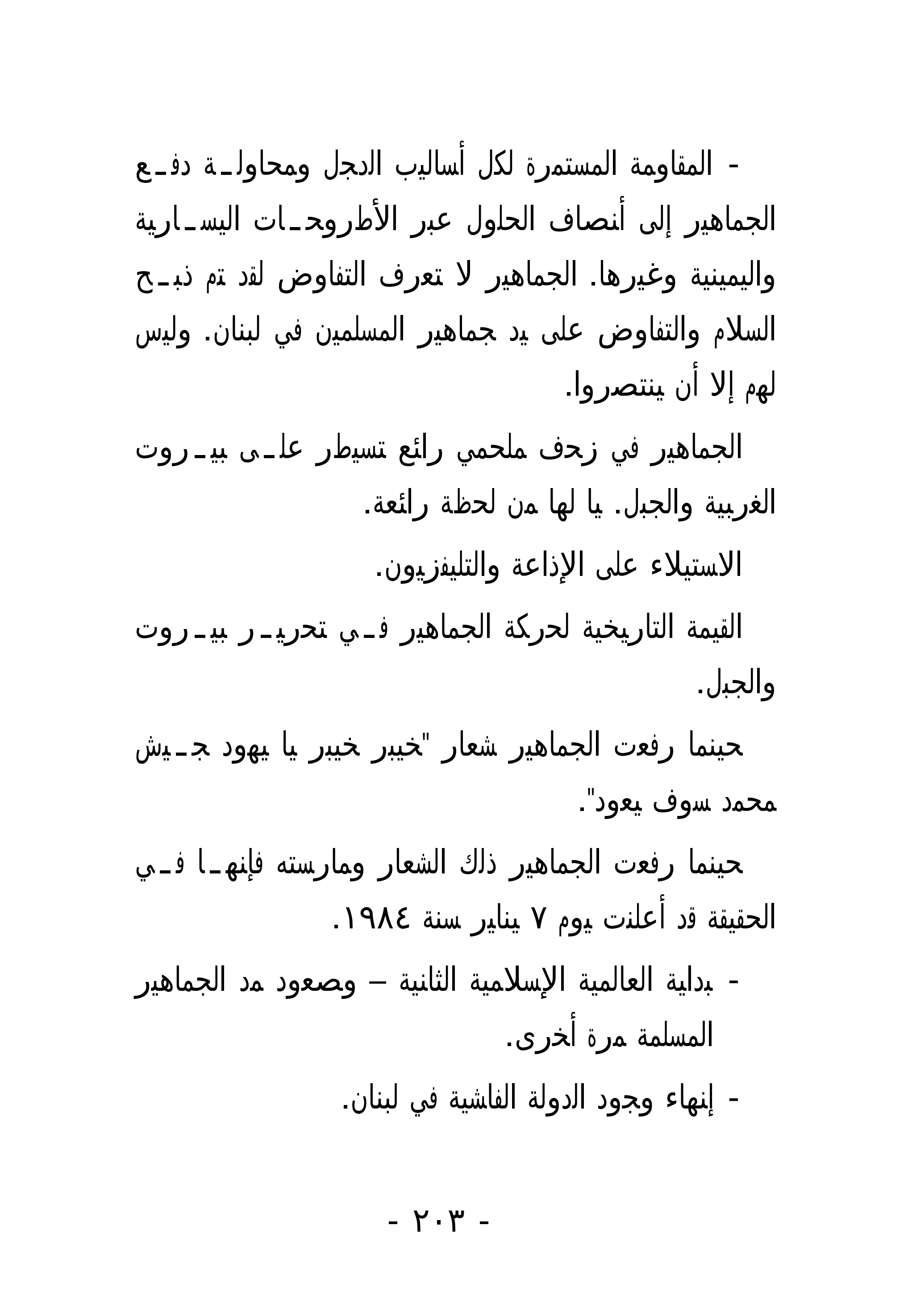
القيمة التاريخية لحركة الجماهير في تحرير بيروت والجبل.

حينما رفعت الجماهير شعار "خيبر خيبر يا يهود جيش محمد سوف يعود".

حينما رفعت الجماهير ذلك الشعار ومارسته فإنها في الحقيقة قد أعلنت يوم ٧ يناير سنة ١٩٨٤.

- بداية العالمية الإسلامية الثانية – وصعود مد الجماهير المسلمة مرة أخرى.

- إنهاء وجود الدولة الفاشية في لبنان.



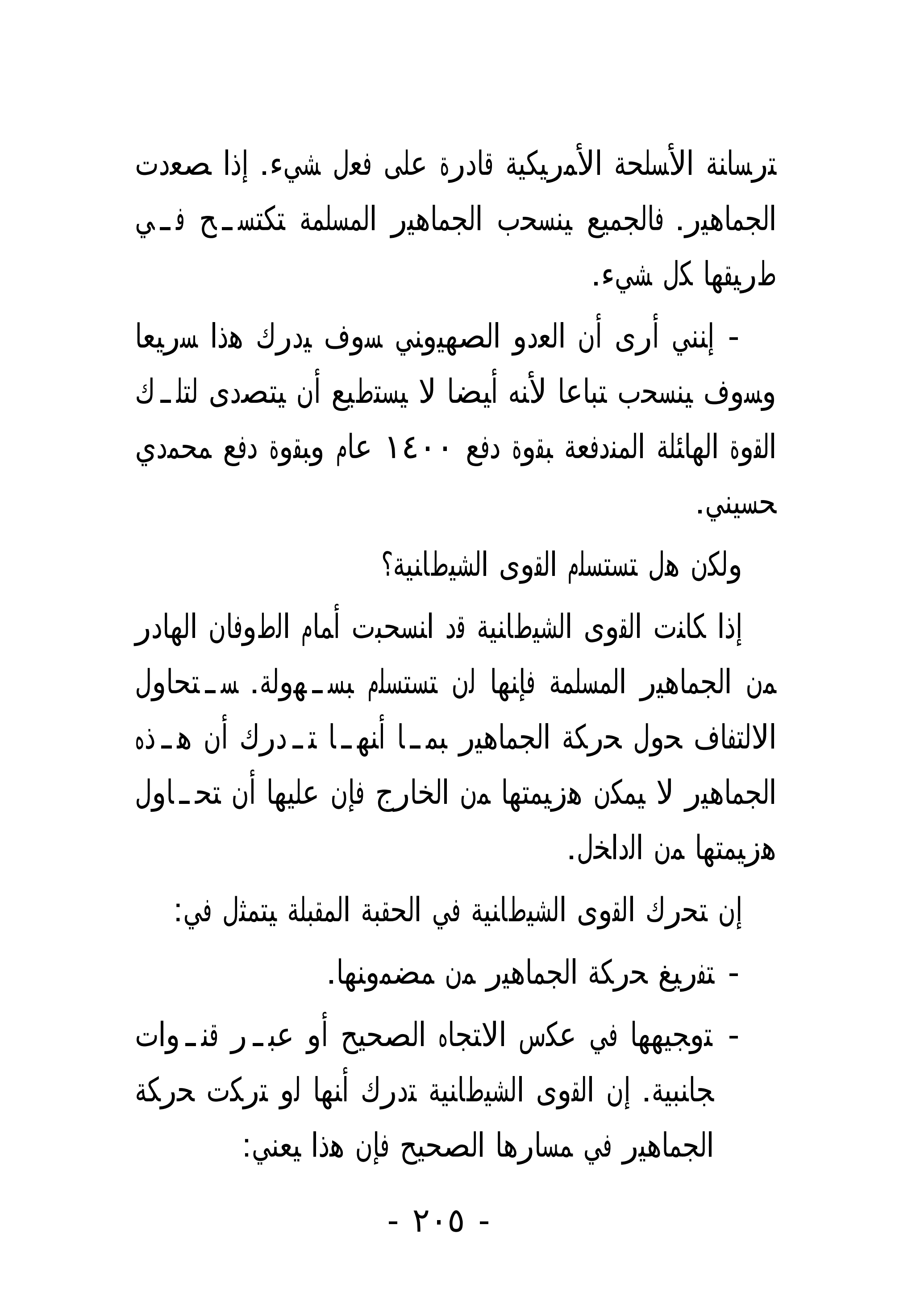
- إقامة دولة الجماهير في المناطق المحررة.
- بداية نهاية إسرائيل.
- لقد حسمت الجماهير المعركة في اتجاه إسقاط التسوية. لقد سقطت يوم ٧ يناير.
- الحقبة الإسرائيلية.
- الهجمة الغربية.
- كل الأطروحات العلمانية.
- كل الحلول الوسط والتردد والتفاوض ولقد أبرزت.

الطريق الوحيد لتحرير فلسطين وإقامة العالمية الإسلامية الثانية هي حرب التحرير الشعبية الإسلامية.

- إن الجماهير المسلمة التي تملكت زمام أمرها غير قابلة للهزيمة.

انسحاب مشاة البحرية الأمريكية:

لقد أدركت الإدارة الأمريكية أنها أمام تحد مـن نـوع لا يمكن هزيمته أنها أمام الجماهير المسلمة وتحت قيادة الرموز الإسـلامية وبالتـالي فـلا حـاملات الطـائرات ولا المدمرات ولا قذائف الألف كيلو ولا نيوجرسي ولا كـل



ترسانة الأسلحة الأمريكية قادرة على فعل شيء. إذا صعدت الجماهير. فالجميع ينسحب الجماهير المسلمة تكتسح في طريقها كل شيء.

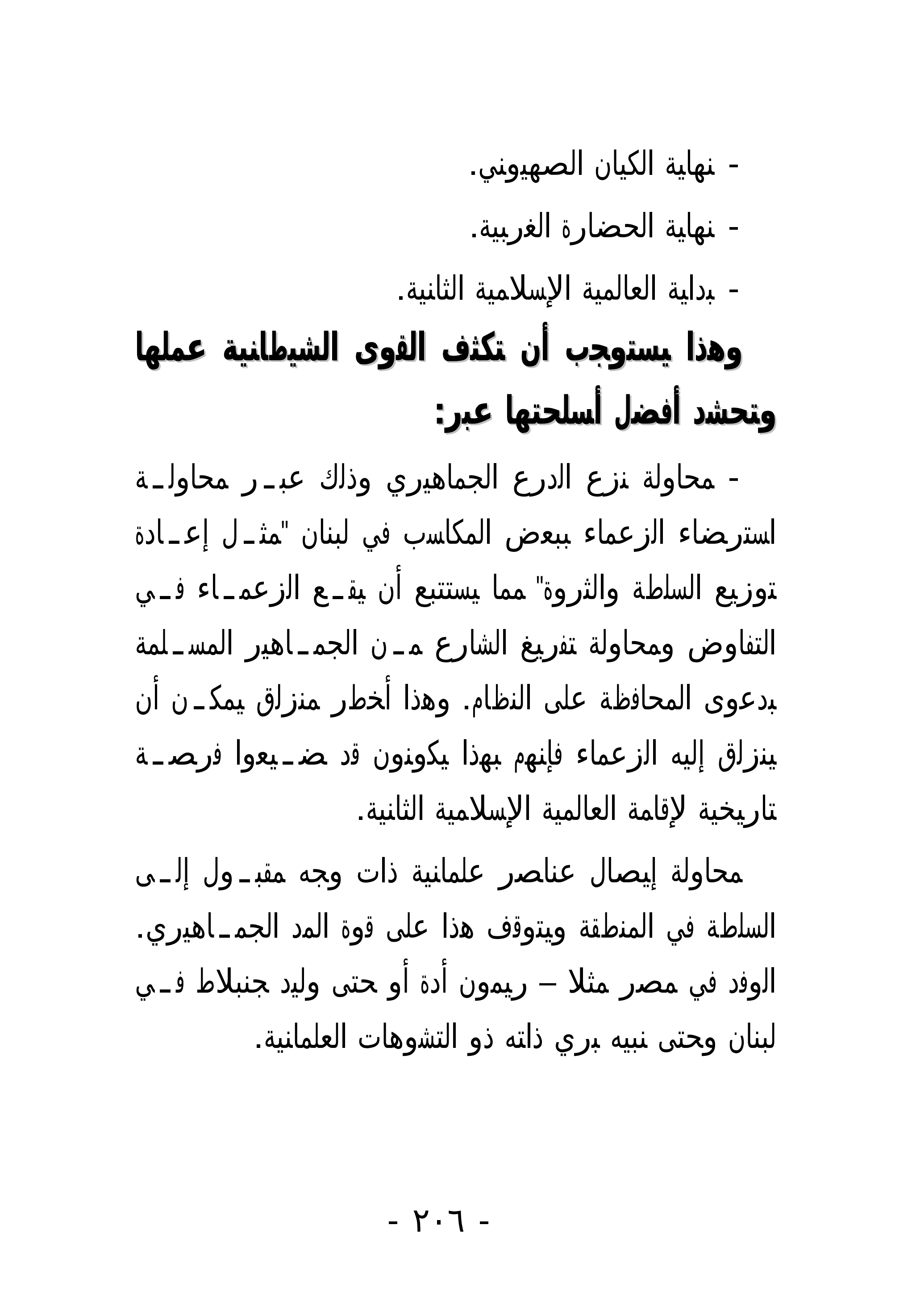
- إنني أرى أن العدو الصهيوني سوف يدرك هذا سريعا وسوف ينسحب تباعا لأنه أيضا لا يستطيع أن يتصدى لتلك القوة الهائلة المندفعة بقوة دفع ١٤٠٠ عام وبقوة دفع محمدي حسيني.

ولكن هل تستسلم القوى الشيطانية؟

إذا كانت القوى الشيطانية قد انسحبت أمام الطوفان الهادر من الجماهير المسلمة فإنها لن تستسلم بسهولة. ستحاول الالتفاف حول حركة الجماهير بما أنها تدرك أن هذه الجماهير لا يمكن هزيمتها من الخارج فإن عليها أن تحاول هزيمتها من الداخل.

إن تحرك القوى الشيطانية في الحقبة المقبلة يتمثل في:

- تفريغ حركة الجماهير من مضمونها.
- توجيهها في عكس الاتجاه الصحيح أو عبر قنوات جانبية. إن القوى الشيطانية تدرك أنها لو تركت حركة الجماهير في مسارها الصحيح فإن هذا يعني:



- نهاية الكيان الصهيوني.

- نهاية الحضارة الغربية.

- بداية العالمية الإسلامية الثانية.

وهذا يستوجب أن تكثف القوى الشيطانية عملها وتحشد أفضل أسلحتها عبر:

- محاولة نزع الدرع الجماهيري وذلك عبر محاولة استرضاء الزعماء ببعض المكاسب في لبنان "مثل إعادة توزيع السلطة والثروة" مما يستتبع أن يقع الزعماء في التفاوض ومحاولة تفريغ الشارع من الجماهير المسلمة بدعوى المحافظة على النظام. وهذا أخطر منزلق يمكن أن ينزلق إليه الزعماء فإنهم بهذا يكونون قد ضيعوا فرصة تاريخية لإقامة العالمية الإسلامية الثانية.

محاولة إيصال عناصر علمانية ذات وجه مقبول إلى السلطة في المنطقة ويتوقف هذا على قوة المد الجماهيري. الوفد في مصر مثلا – ريمون أدة أو حتى وليد جنبلاط في لبنان وحتى نبيه بري ذاته ذو التشوهات العلمانية.

- حل التناقض مع النظام السوري واستعماله في ضرب حركة الجماهير الذي يدرك النظام السوري خطورتها عليـه هو أيضا.

- محاولة الإيقاع بين الطوائف. سني – شيعي – درزي – علوي. إلخ!!

كل القوى سوف تتجمع..

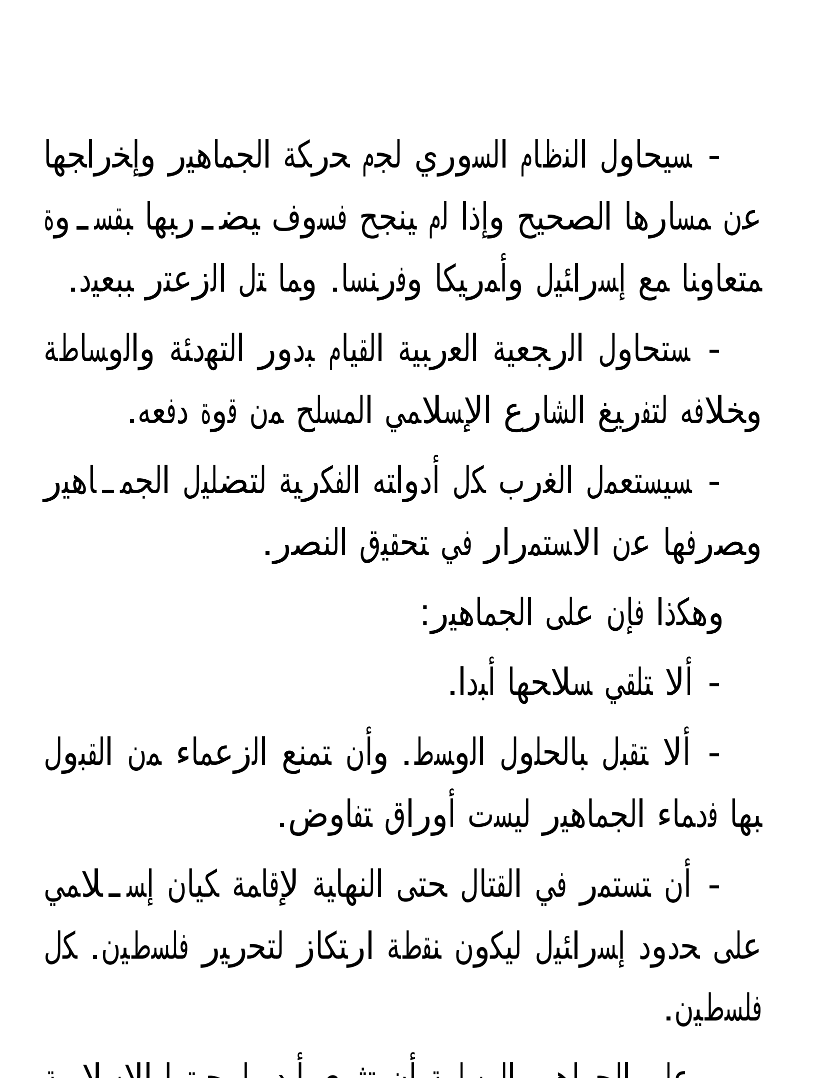
لاشك أن حركة الجماهير المسلمة قد وصـلت الآن إلـى مرحلة خطيرة جدا وبالتالي فإن كل القوى الشيطانية سـوف تتجمع لمنع البركان الإسلامي الهائل من اكتساح كل التخلف والعمالة والجهل والاستعمار.

إن الحركة الجماهيرية الإسلامية الآن قد أصبحت خطرا على كل القوى.

- الرجعية العربية – والتقدمية العربية -.

- خطرا على الغرب كـل الغـرب بشـقيه الرأسـمالي والشيوعي.

- خطرا على اليهود وكل أبناء الأفاعي – على الصليبيين من كافة الأشكال.. وبالتالي فإن كـل القـوى سـتقف الآن وبحزم في وجه حركة الجماهير.



- سيحاول النظام السوري لجم حركة الجماهير وإخراجها عن مسارها الصحيح وإذا لم ينجح فسوف يضربها بقسوة متعاونا مع إسرائيل وأمريكا وفرنسا. وما تل الزعتر ببعيد.

- ستحاول الرجعية العربية القيام بدور التهدئة والوساطة وخلافه لتفريغ الشارع الإسلامي المسلح من قوة دفعه.

- سيستعمل الغرب كل أدواته الفكرية لتضليل الجماهير وصرفها عن الاستمرار في تحقيق النصر.

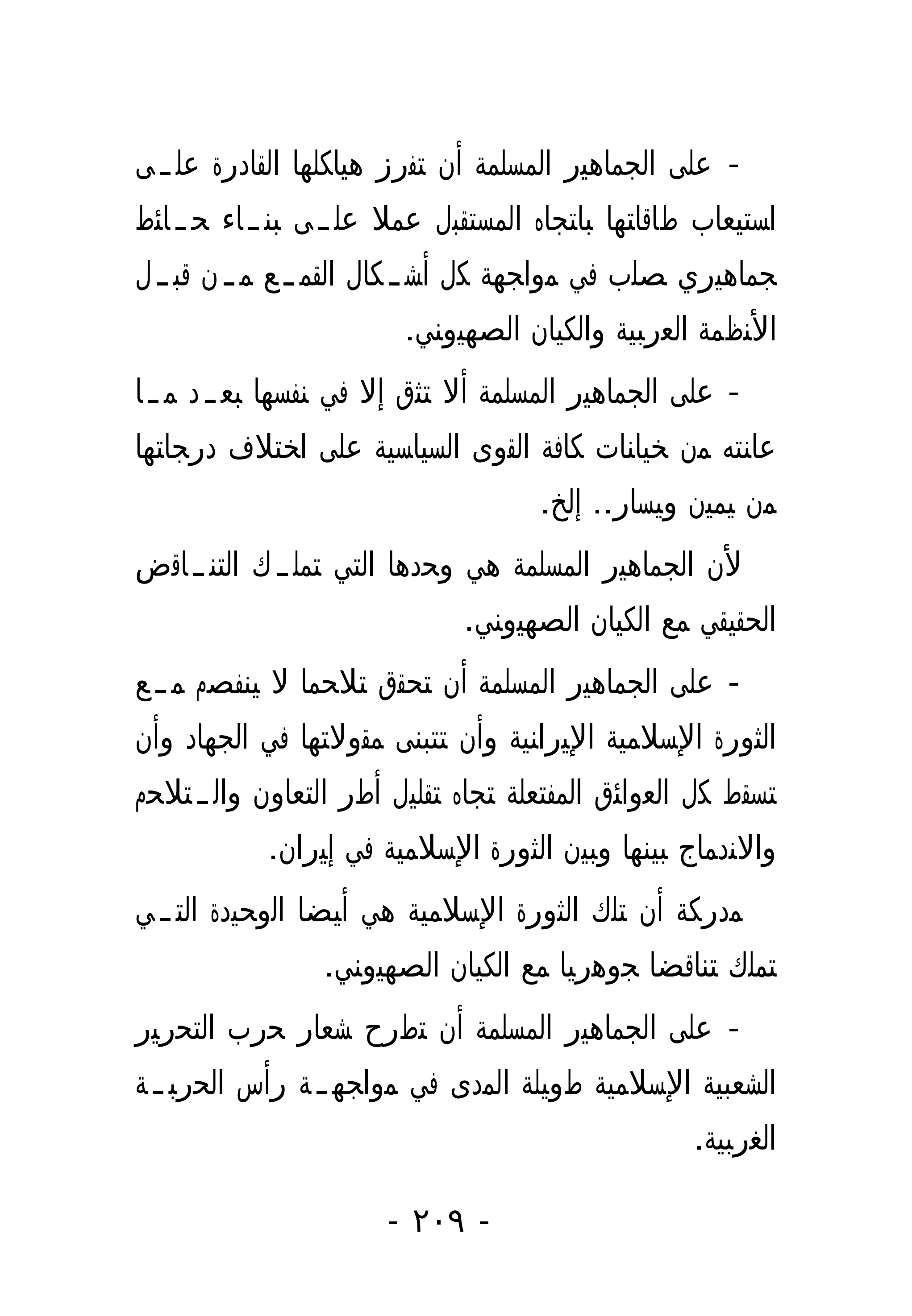
وهكذا فإن على الجماهير:

- ألا تلقي سلاحها أبدا.

- ألا تقبل بالحلول الوسط. وأن تمنع الزعماء من القبول بها فدماء الجماهير ليست أوراق تفاوض.

- أن تستمر في القتال حتى النهاية لإقامة كيان إسلامي على حدود إسرائيل ليكون نقطة ارتكاز لتحرير فلسطين. كل فلسطين.

- على الجماهير المسلمة أن تثري أيديولوجيتها الإسلامية بمزيد من الإيمان والوعي. بالعبادة والنضال السياسي. بالتأمل المستمر والدراسة المضنية.



- على الجماهير المسلمة أن تفرز هياكلها القادرة علـى استيعاب طاقاتها باتجاه المستقبل عملا علـى بنـاء حـائط جماهيري صلب في مواجهة كل أشـكال القمـع مـن قبـل الأنظمة العربية والكيان الصهيوني.

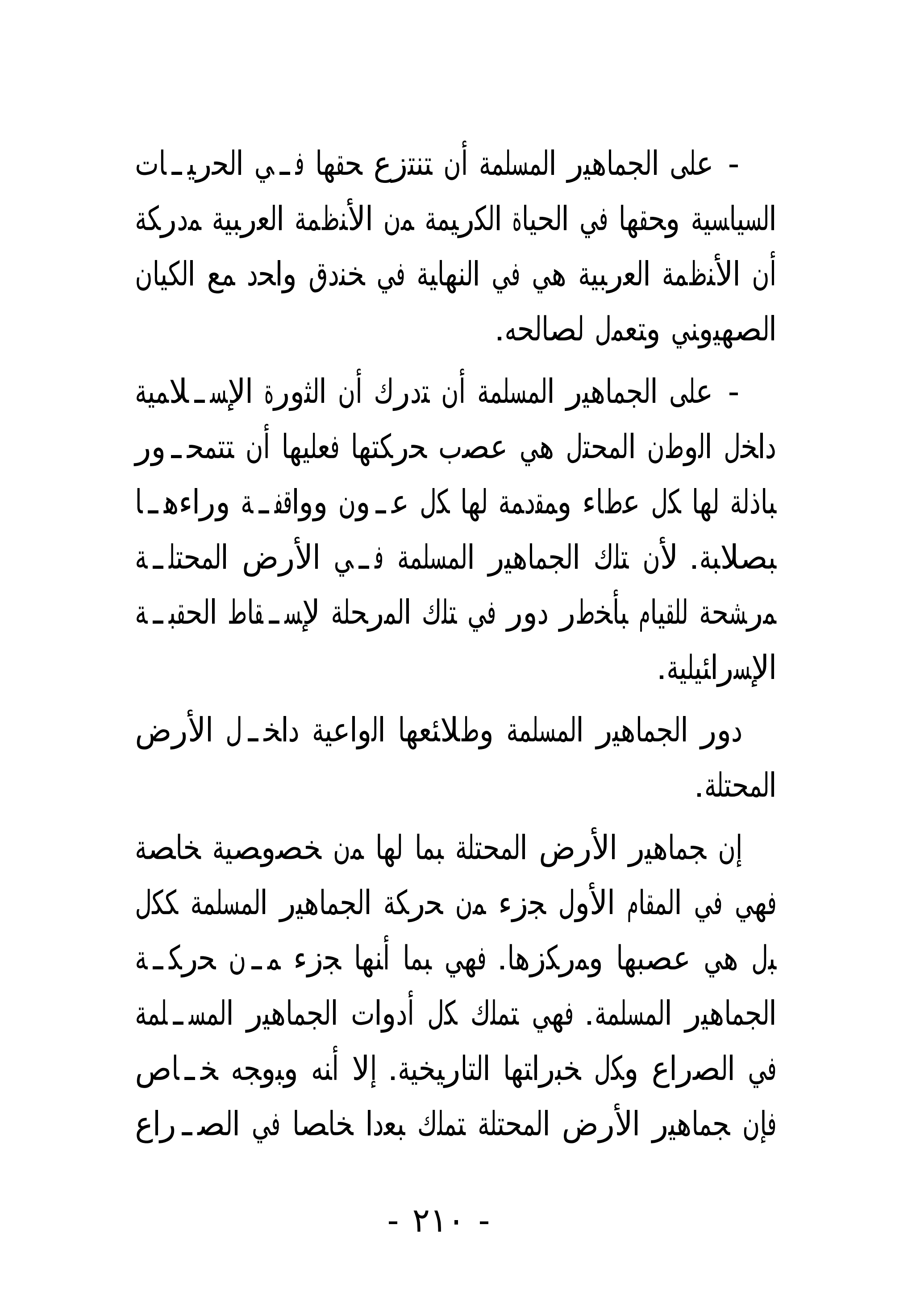
- على الجماهير المسلمة ألا تثق إلا في نفسها بعـد مـا عانته من خيانات كافة القوى السياسية على اختلاف درجاتها من يمين ويسار.. إلخ.

لأن الجماهير المسلمة هي وحدها التي تملـك التنـاقض الحقيقي مع الكيان الصهيوني.

- على الجماهير المسلمة أن تحقق تلاحما لا ينفصم مـع الثورة الإسلامية الإيرانية وأن تتبنى مقولاتها في الجهاد وأن تسقط كل العوائق المفتعلة تجاه تقليل أطر التعاون والـتلاحم والاندماج بينها وبين الثورة الإسلامية في إيران.

مدركة أن تلك الثورة الإسلامية هي أيضا الوحيدة التـي تملك تناقضا جوهريا مع الكيان الصهيوني.

- على الجماهير المسلمة أن تطرح شعار حرب التحرير الشعبية الإسلامية طويلة المدى في مواجهـة رأس الحربـة الغربية.



- على الجماهير المسلمة أن تنتزع حقها في الحريات السياسية وحقها في الحياة الكريمة من الأنظمة العربية مدركة أن الأنظمة العربية هي في النهاية في خندق واحد مع الكيان الصهيوني وتعمل لصالحه.

- على الجماهير المسلمة أن تدرك أن الثورة الإسلامية داخل الوطن المحتل هي عصب حركتها فعليها أن تتمحور باذلة لها كل عطاء ومقدمة لها كل عون وواقفة وراءها بصلابة. لأن تلك الجماهير المسلمة في الأرض المحتلة مرشحة للقيام بأخطر دور في تلك المرحلة لإسقاط الحقبة الإسرائيلية.

دور الجماهير المسلمة وطلائعها الواعية داخل الأرض المحتلة.

إن جماهير الأرض المحتلة بما لها من خصوصية خاصة فهي في المقام الأول جزء من حركة الجماهير المسلمة ككل بل هي عصبها ومركزها. فهي بما أنها جزء من حركة الجماهير المسلمة. فهي تملك كل أدوات الجماهير المسلمة في الصراع وكل خبراتها التاريخية. إلا أنه وبوجه خاص فإن جماهير الأرض المحتلة تملك بعدا خاصا في الصراع

وهو أنها في تماس مباشر مع الكيان الصهيوني. وفي صدام يومي معه وبالتالي فهي أكثر قـدرة علـى الفهـم والإدراك والوعي التاريخي وهي أكثر قدرة على الحركة في مواجهـة عدو تتعامل معه يوميا.

كما أن تلك الجماهير قد وقع عليها بشكل خاص كل الآلام والمحن والتجارب القاسية من تشـريد وتجويـع وحصـار وغيرها وبالتالي فإنها تملك تراكماتها الخاصة في مواجهـة ذلك الكيان.

إن تلك الجماهير تعمل مباشرة في مواجهة الاحـتلال – مع شروط أخرى – دون أن تقف فـي سـبيلها حكومـات وأنظمة تمنعها عن أداء دورها بالأساليب القمعية المعروفـة والتي تعاني منها الجماهير خارج الأرض المحتلة.

- وبما أن إسرائيل تدرك ما سبق عن خصوصية وحيوية الجماهير فإننا وطبقا للتحليل السابق ودراسة طبيعة القـوى وشروطها في الصراع وبدراسة الواقع التاريخي في اللحظة الحاضرة نحدد أن حركة القوى الشيطانية ستكون في اتجـاه إقامة كيان فلسطيني مصطنع وهزيل ليصبح حاجزا نهائيـا بين جماهير المنطقة وبين الكيان الصـهيوني مـع الهيمنـة

الإسرائيلية الكاملة عسكريا على ذلـك الـوطن الفلسـطيني الهزيل وبالطبع مع الهيمنة العسكرية على كل ما يحيط بهـا استمرارا لخطتها في التوسع.

إن أخطر ما يواجه الجماهير في الأرض المحتلـة هـو إقرار وتحديد ذلك الكيان الهزيل المزمع إقامته ليقوم بدلا من إسرائيل بقمع الجماهير وإنهاء حركتها التاريخية الفذة.

إن ا سبحانه قد قيض للجماهير المسـلمة فـي الأرض المحتلة أطهر وأوعى شباب الأرض وعلـى هـذا الشـباب المؤمن أن يعي ما سبق جيدا ويتحرك في الإطار الصـحيح نحو إسقاط محاولة تصفية القضية الفلسطينية في اتجاه إقامة كيان هزيل يسحب التراكمات الثورية.

* * *

الباب الرابع

القوى غير الإسلامية

نهج خيانة–نهج مساومة–

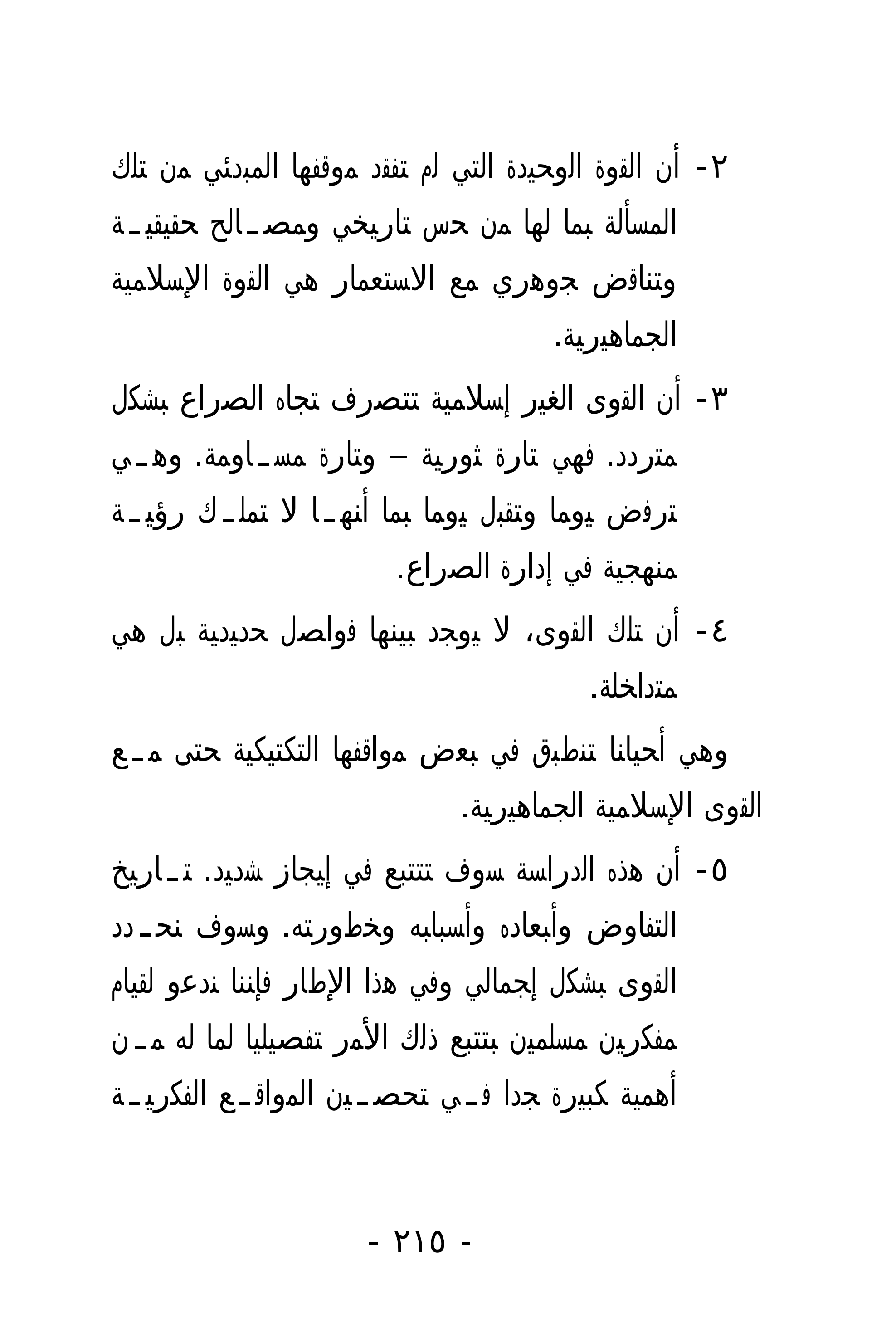
نهج تردد

إنه لمن الأهمية بمكان رصد ظاهرة سقوط كـل القـوى السياسية في المنطقة ما عدا (الإسلامية الجماهيرية بـالطبع) في فخ التفاوض والحلول الوسط.

إن أهمية رصد وتحليل تلك الظاهرة ينبع أساسا من كون التفاوض والمساومة يعد من أخطر الأسـلحة الاسـتعمارية الشيطانية في إخراج قطاعات من تلك القوى من الصـراع. بل واستعمالها في الالتفاف حول حركة الجمـاهير المسـلمة وبالتالي فإنها في النهاية تخدم مخططات الغزوة الشيطانية.

ولكن بداية يجب أن نرصد بعض الحقائق التالية:

١- أن كل القوى بلا استثناء استدرجت نحو ذلـك الفـخ وعلى مدى مساحة الصراع التاريخية والجغرافيـة، وأن الفرق بينها لم يكن إلا فرقا في الدرجة، جيروند ويعاقبة.



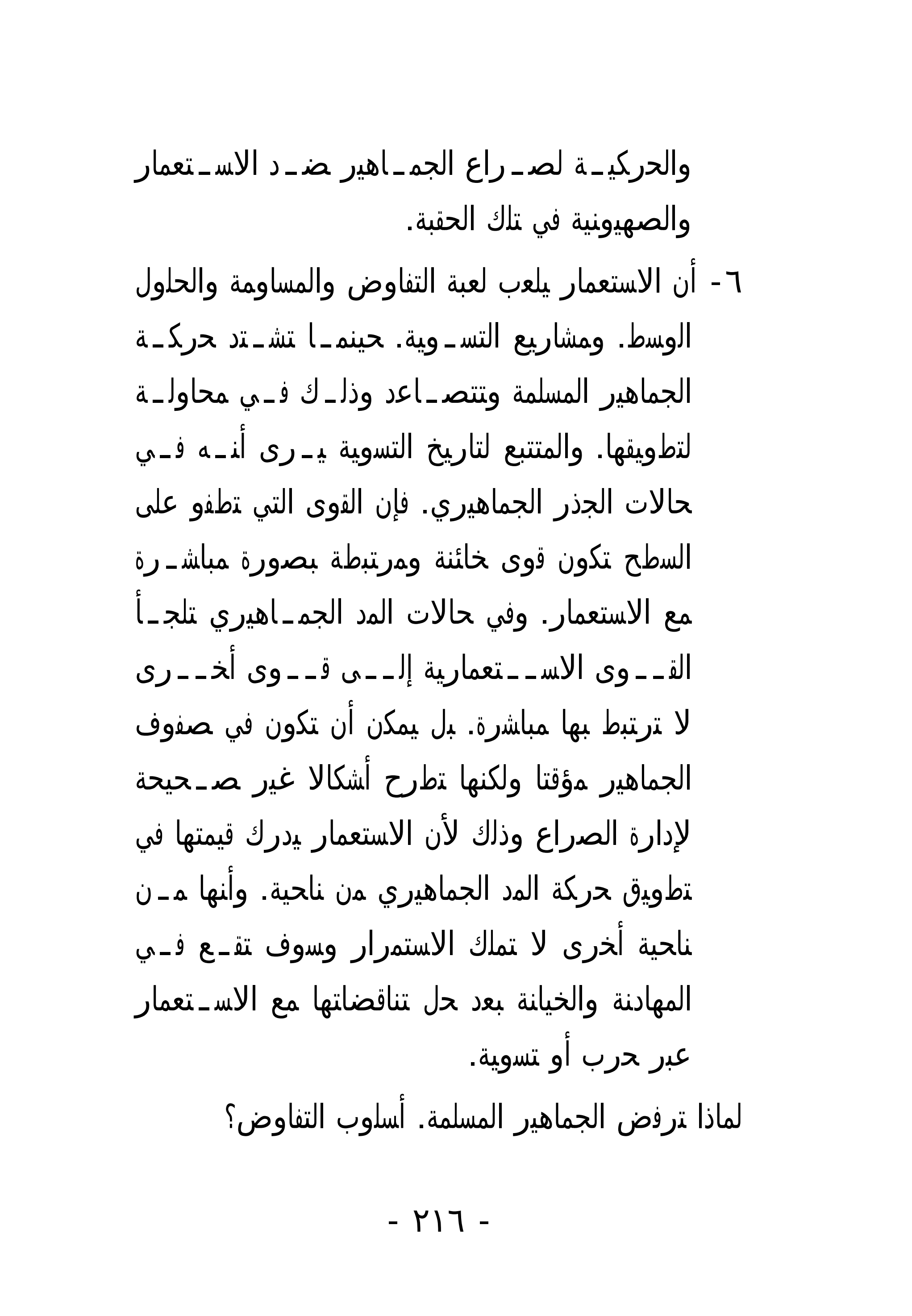
٢- أن القوة الوحيدة التي لم تفقد موقفها المبدئي من تلك المسألة بما لها من حس تاريخي ومصـالح حقيقيـة وتناقض جوهري مع الاستعمار هي القوة الإسلامية الجماهيرية.

٣- أن القوى الغير إسلامية تتصرف تجاه الصراع بشكل متردد. فهي تارة ثورية – وتارة مسـاومة. وهـي ترفض يوما وتقبل يوما بما أنهـا لا تملـك رؤيـة منهجية في إدارة الصراع.

٤- أن تلك القوى، لا يوجد بينها فواصل حديدية بل هي متداخلة.

وهي أحيانا تنطبق في بعض مواقفها التكتيكية حتى مـع القوى الإسلامية الجماهيرية.

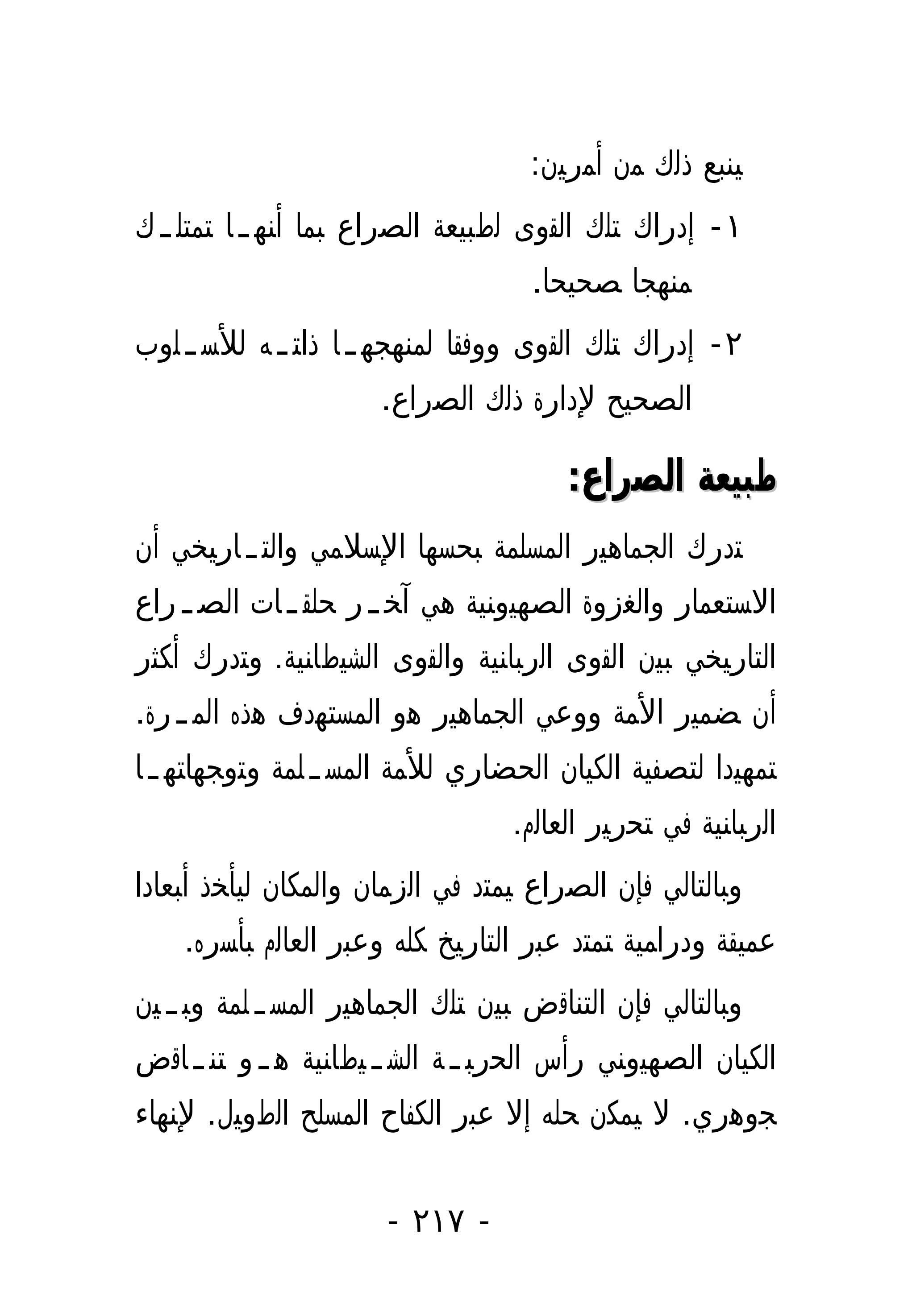
٥- أن هذه الدراسة سوف تتتبع في إيجاز شديد. تـاريخ التفاوض وأبعاده وأسبابه وخطورته. وسوف نحـدد القوى بشكل إجمالي وفي هذا الإطار فإننا ندعو لقيام مفكرين مسلمين بتتبع ذلك الأمر تفصيليا لما له مـن أهمية كبيرة جدا فـي تحصـين المواقـع الفكريـة



والحركية لصراع الجماهير ضد الاستعمار والصهيونية في تلك الحقبة.

٦- أن الاستعمار يلعب لعبة التفاوض والمساومة والحلول الوسط. ومشاريع التسوية. حينما تشتد حركة الجماهير المسلمة وتتصاعد وذلك في محاولة لتطويقها. والمتتبع لتاريخ التسوية يرى أنه في حالات الجذر الجماهيري. فإن القوى التي تطفو على السطح تكون قوى خائنة ومرتبطة بصورة مباشرة مع الاستعمار. وفي حالات المد الجماهيري تلجأ القوى الاستعمارية إلى قوى أخرى لا ترتبط بها مباشرة. بل يمكن أن تكون في صفوف الجماهير مؤقتا ولكنها تطرح أشكالا غير صحيحة لإدارة الصراع وذلك لأن الاستعمار يدرك قيمتها في تطويق حركة المد الجماهيري من ناحية. وأنها من ناحية أخرى لا تملك الاستمرار وسوف تقع في المهادنة والخيانة بعد حل تناقضاتها مع الاستعمار عبر حرب أو تسوية.

لماذا ترفض الجماهير المسلمة. أسلوب التفاوض؟



ينبع ذلك من أمرين:

١- إدراك تلك القوى لطبيعة الصراع بما أنها تمتلك منهجا صحيحا.

٢- إدراك تلك القوى ووفقا لمنهجها ذاته للأسلوب الصحيح لإدارة ذلك الصراع.

طبيعة الصراع:

تدرك الجماهير المسلمة بحسها الإسلامي والتاريخي أن الاستعمار والغزوة الصهيونية هي آخر حلقات الصراع التاريخي بين القوى الربانية والقوى الشيطانية. وتدرك أكثر أن ضمير الأمة ووعي الجماهير هو المستهدف هذه المرة. تمهيدا لتصفية الكيان الحضاري للأمة المسلمة وتوجهاتها الربانية في تحرير العالم.

وبالتالي فإن الصراع يمتد في الزمان والمكان ليأخذ أبعادا عميقة ودرامية تمتد عبر التاريخ كله وعبر العالم بأسره.

وبالتالي فإن التناقض بين تلك الجماهير المسلمة وبين الكيان الصهيوني رأس الحربة الشيطانية هو تناقض جوهري. لا يمكن حله إلا عبر الكفاح المسلح الطويل. لإنهاء

الحقبة الاستعمارية بكاملها وتدمير الكيان الصهيوني تمامـا. وبلا أدنى فرصة في الالتقاء على أي أرضية كانت.

وهكذا فإنه ليس هناك أي أرضية للالتقاء بين القوتين.

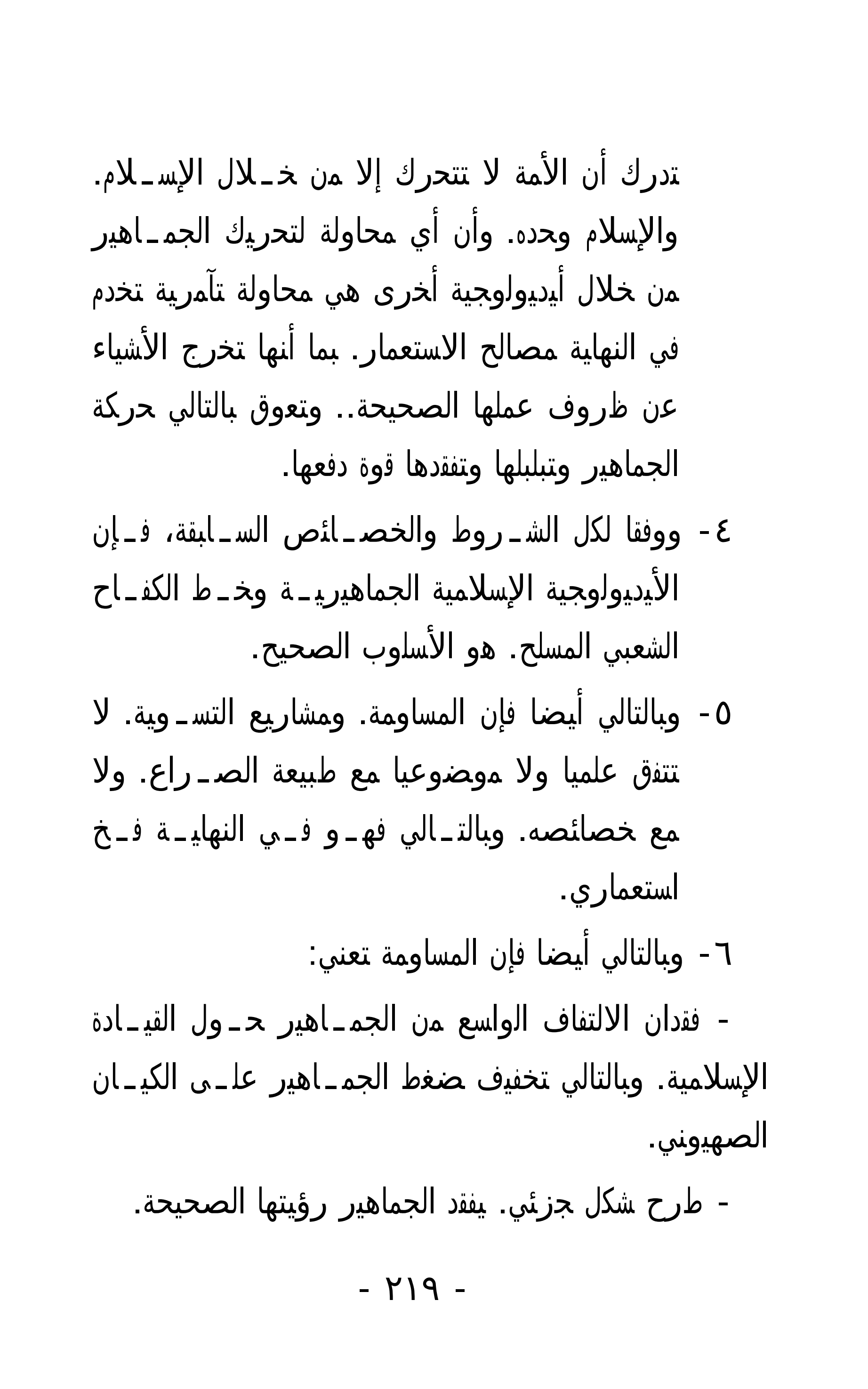
الأسلوب الصحيح لإدارة الصراع..

تدرك الجماهير المسلمة وطليعتها الواعيـة أن الأسـلوب الصحيح لإدارة أي صراع لابد أن يستند إلى:

١- فهم طبيعة التحدي وهي وفقا لمنهجها فإنها تدرك ذلك بوضوح كما سبق.

٢- فهم طبيعة وتركيب العنصر المعادي. (انظر فصـل طبيعة المجتمع الإسرائيلي)، وبالتالي فهـي تـدرك توجهات وطبيعـة تركيـب المجتمـع الصـهيوني. وارتباطه الوثيق بالاستعمار. وتوجهات ذلك المجتمع العقائدية والتاريخية فهو مجتمع توراتي حتى النخاع. ولابد من تحد مكافئ لذلك.

٣- فهم خصائص وشروط عمل قواها الذاتية. وأن القوى الإسلامية تدرك أن قوتها تنبع أساسا مـن إسـلامها وصلابتها وأن درعها هو الجماهير وهي فضلا عن واجبها تجاه ربها ودينها ورسالتها في العالم. فإنهـا



تدرك أن الأمة لا تتحرك إلا من خـلال الإسـلام. والإسلام وحده. وأن أي محاولة لتحريك الجمـاهير من خلال أيديولوجية أخرى هي محاولة تآمرية تخدم في النهاية مصالح الاستعمار. بما أنها تخرج الأشياء عن ظروف عملها الصحيحة.. وتعوق بالتالي حركة الجماهير وتبلبلها وتفقدها قوة دفعها.

٤- ووفقا لكل الشـروط والخصـائص السـابقة، فـإن الأيديولوجية الإسلامية الجماهيريـة وخـط الكفـاح الشعبي المسلح. هو الأسلوب الصحيح.

٥- وبالتالي أيضا فإن المساومة. ومشاريع التسـوية. لا تتفق علميا ولا موضوعيا مع طبيعة الصـراع. ولا مع خصائصه. وبالتـالي فهـو فـي النهايـة فـخ استعماري.

٦- وبالتالي أيضا فإن المساومة تعني:

- فقدان الالتفاف الواسع من الجمـاهير حـول القيـادة الإسلامية. وبالتالي تخفيف ضغط الجمـاهير علـى الكيـان الصهيوني.

- طرح شكل جزئي. يفقد الجماهير رؤيتها الصحيحة.

ولتوضيح تلك النقطة الهامة جدا يجب أن ندرك الآتي:

- عدو ثوراتي – عقائدي – مسلح بأحـدث الأسـلحة – مدعوم من الاستعمار والحضارة الغربية تعطيه كل شيء – إفراز حقيقي للحضارة الغربيـة. بمعنـى أنـه يسـتوعبها ويستعمل أدواتها بكفاءة.

وبالتالي فإن محاولة مواجهته بجيـوش قويـة. منظمـة. بدبابات وطائرات وحروب إلكترونية. فإنها محاولة فاشلة.

- لأن كل تلك الأسلحة. قد تطورت علميا وتكنيكيا فـي معامل الغرب ومصانعه، وبالتالي فلن نستطيع اللحاق به في كفاءتها ولا عددها. ولن يحدث ذلـك مادامـت الحضـارة الغربية متفوقة علينا. فمهما امتلكنا طائرات ودبابات فسيكون لديه دائما أقوى وأكفأ منها.

- ومحاولة مواجهته. بإطار علماني. يجعلنا نفقـد قوانـا الذاتية. فضلا عن أننا سوف نرقص علـى دقـات طبـول الحضارة الغربية. التي هي في النهاية معادية لنا ولن تسمح لنا بتجاوزها. إذا فهمنا توجهاتها الصحيحة. فكيـف نواجـه عدونا. بمنطـق هـو إفـراز لـه. ونحـن نقليـد مشـوه.

- كما أن محاولة مخاطبة الرأي العام – والأمـم المتحـدة

وغيرهما. لا يتفق أيضا مع طبيعة الصراع ولا مع الأسلوب الصحيح لإدارته وفقا لما سبق. لأن الرأي العام في النهايـة صنع غربي. كما أن ثقافته وتوجهاته غربية وكذلك مقاييسه (ليس من الغريب أن يقف الرأي العام مع حق إسرائيل فـي الوجود. بكل قواه السياسية من يمين ويسار.. إلخ – موقـف سارتر مثلا – ميتران.. إلخ).

كما أن الأمم المتحدة هـي منظمـة اسـتعمارية أنشـأها الاستعمار لمحاولة تخفيف الضغط الجماهيري عليـه. عبـر قنوات فرعية.

وبالتالي فإن القوى الحقيقية التي تمتلكها هي:

- البعد الجماهيري. جماهير الأمة المسلمة. ولابـد مـن تدعيم ذلك البعد ودفع الجماهير باستمرار لمواجهـة الكيـان الصهيوني. لأن الجماهير في النهاية هي الـدرع الحقيقـي الغير قابل للهزيمة، ١٠٠٠ مليون مسلم وكـل مستضـعفي الأرض من ضحايا الحضارة الغربية.

- الأيديولوجية الإسلامية بما أنها الرد الصـحيح. لأنهـا هي المستهدفة.. وبما أنها تعطي للجماهير الوعي الصـحيح والرؤية الصحيحة والزاد الحقيقي للمواجهة.

- وبالتالي فإن المساومة تعني سـحب الجمـاهير مـن خندقها. وتسريحها وهو المستهدف دائما. ومن ثم الانفـراد بالقيادات داخل الغرف المكيفة فكيف نذهب للتفـاوض وقـد نزع عنا سلاحنا. إن التفاوض يعني نزع سلاحنا. لأنه ليس لنا إلا سلاح الجماهير، والمفاوضة تعني أن الجماهير انتهى دورها.

وكذلك المفاوضة تعني أرضية مشتركة يمكـن التفـاهم حولها. وبما أن الصراع إسلامي ضد شـيطاني. ولا لقـاء بينهما فإن التفاوض يعني في النهاية فقدان المنهج الصـحيح وإلقاء ظلال من الشك عليه.

ولهذا فإن خط الجماهير المسلمة. محمد صلى ا عليـه وسلم، الحسين.. عز الدين القسام. محمد الأشـمر. فـوزي القاوقجي. عبد القادر الحسيني.. بورسعيد ٥٦. (عاصفة ٦٥ وليس ما بعدها). حافظ سلامة (السويس ٧٣) – محمد الحلوة – لبنان ٨٢. شعب الجنوب البطل (لبنان ٨٣، ٨٤). راغب حرب – بلال فحص.

أي خط أيديولوجية جماهيرية إسلامية. حـرب تحريـر شعبية.

لماذا تسقط القوى الأخرى في التفاوض؟

- لعكس الأسباب السابق. تماما:

١- لا رؤية في الصراع. ولا منهج صحيح. (رؤية جزئية – منهج جزئي).

٢- تناقض ثانوي. وليس تناقضا جوهري.

٣- مواجهة الغزوة (الرقص على طبول العدو ووفقا لشروطه).

تناقض ثانوي:

والقوى غير الإسلامية لا تمتلك تناقضا جوهريا مع الكيان الصهيوني بل إنها تملك تناقضا ثانويا. بمعنى أنها تعبر عن مجموعة المصالح لطبقة معينة تكون الغزوة الصهيونية خطرا عليها في مرحلة. ومساعدة لها في مرحلة.. وفي كل الأحوال تملك تلك القوى تناقضا جوهريا مع الجماهير المسلمة وبالتالي فهي بوعي أو بدون وعي تتآمر على الجماهير ولا تتركها تواجه الكيان الصهيوني وفي الحقيقة فإن كل تلك القوى لا تملك بعدا جماهيريا إطلاقا. وهي ليست إلا مجموعة وجهاء. ومجموعة مثقفين تشربوا بروح

الغرب وبالتالي فإن حركة تلك القوى تظل باستمرار داخـل إطار الوجهاء وإطار المثقفين ولا تتعداها.

ملاحظة:

بعض القوى التي سندرجها تحت التناقض الثانوي. كانت لها جذور إسـلامية. ولكنهـا لـم تكـن جـذور رسـالية ولا جماهيرية. ولا توجه لها نحو المستضعفين. وبالتالي فقد وقعت في أخطاء جوهرية (الحاج أمين الحسـيني) وسـوف نفرد لها مبحثا خاصا.

- في كل الحالات كانت تلك القوى تمنع الجمـاهير مـن أداء دورها وتضربها بلا رحمة ولقد اسـتعملها الاسـتعمار بذكاء كحائط صد أمام الجماهير لحماية الكيـان الصـهيوني أو طوق حديدي لتطويق حركـة الجمـاهير. أو تخـديرها أو الذهاب بها إلى روافد جانبية.

أحيانا وفي أوج حالات المد الجماهيري الواسع فإن تلـك القوى قد ترتبط بالجماهير أي أن الجماهير الكاسحة. تأخذها معها في ذيل الموجة– وهذا فضلا عن أنه قصور ذاتي فـي تلك القوى – المترددة – فإنه مستهدف من جانبها أيضا حتى

لا تفقد وجودها. وحتى تستمر في أداء دورهـا باسـتمرار وحتى لا تنكشف. بل إن القوى الاستعمارية في تلك اللحظات كانت تتعمد تصعيد قيمة تلك القوى. ونسج أساطير البطولـة حولها. مما يعطيها فرصة أكبر في أداء مهمتها فـي تكبيـل حركة الجماهير وتطويقها.

القوى الرئيسية في التناقض الثانوي:

وهذه القوى بحكم عدم امتلاكها منهجـا فـي الصـراع وانحصارها في فئة الوجهاء والمثقفين فإنهـا مـن التعـدد والتردد والتأرجح بشكل يمكنه أن يغرقنا في التفصيلات فإنك ترى إحدى هذه القوى مثلا. تنشق وتتفرع أولا.. ثم تنشـق وتتفرع ثانيا.. ثم تنشق وتتفرغ ثالثا.. ثـم تنشـق وتتفـرع أخيرا. بدون أي داع استراتيجي أو منهجي. فيمكن لإحـدى هذه القوى أن تنشطر إلى عشرات القـوى تحـت خلافـات صغيرة جدا.

وهكذا فإننا سوف نقسمها إلى ثـلاث مجموعـات مـع ملاحظة أن كل القوى لن تخرج عن هذه المجموعـات. وأن تلك المجموعات ذاتها يمكن أن تتداخل مـع بعضـها فـي المواقف على أساس أنها غير منهجية وبالتالي فإن مواقفهـا

غير مبررة أصلا. وأن المواقف بينها في النهاية لا تخرج عن جيروند ويعاقبة. وأنها تؤدي نفس الدور وكل في مرحلته وحسب حالة المد الجماهيري الإسلامي.

وسوف نحدد باختصار تلك القوى – وأهم سماتها – وموقف أو موقفين تساوميين للتوضيح فقط. لأن مسألة التفاوض والمساومة طويلة جدا وتصلح دراسة مستقلة.

والقوى الثلاث هي:

- الأحزاب الشيوعية.

- الحركة القومية العربية – الشريف حسين – الملك عبد ا وما يرتبط بها من أحزاب مثل حزب الدفاع – وتطورت تلك الحركة إلى عبد الناصر – ثم أخيرا جورج حبش.

- القوى والزعماء ذوو الجذور الإسلامية. ولكن غير الرسالية وغير المنهجية، وغير الجماهيرية. أمين الحسيني.... ياسر عرفات.

الأحزاب الشيوعية:

وهي أحزاب هامشية. وصغيرة جدا. وليس لها أي بعد جماهيري. كما أنها نشأت على يد الأجانب عموما واليهود خصوصا.

والأحزاب الشيوعية. بما أنها علمانية (الماركسية هي الشق الآخر من الحضارة الغربية) فهي تمتلك أرضية مشتركة مع الكيان الصهيوني. والمفروض المفتقد حتى الآن هو أن تكون تلك الأحزاب جماهيرية. إلا أنها حتى الآن لم تخرج عن كونها حلقات من المثقفين.

وحتى الآن فهي لم تؤد دورا خطيرا في المنطقة إلا بعض الطروحات النظرية الخطيرة والتي تهم بدورها في تكبيل حركة الجماهير وتمييع القضية.

وهذه الأحزاب بالطبع لم تصل إلى السلطة. وبالتالي وبما أنها صغيرة ومحدودة كما أنها لم تصل إلى السلطة فلم تلعب حتى الآن دورا خطيرا.

ولكن خطورتها تكمن في كونها الآن مرشحة لأن تلعب دورا خطيرا بعد إفلاس كل الطروحات الأخرى.

كما تكمن خطورتها في كـون نصـف العـالم يحكمـه الشيوعيون وبالتالي فهي قوة مؤثرة يجب أخذها في الحسبان.

- نشأ الحزب الشيوعي الفلسطيني بين المهاجرين اليهود أولا ثم ما لبث أن استقطب عددا من العناصر العربيـة فـي فلسطين وككل الأحزاب الشيوعية في المنطقة كانت تنشأ من الأجانب وبخاصة اليهود (الحركة الشيوعية في مصر مثلا – جوزيف روزنتال – هنري كورييل – هليل شوارتز).

- بدأت حركة الحزب في معاداة خط الجماهير المسـلمة منذ الوهلة الأولى فالحزب قد طرح "أن الجماهير الكادحـة العربية واليهودية يجب أن تتجاوز الحقد العنصري والإثارة – ويجب أن تعمل على تجنب الحرب الأهلية".

نشرة الحزب أغسطس ٢٩

ناجي علوش – الماركسية والمسألة اليهودية

- قام الحزب وفيه عرب (نجـاتي صـدقي – موسـى الدجاني) بالدفاع عن المستعمرات اليهودية إبان انتفاضة ٢٩.

* بالطبع حين يطرح الحزب شعار الأخوة بين العـرب واليهود. فهو خداع كبير فكيف تحدث أخوة بين جان ومجني عليه (إن الكيان الصهيوني كله كيان استعماري).

وهكذا فإن هذا الطرح تخدير للجماهير المسلمة لتسـليمها فريسة لليهود ومحاولة لتمييع القضية. ولقد فضح هذا الـنهج تماما حينما قام الشيوعيون بمقاتلة الجمـاهير دفاعـا عـن الأحياء اليهودية.

ولقد أدى هذا إلى استفزاز مشـاعر بعـض الشـيوعيين العرب. مما أدى إلى رفع شعار التعريب (حدث هذا أيضـا في مصر). ولكن تلك الحركة قد طوقت واسـتمر الحـزب على نهجه القديم.

- على أي حال ونتيجة لتلك الحركة داخل الحزب. فـي إبان أحداث ١٩٣٣. فإنه رغم عـدم مشـاركته فـي تلـك الأحداث إلا أنه لم يقف مباشرة ضد الجمـاهير المسـلمة – ولكن اكتفى بأن يعطي تحليلا للأحداث لا يـدين الجمـاهير

ولكن ينهج إلى تزييف طبيعة الصراع ويخرجه عن محتـواه الحقيقي. ولقد وصلت تلك الحركة التصحيحية داخل الحزب إلى ذروتها في مؤتمر الحزب السابع سنة ١٩٣٥.

- عاد الحزب إلى ممارسة نشـاطاته المشـبوهة. وتـم تصفية الاتجاه الصحيح (وفقا للرؤية العلميـة الماركسـية – فالحزب بكل أطروحاته خطأ من نظرنا – تعريبـي وغيـر تعريبي) ولقد تمثل ذلك في إعلان الحزب إدانته للأحـزاب والانتفاض.

- ثم ما لبث الاتجاه التعريبي ذاته أن وقع فـي الخطـأ المباشر عندما نادى بالانخراط في صفوف جـيش تشرشـل (رفيق سلاح الجيش الأحمر). برغم أن بريطانيـا تضـرب الجماهير في فلسطين بلا هوادة.

- تطور الاتجاه التعريبي ليؤسس عصبة التحرر الوطني وكان من الشيوعيين العرب البارزين فيها: إميل توما – فؤاد نصار – إميل حبيبي – موسى الدجاني.

وآخرون (انظر جريـدة فلسـطين ١٨ تشـرين الأول – أكتوبر) ١٩٤٧.

وقد طرح هؤلاء صيغة الدولة الديمقراطية وقبـول كـل اليهود الموجودين داخل فلسطين.

في ١٩٤٧ وإثر موافقة الاتحاد السـوفيتي علـى قـرار التقسيم انقسمت عصبة التحرر الوطني إلـى قسـمين الأول بقيادة فؤاد نصار وإميل حبيبي يؤيد مشروع التقسيم متماشيا مع السياسة السوفيتية والثاني بقيادة موسى الـدجاني وإميـل توما يعارض التقسيم.

- في أكتوبر ١٩٧٤ وفي محاضـرة فـي نـادي الغـد (القدس). عاد أمين توما الذي عارض التقسيم سـنة ١٩٤٧ عاد وأيد التقسيم.

كما أن الدكتور خليل البدري عاد وأعلن سنة ١٩٧٥: "أن مشروع التقسيم ندعو لقبوله اليوم كخطوة على حل المسـألة الفلسطينية".

* ينبغي أن نشير هنا إلى موقف الشيوعيين المصـريين المؤيد لجنيف – والمؤيد لعرفات أحيانـا – لحـافظ الأسـد أحيانا. انظر جريدة الأهالي المصرية.

وهكذا فإن الحركة الشيوعية بكل فصائلها قد وقعت فـي المساومة والحلول الوسط وإن كل ما تطرحـه مـن (دولـة

ديموقراطية – اتحاد البروليتاريا العربية واليهودية) هي طروحات مرفوضة طبقا للمنظور الصحيح للصراع وإنها في النهاية طروحات تطويقية – وتخديرية لحركة الجماهير.

القوى القومية:

في الحقيقة فإن تلك القوى. هي أخطر قوى لعبت دورها على الساحة في التمكين للكيان الصهيوني. ولقد استعملها الاستعمار بصورة شيطانية لتكبيل حركة الجماهير. وحماية الكيان الصهيوني. وإمرار مشاريع التسوية.

ولقد قام الاستعمار بطرحها كبديل للإسلامية. فمنذ أن أوجد الاستعمار اللاشريف حسين (مؤسس حركة القومية الأول) – وتلك القوى تلعب دورها الشيطاني في المنطقة.

وطبيعي جدا كشأن كل القوى أن تلك القوة غير مصمتة بمعنى أنها تطورت وتنوعت وأخذت أبعادا مختلفة اجتماعية وسياسية وتم تلقيح بعضها بالاشتراكية مثلا (عبد الناصر – البعث) أو حتى بالماركسية جورج حبش.

وتكمن خطورة تلك القوة في أنها تطرح القومية الشوفينية – أو الاشتراكية كبديل للإسلامية. والقومية العربية هي

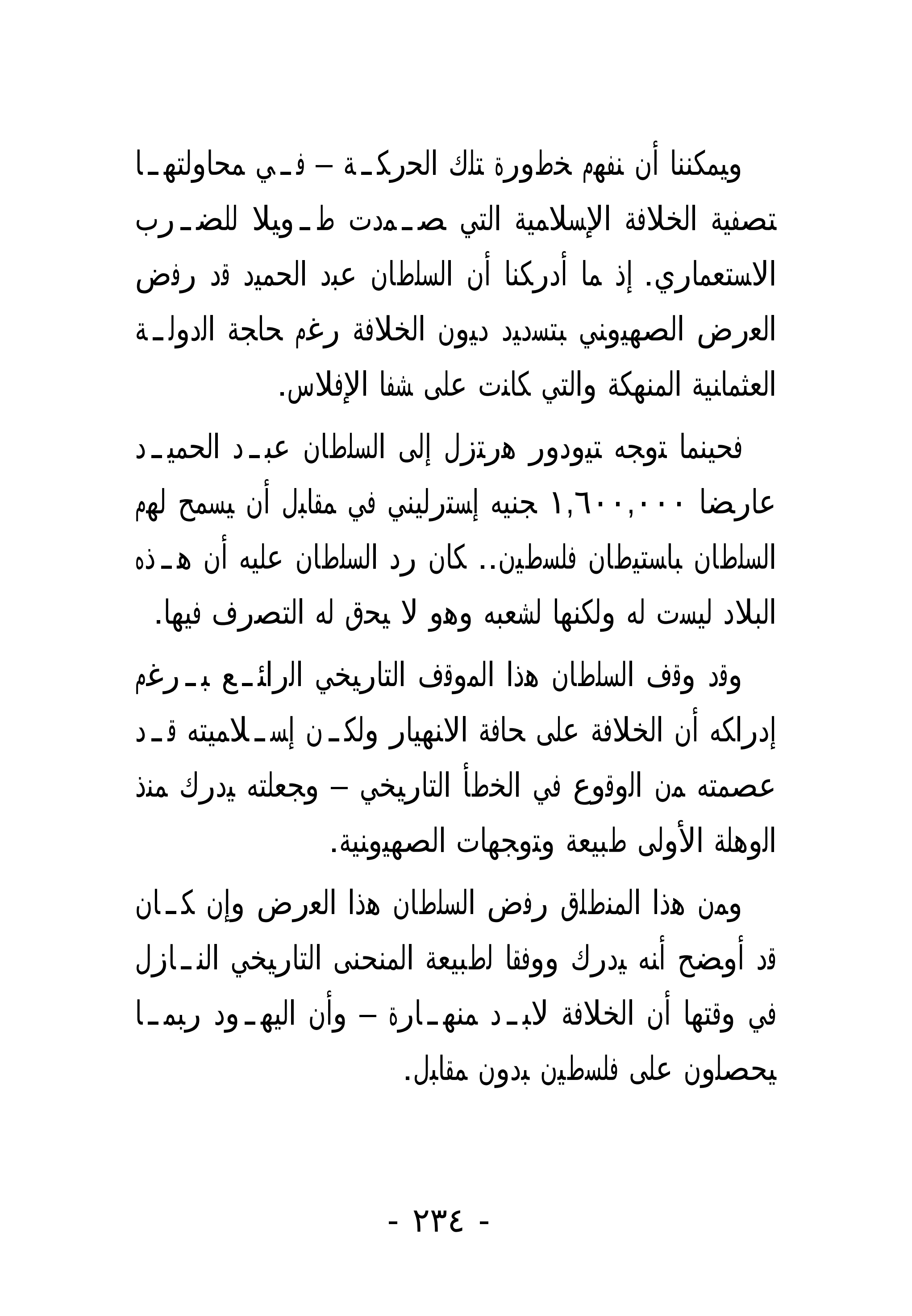
الدائرة الأصغر ولكن القابلة للتحرير على أساس تداخلها مع الإسلامية بشكل ما وبالتالي فهي أقدر على ضرب إسـلامية الجماهير. وسحب سلاح الجماهير الحقيقي وتشكيل الصراع وفق رؤية مقبولة شيئا ما. ولكنها فاسدة ومضللة.

والخطورة الأخرى تكمن في أن تلك القوة قد وصلت إلى السلطة في معظم الأقطار العربية وبالتالي فقد مارست دورها التخريبي ضد حركة الجماهير ونزع سلاح الجماهير الحقيقي (الإسلام) في مواجهة الصهيونية ومحاولة وضـع الصـراع على أساس محدد وتفاوضي وتساومي وقابل للحلول الوسـط بل ويمكن الاعتماد على الاستعمار (بريطانيا، ثـم أمريكـا) لحل هذا الصراع.

ولقد تطورت تلك القوى على النحو التالي:

(أ) اللاشريف حسين وأولاده.

نشأت حركة اللاشريف حسين أو مـا يسـمى بـالثورة الكبرى – الخيانة العربيـة الكبـرى – بإيعـاز إنجليـزي استعماري وذلك لتصعيد القومية العربيـة كبـديل للجامعـة الإسلامية – ولمحاولات مستمرة – فـي تصـفية الخلافـة الإسلامية العثمانية.

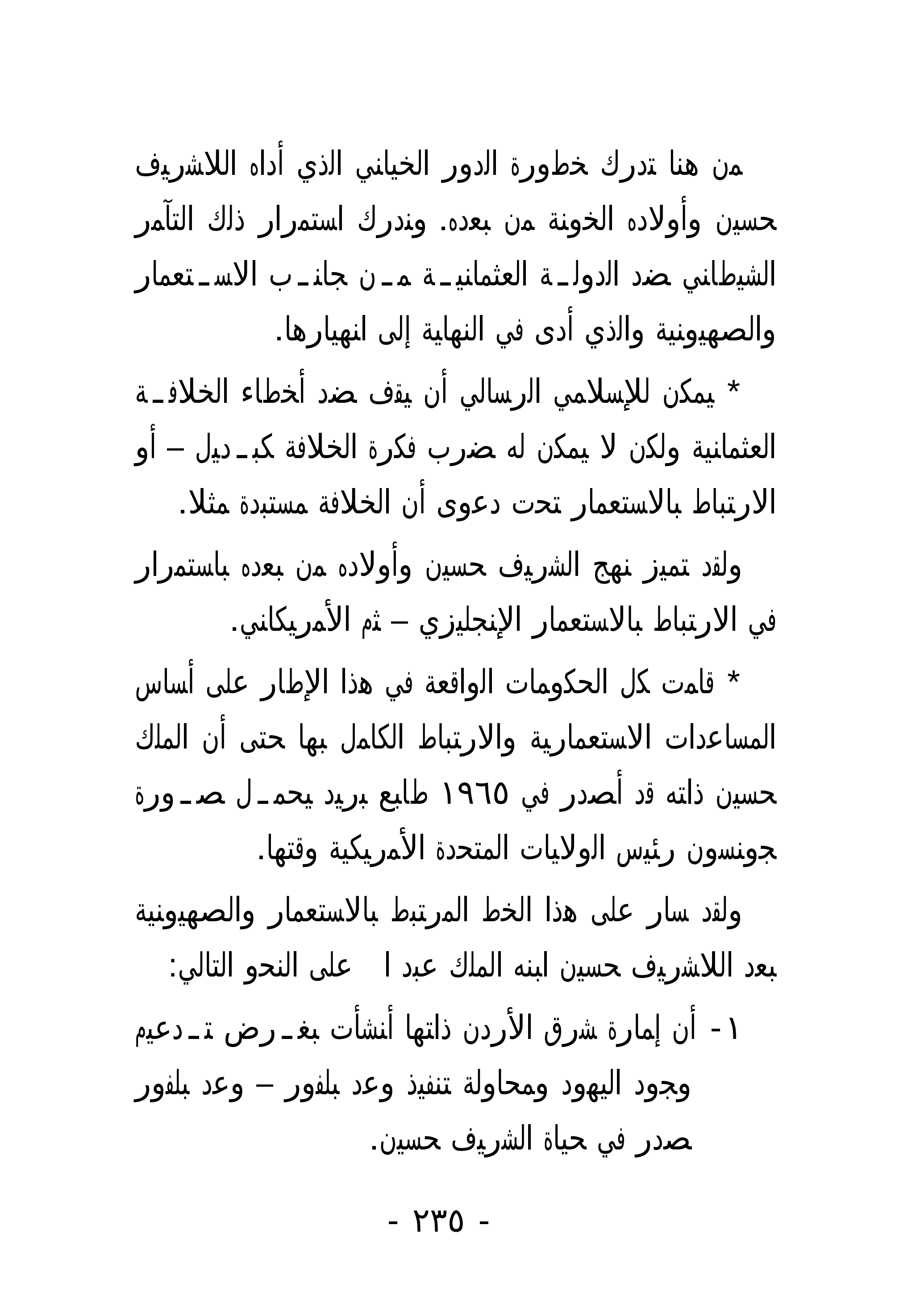


ويمكننا أن نفهم خطورة تلك الحركـة – فـي محاولتهـا تصفية الخلافة الإسلامية التي صـمدت طـويلا للضـرب الاستعماري. إذ ما أدركنا أن السلطان عبد الحميد قد رفض العرض الصهيوني بتسديد ديون الخلافة رغم حاجة الدولـة العثمانية المنهكة والتي كانت على شفا الإفلاس.

فحينما توجه تيودور هرتزل إلى السلطان عبـد الحميـد عارضا ١,٦٠٠,٠٠٠ جنيه إسترليني في مقابل أن يسمح لهم السلطان باستيطان فلسطين.. كان رد السلطان عليه أن هـذه البلاد ليست له ولكنها لشعبه وهو لا يحق له التصرف فيها.

وقد وقف السلطان هذا الموقف التاريخي الرائـع بـرغم إدراكه أن الخلافة على حافة الانهيار ولكـن إسـلاميته قـد عصمته من الوقوع في الخطأ التاريخي – وجعلته يدرك منذ الوهلة الأولى طبيعة وتوجهات الصهيونية.

ومن هذا المنطلق رفض السلطان هذا العرض وإن كـان قد أوضح أنه يدرك ووفقا لطبيعة المنحنى التاريخي النـازل في وقتها أن الخلافة لابـد منهـارة – وأن اليهـود ربمـا يحصلون على فلسطين بدون مقابل.



من هنا ندرك خطورة الدور الخياني الذي أداه اللاشريف حسين وأولاده الخونة من بعده. وندرك استمرار ذلك التآمر الشيطاني ضد الدولـة العثمانيـة مـن جانـب الاسـتعمار والصهيونية والذي أدى في النهاية إلى انهيارها.

* يمكن للإسلامي الرسالي أن يقف ضد أخطاء الخلافـة العثمانية ولكن لا يمكن له ضرب فكرة الخلافة كبـديل – أو الارتباط بالاستعمار تحت دعوى أن الخلافة مستبدة مثلا.

ولقد تميز نهج الشريف حسين وأولاده من بعده باستمرار في الارتباط بالاستعمار الإنجليزي – ثم الأمريكاني.

* قامت كل الحكومات الواقعة في هذا الإطار على أساس المساعدات الاستعمارية والارتباط الكامل بها حتى أن الملك حسين ذاته قد أصدر في ١٩٦٥ طابع بريد يحمـل صـورة جونسون رئيس الولايات المتحدة الأمريكية وقتها.

ولقد سار على هذا الخط المرتبط بالاستعمار والصهيونية بعد اللاشريف حسين ابنه الملك عبد ا على النحو التالي:

١- أن إمارة شرق الأردن ذاتها أنشأت بغـرض تـدعيم وجود اليهود ومحاولة تنفيذ وعد بلفور – وعد بلفور صدر في حياة الشريف حسين.

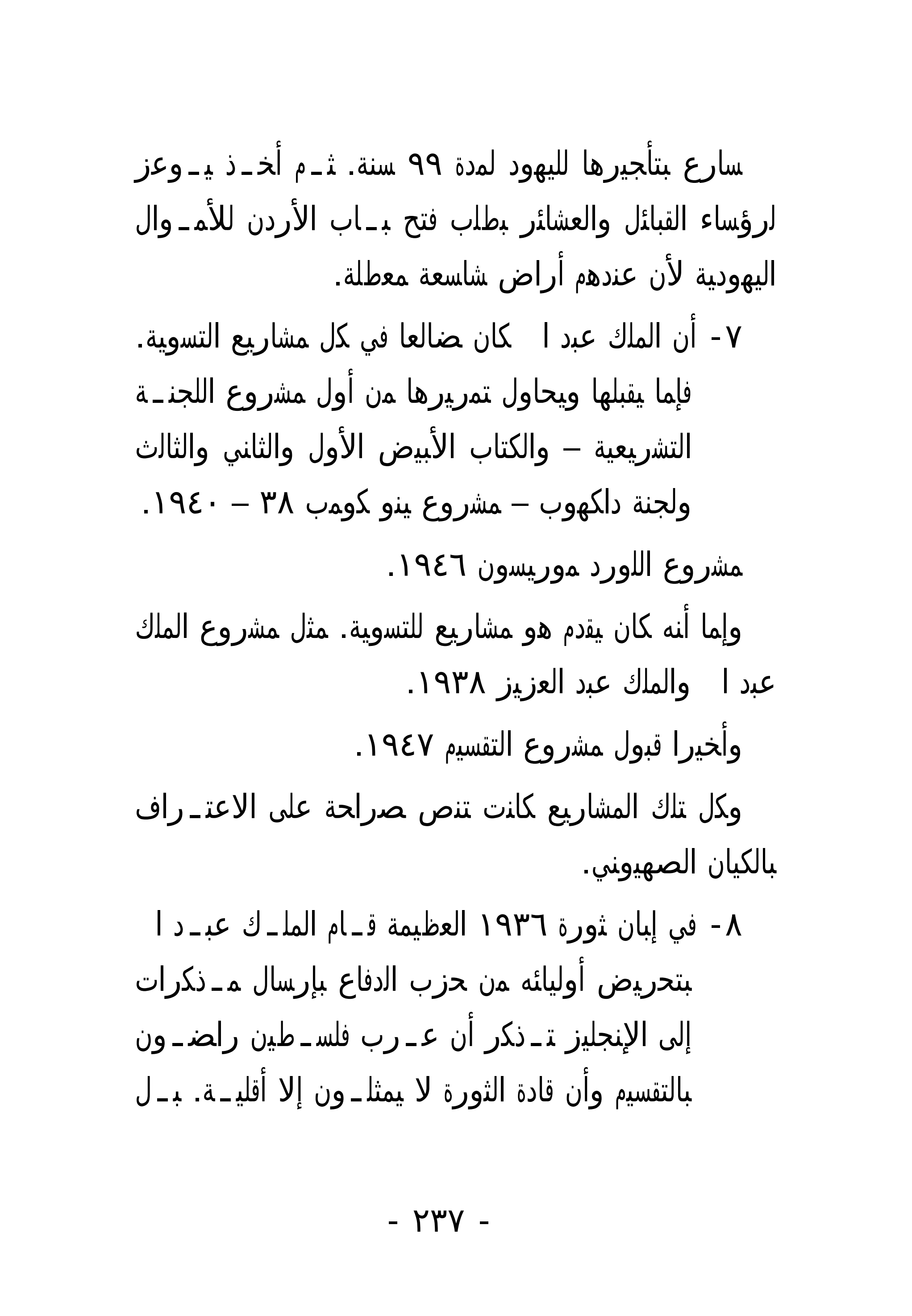
٢- أن الشريف حسين ذاته وعلى يد الأمير عبد ا وزير خارجيته. قد وقع على اعتراف بوعد بلفور في ٢١ كانون الأول سنة ١٩٢١. فكان أول عربي رسـمي يوقع ذلك.

٣- أن الملك عبد ا قد منح اليهودي روتمبرج صـاحب امتياز كهرباء فلسطين الذي كان من أقـوى أعمـدة الكيان الصهيوني – أرضا واسعة من أرض الأردن ليقيم عليها مشروعه.

٤- أن الملك عبد ا ومعه عملاءه من قادة حزب الدفاع – راغب النشاشيبي ويعقوب فراج – قد أيدوا فكـرة المجلس التشريعي الذي جاءت به بريطانيا لتطويـق حركة الجماهير المسلمة إبان تصاعدها عام ١٩٢٢.

٥- أن الملك عبد ا استمر يتصل بالصهاينة ويلتقي بهم ويستقبلهم دائما.

٦- أن الملك عبد ا قد قام وعلى أثر ثورة ١٩٢٩ وبعد امتناع العرب عن بيع الأراضي لليهود. قـام بأخـذ أرض من الدولة في الغور (١٠٠٠ دونم).



سارع بتأجيرها لليهود لمدة ٩٩ سنة. ثـم أخـذ يـوعز لرؤساء القبائل والعشائر بطلب فتح بـاب الأردن للأمـوال اليهودية لأن عندهم أراض شاسعة معطلة.

٧- أن الملك عبد ا كان ضالعا في كل مشاريع التسوية. فإما يقبلها ويحاول تمريرها من أول مشروع اللجنـة التشريعية – والكتاب الأبيض الأول والثاني والثالث ولجنة داكهوب – مشروع ينو كومب ٣٨ – ١٩٤٠.

مشروع اللورد موريسون ١٩٤٦.

وإما أنه كان يقدم هو مشاريع للتسوية. مثل مشروع الملك عبد ا والملك عبد العزيز ١٩٣٨.

وأخيرا قبول مشروع التقسيم ١٩٤٧.

وكل تلك المشاريع كانت تنص صراحة على الاعتـراف بالكيان الصهيوني.

٨- في إبان ثورة ١٩٣٦ العظيمة قـام الملـك عبـد ا بتحريض أوليائه من حزب الدفاع بإرسال مـذكرات إلى الإنجليز تـذكر أن عـرب فلسـطين راضـون بالتقسيم وأن قادة الثورة لا يمثلـون إلا أقليـة. بـل

ووصل الأمر بهم إلى إنشاء كتائب مسلحة بسلاح الإنجليز واليهود لمحاربة الثورة.

٩- قام الملك الخائن عبد ا بمنع كتائب المجاهدين الفلسطينيين من المشاركة في حرب ٤٨ وتجريدهم من سلاحهم.

١٠- قام الملك عبد ا بسحب قواته من اللد والرملة – مما أدى إلى وقوع مذبحة فيها على يد اليهود – كما أدى إلى انكسار جبهة القوات المصرية.

١١- وأخيرا في رودس – كرس خيانته – واعترف رسميا بإسرائيل ودخل في مساومات مخزية أعطى بموجبها لليهود أراضي أخرى في مقابل ضم الضفة إلى مملكته.

خط المساومة والخيانة يستمر في عهد حفيده الملك حسين. كالآتي:

١- إنشاء حلف بغداد والمشاركة فيه.

٢- مطاردة حركة المقاومة الفلسطينية منـذ أن ظهـرت على يد فتح والعاصفة سنة ٦٥ ثم توجها بالمجـازر الوحشية في ٧٠، ٧١، ٧٢ مـا أدى إلـى خـروج المقاومة من الأردن نهائيا.

٣- موافقته على قرار ٢٤٢، ومبـادرة روجـز. وهمـا يكرسان الاعتراف بإسرائيل.

٤- الاتصال باليهود وزعمائهم: وعقد الاجتماعات بينهم.

٥- مشاريع الوحـدة المسـتمرة – (مشـروع الوحـدة الكونفدرالية)، ومشروع الملك حسين، وهكذا استمر ذلك المنهج.

نهج المساومة – نهج الخيانة.

عبد الناصر:

القومية العربية – الاشتراكية العربية:

- في الحقيقة فإن النهج الناصري ليس إلا امتدادا صحيحا وعضويا لنهج الشريف حسين ونهج الأمير عبد ا والملـك حسين. وليس هناك فرق إلا في الدرجة اقتضته طبيعة تطور

حركة الجماهير من ناحية. وإفلاس الملك عبد ا والملك حسين كنهج من ناحية أخرى.

فكان على القوى الاستعمارية أن تستبدل الوجوه المحروقة بوجوه جديدة لتوسع سلسلة حصارها على الجماهير.

طرح عبد الناصر أيضا القومية العربية وأضاف إليها لمزيد من التخدير والإلهاء وتطويق حركة الجماهير مقولة الاشتراكية العربية والهدف النهائي هو كسابقه.

١- إخراج الجماهير من الصراع بما أنها الخطر الحقيقي على الكيان الصهيوني.

٢- وضع أطر غير صحيحة للعمل فاشلة حتما واستبدال النهج الحقيقي في مواجهة الغزوة الاستعمارية بنهج مزيف ذو بريق (القومية العربية بدلا من الإسلامية – والاشتراكية العربية بدلا من المنهج الإسلامي في بناء المجتمع اللاطبقي.

(انظر فصل ما بعد ٤٨ ودور عبد الناصر في ذلك)

ومنذ اليوم الأول وطبقا للمنظور القومي فإن عبد الناصر قد طرح نهج المفاوضة والمساومة وقرارات الأمم المتحدة كنهج بديل عن خط الكفاح المسلح

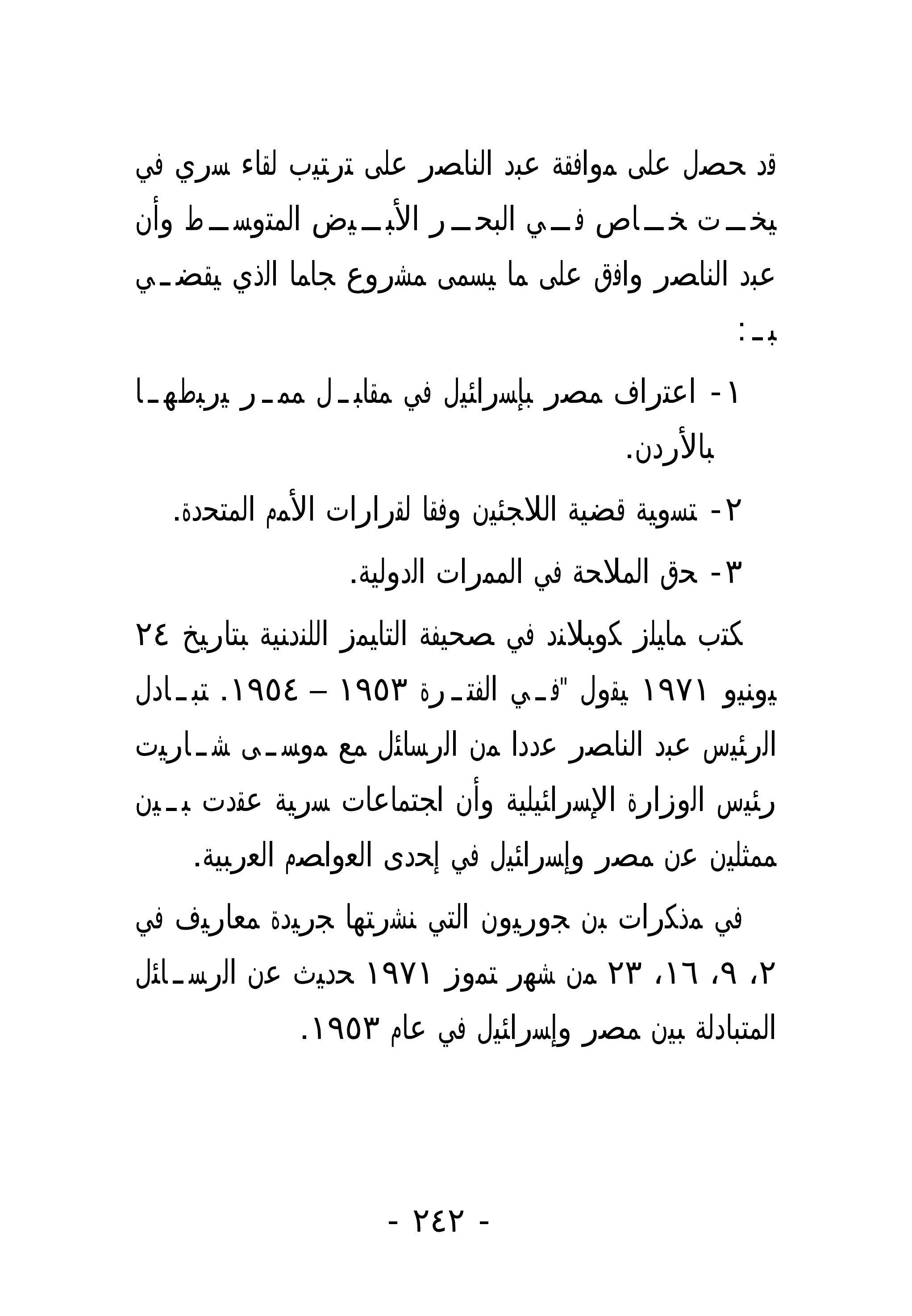
والأيديولوجية الإسلامية. وسوف أستعين هنـا بالنصـوص المثبتة في الصحف المصرية والعربية، وخطب عبد الناصر ولقاءاته الرسمية فقط برغم وجود حشد هائل من الاتصالات المريبة أوردتها مصادر غربية. ولكـن أكتفـي بالمصـادر الناصرية ذاتها والتي لا يمكن اتهامها بالتميز ضده.

١- فـي ٣ أغسـطس ١٩٥٤ صـرح الـرئيس عبد الناصر بأن مصر تحتاج إلى السلام واقتـرح أن تقـوم الولايات المتحدة الأمريكية بدور الوسيط بين إسرائيل والدول العربية، وقال إن مصر تريد أن تنهي التـوتر القـائم مـع إسرائيل شريطة أن يتم تنفيذ قرارات الأمم المتحدة.

(ليلى القاضي – شئون فلسطينية – العـدد ٢٢ حزيـران ١٩٧٣ – تقرير حول مشاريع التسويات السـلمية للصـراع العربي – الإسرائيلي).

في كتاب لعبة الأمم – مايلز كوبلاند – دار الفكر بيروت ١٩٧٠.

يقرر مايلز كوبلاند أنه مع كيرمت روزفلت – وروبرت أندرسون أنه بعد هذا التصريح قد نشطوا لإجراء محادثـات مع عبد الناصر وبن جوريون لتحقيق التسوية. وأن روزفلت



قد حصل على موافقة عبد الناصر على ترتيب لقاء سري في يخت خاص في البحر الأبيض المتوسط وأن عبد الناصر وافق على ما يسمى مشروع جاما الذي يقضي بـ:

١- اعتراف مصر بإسرائيل في مقابل ممر يربطها بالأردن.

٢- تسوية قضية اللاجئين وفقا لقرارات الأمم المتحدة.

٣- حق الملاحة في الممرات الدولية.

كتب مايلز كوبلاند في صحيفة التايمز اللندنية بتاريخ ٢٤ يونيو ١٩٧١ يقول "في الفترة ١٩٥٣ – ١٩٥٤. تبادل الرئيس عبد الناصر عددا من الرسائل مع موسى شاريت رئيس الوزارة الإسرائيلية وأن اجتماعات سرية عقدت بين ممثلين عن مصر وإسرائيل في إحدى العواصم العربية.

في مذكرات بن جوريون التي نشرتها جريدة معاريف في ٢، ٩، ١٦، ٢٣ من شهر تموز ١٩٧١ حديث عن الرسائل المتبادلة بين مصر وإسرائيل في عام ١٩٥٣.

حسنا ليكن مايلز كوبلاند كاذبا – وليكن بـن جوريـون كاذبا. ولتكن ليلى القاضي كاذبة. ولكن مـا رأيـك بمحمـد حسنين هيكل.

يقول هيكل في كتابه: عبد الناصـر والعـالم بـالحرف الواحد:

"إن الرئيس الأمريكي أيزنهاور أوفد سنة ١٩٥٥ (روبرت أندرسون) إلى القاهرة حاملا رسالة تفيـد فـي جملتهـا "أن الولايات المتحدة ترغب في حل المشكلة الفلسطينية" وإنهـاء حالة الحرب بين مصر وإسرائيل.

وعقد أندرسون سلسلة من الاجتماعات مع الرئيس عبـد الناصر في منزله بالزمالك، حيث بسط عبد الناصر للمبعوث الأمريكي وجهة نظره في أن أساس أي حل يجب أن يكـون "مشروع التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة عام ١٩٤٧".

يقول هيكل أيضا "في نفس المصـدر": بـذل أندرسـون قصارى جهده – ولكنه كان فـي المقـام الأول – محكومـا بالفشل – لأن الإسرائيليين لم يكونوا ينوون بالقطع الرجـوع إلى الحدود المقررة بموجب مشروع التقسيم.

هل يكون هيكل هو الآخر كاذبا؟!

حسنا لننظر ج. ع. م. وزارة الإرشاد القومي – مجموعة خطب وبيانات وتصريحات عبد الناصر.

"في ٢٨ تشرين الثاني – نـوفمبر – سـنة ١٩٥٥ قـال الرئيس عبد الناصر في تصريح نشرته الصحف المصـرية. وذلك تعليقا على مشروع أيدن الذي أعلنه في خطاب سياسي في قاعة البلدية في لندن والذي يقترح فيه بحل وسـط بـين العرب المطالبين بحدود التقسـيم ٤٧، وإسـرائيل المطالبـة بحدود الهدنة ٤٩ قال عبد الناصر:

"إن عودة أيدن إلى قرارات هيئة الأمـم المتحـدة لعـام ١٩٤٧ تشير إلى أن حقوق الشعب الفلسطيني لم يتم التخلـي عنها وأن الوقت قد حان لإحياء تلك القرارات التي أهملـت لمدة ٨ سنوات".

هل تكذب الصحف المصرية على عبد الناصـر في حياته؟

- في ١٢ تشرين الثاني – نوفمبر – ١٩٥٥ قال الرئيس جمال عبد الناصر في تصريح لصـحيفة نيـوز كرونكـل اللندنية: "إنه لأول مرة يحاول رئيس وزراء غربي مسـئول

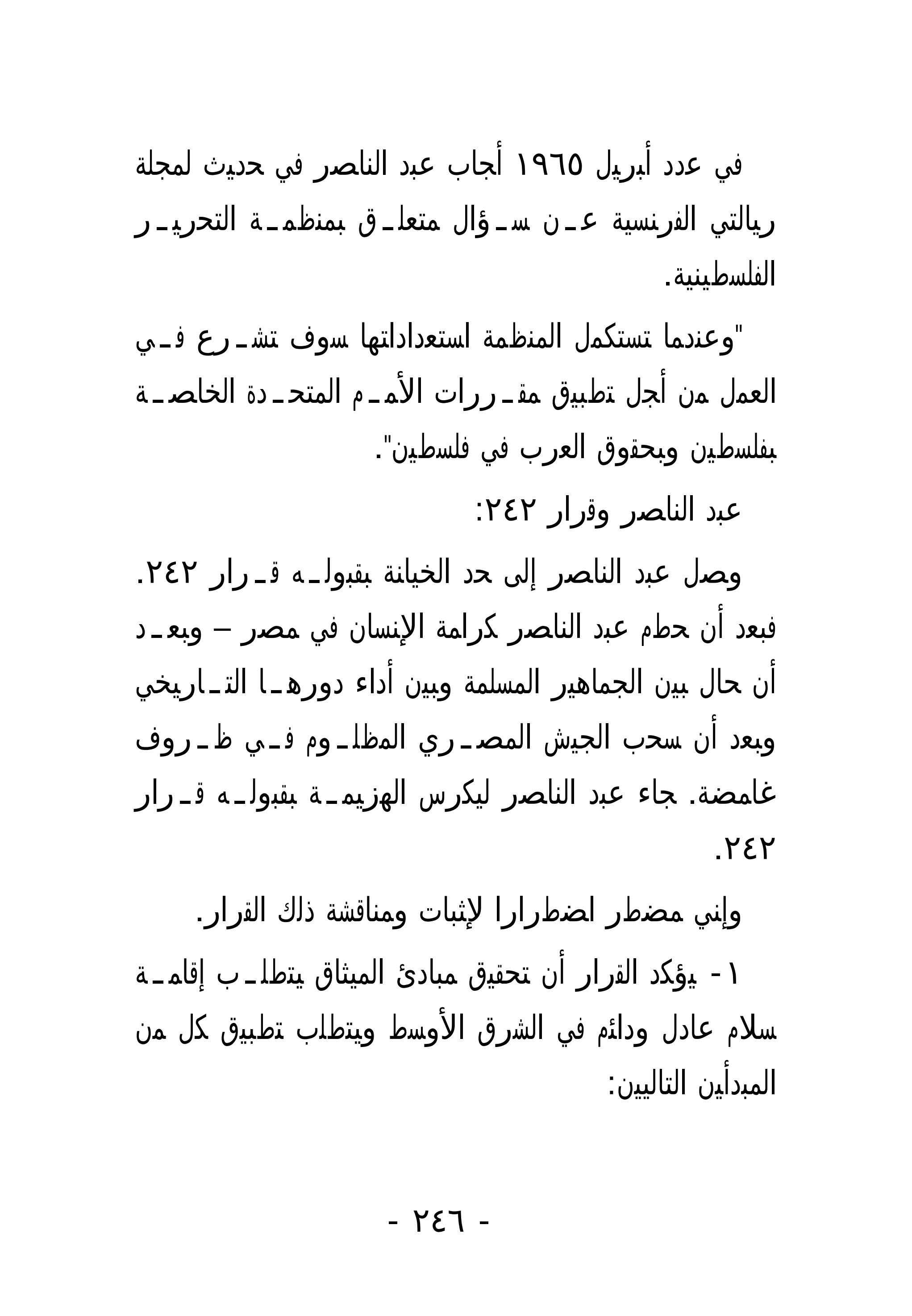
أن يكون عادلا ويذكر قرارات الأمم المتحدة وإن السيد أيدن اتخذ مسلكا إيجابيا إزاء مشكلة أهملت أمدا طويلا، ويمكن أن تؤدي مقترحاته إلى منع التوتر والتخفيف من حدته. وإنني لا أقول إن كل عربي سيوافقني على هذا. فهذه وجهة نظـري الشخصية".

* انظر أيضا كتاب الصحفي المصري إبـراهيم عـزت بعنوان: "أنا عائد من إسرائيل".

- صرح الرئيس عبد الناصر في مؤتمر باندونج: "أن ما عرضته الأمم المتحدة عـام ١٩٤٨ يمكـن اعتبـاره حـلا مرضيا".

- صرح الرئيس عبد الناصر إلى مجلة (ريالتي) ووكالة (أوبرا موندي) بأن العرب راضون بما طالب بـه الأفارقـة والآسيويين عام ١٩٥٥ من رجوع إلـى مقـررات الأمـم المتحدة في خصوص قضية فلسطين. وذلك في عام ١٩٦٥.

- عبد الناصر يحدد عمل منظمة التحرير في أنه من أجل تطبيق قرارات الأمم المتحدة وليس من أجل الحرب الشعبية.



في عدد أبريل ١٩٦٥ أجاب عبد الناصر في حديث لمجلة ريالتي الفرنسية عـن سـؤال متعلـق بمنظمـة التحريـر الفلسطينية.

"وعندما تستكمل المنظمة استعداداتها سوف تشـرع فـي العمل من أجل تطبيق مقـررات الأمـم المتحـدة الخاصـة بفلسطين وبحقوق العرب في فلسطين".

عبد الناصر وقرار ٢٤٢:

وصل عبد الناصر إلى حد الخيانة بقبولـه قـرار ٢٤٢. فبعد أن حطم عبد الناصر كرامة الإنسان في مصر – وبعـد أن حال بين الجماهير المسلمة وبين أداء دورهـا التـاريخي وبعد أن سحب الجيش المصـري المظلـوم فـي ظـروف غامضة. جاء عبد الناصر ليكرس الهزيمـة بقبولـه قـرار ٢٤٢.

وإني مضطر اضطرارا لإثبات ومناقشة ذلك القرار.

١- يؤكد القرار أن تحقيق مبادئ الميثاق يتطلـب إقامـة سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط ويتطلب تطبيق كل من المبدأين التاليين:

(أ) سحب القوات المسلحة الإسرائيلية من أراض احتلتها في النزاع الأخير (النص الفرنسي يقول من الأراضي المحتلة).

(ب) إنهاء جميع ادعاءات أو حالات الحرب واحترام واعتراف بسيادة ووحدة أراضي كل دولة في المنطقة. واستقلالها السياسي وحقها في العيش بسلام ضمن حدود آمنة ومعترف بها وحرة من التهديد وأعمال القوة.

٢- يؤكد أيضا الحاجة إلى:

(أ) ضمان حرية الملاحة في الممرات المائية الدولية في المنطقة.

(ب) تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين.

(ج) ضمان المناعة الإقليمية والاستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة عن طريق إجراءات بينها إقامة مناطق مجردة من السلاح.

*** لاحظ ما يلي:**

١- الاعتراف الصريح بإسرائيل وبحدود "آمنة ومعترف بها" وهذه الحدود ذاتها لم تحدد، مما يسمح لإسرائيل بتحديد الأمن كما تفهمه والحدود التي تريدها.

٢- تضييع كل جهاد الجماهير طوال الصراع. وعدم ذكر أي حقوق للشعب الفلسطيني "تكريس نهائي للهزيمة" وضياع فلسطين.

٣- أن قبول القرار بتلك الصيغة يعني المشاركة في ذبح قضية الشعب الفلسطيني.

٤- أن القبول بالقرار يعني تجاهل واقع الجماهير المسلمة الزاحفة عبر العمل الفدائي، بل يعني التمهيد لذبح العمل الفدائي ذاته كما حدث بعد ذلك.

* لاحظ أيضا أن كلا من مصر والأردن – عبد الناصر – حسين قد وافق على القرار وأن منظمة التحرير الفلسطينية ومنظمة فتح والهيئة العربية العليا – بل حتى النظام السوري قد رفض ذلك القرار فما الذي جمع عبد الناصر وحسين – ما هي دوافعهم في قبول القرار برغم ما قطعه عبد الناصر على نفسه في مؤتمر الخرطوم.

إنه نهج المساومة. نهج الخيانة.

- لعل خطر ما في قرار ٢٤٢ هو أنـه يجعـل العـرب أنفسهم يعترفون بحق إسرائيل وبحدودها ما قبل ٦٧ وبالتالي يحددون أن إسرائيل وجدت لتبقى.

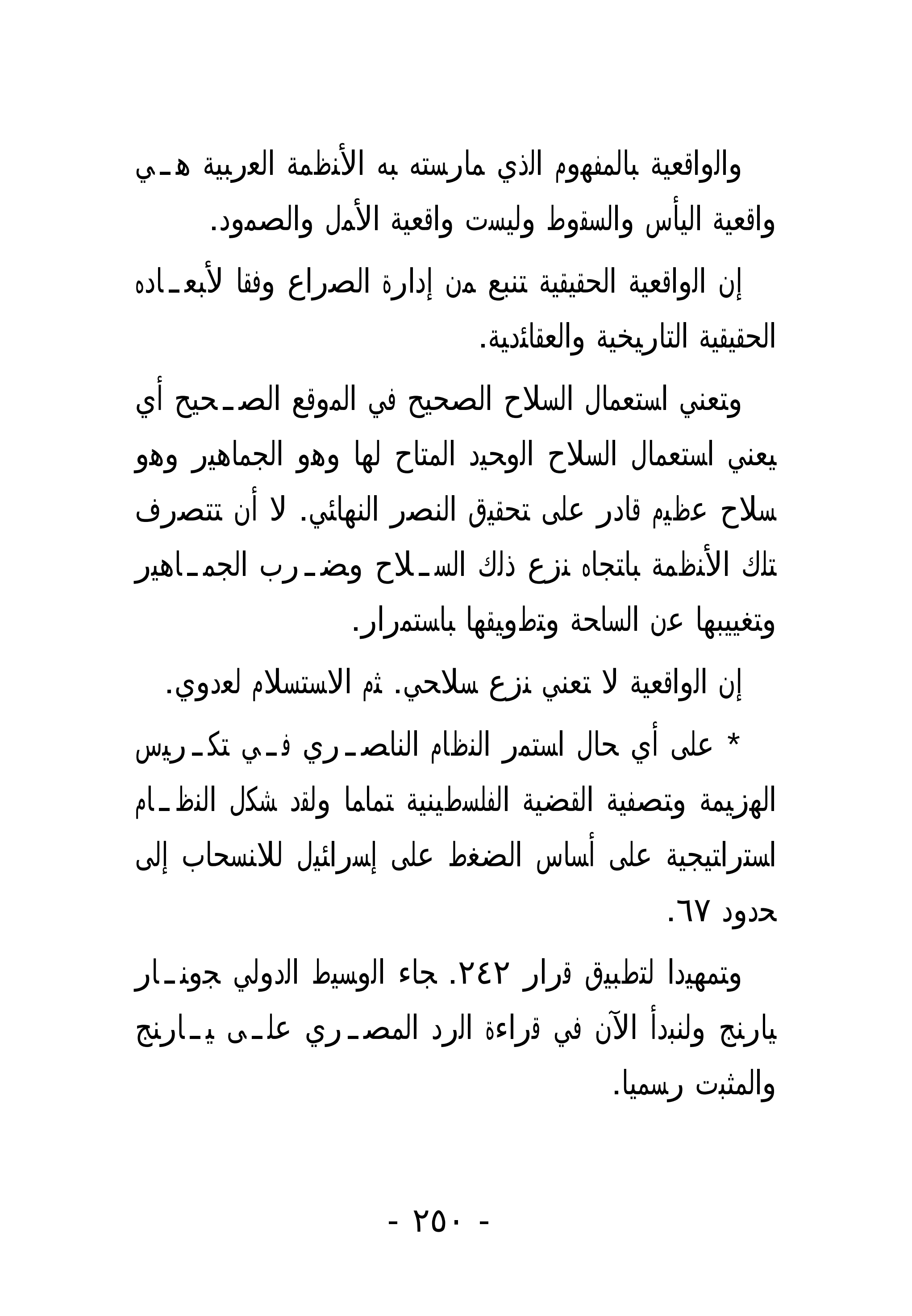
ولكن القرارات السابقة لم تكن تعطي للكيان الصهيوني ما أعطاه لها قرار ٢٤٢.

- كلمة فلسطين لم ترد في ذلك القرار إطلاقا. حتى كلمة اللاجئين لم ترد كلاجئين فلسطينيين.

-جعل المطلب العربي الأقصى هو حدود ما قبل يونيـو ٦٧.

- أن القرار يعني التخلي التام عـن جـوهر الصـراع واعتباره صراعا إقليميا.

وبدلا من أن تكون هزيمـة ٦٧ درسـا كافيـا للنظـام الناصري إذا كان لديه أي حس وطني. أنه لابد مـن تغييـر استراتيجية الصراع. لتصبح أكثر جماهيرية وأكثر إسلامية. بدلا من ذلك نجده يتحرك لتكريس الهزيمة وفلسفتها والتعامل معها كأمر واقع. رافعا شعار الواقعية.



والواقعية بالمفهوم الذي مارسته به الأنظمة العربية هـي واقعية اليأس والسقوط وليست واقعية الأمل والصمود.

إن الواقعية الحقيقية تنبع من إدارة الصراع وفقا لأبعـاده الحقيقية التاريخية والعقائدية.

وتعني استعمال السلاح الصحيح في الموقع الصـحيح أي يعني استعمال السلاح الوحيد المتاح لها وهو الجماهير وهو سلاح عظيم قادر على تحقيق النصر النهائي. لا أن تتصرف تلك الأنظمة باتجاه نزع ذلك السـلاح وضـرب الجمـاهير وتغييبها عن الساحة وتطويقها باستمرار.

إن الواقعية لا تعني نزع سلاحي. ثم الاستسلام لعدوي.

* على أي حال استمر النظام الناصـري فـي تكـريس الهزيمة وتصفية القضية الفلسطينية تماما ولقد شكل النظـام استراتيجية على أساس الضغط على إسرائيل للانسحاب إلى حدود ٦٧.

وتمهيدا لتطبيق قرار ٢٤٢. جاء الوسيط الدولي جونـار يارنج ولنبدأ الآن في قراءة الرد المصـري علـى يـارنج والمثبت رسميا.

رد على السؤال الأول جـ ١: تقبل مصر بقـرار ٢٤٢. كما أعلنت سابقا.

رد السؤال الثاني: أن ج. ع. م توافق على التعهد بإنهـاء كافة المطالب أو حالات الحرب.

رد السؤال الثالث: توافق ج. ع. م على التعهد بـاحترام السيادة والوحدة الإقليمية والاستقلال السياسي والاعتراف بها لكل دولة في المنطقة.

رد السؤال الرابع: تقبل ج. م. ع حق كـل دولـة فـي المنطقة للعيش بسلام ضمن حدود آمنة ومعترف بها. آمنـة من كل تهديد وأعمال قوة.

*** تعليق للكاتب:**

هل يعني هذا منع العمل الفـدائي انطلاقـا مـن الـدول العربية.

رد على السؤال الخامس: استعداد ج. ع. م لقبول مبـدأ حرية الملاحة في قناة السويس وبالطبع حـذا الأردن حـذو مصر عبد الناصر.

كان النظام الناصري قد وصل إلى المستنقع تماما انظـر تصريح محمد حسن الزيات في تصريح رسمي مصري في ٢ أبريل ١٩٦٩.

١- لا تشترط مصر الانسحاب المسبق أو الجلاء الكامل كخطوة أولى من أجل تنفيذ قرار مجلس الأمن.

٢- أن مصر قدمت تنازلات هامة أعلنها وزير الخارجية في ١١ أبريل ١٩٦٨ تلخصت في:

(أ) الموافقة على مرور السفن الإسـرائيلية فـي قنـاة السويس.

(ب) إقامة مناطق منزوعة السلاح على طرفي الحـدود بين البلدين.

(جـ) عدم وضع أي شروط مسبقة على عملية تنفيـذ قرار مجلس الأمن.

مبادرة روجرز – سقوط المنطقة في السـلة الأمريكيـة الاستعمارية.

واستمرارا في سقوط النظام الناصري. ولمحاولة مستميتة للإبقاء على نفسه كنظام غير جماهيري. ومزيدا من ضرب

حركة الجماهير. وجد النظام الناصري نفسه في الظـروف التالية.

- حركة مقاومة فلسطينية. يمكن أن تكون نواة للجماهير لتطيح بكل الأنظمة الوسطية وتكسب يوما بعد يـوم أرضـا جديدة وزخما أكبر وتعيد إلى الجماهير الفرصة للمواجهـة. وهذا خطر كبير على النظام الناصري الذي يريد المقاومـة وكما يحدد عبد الناصر ذاته (أن تكون رد فعل على نكسـة ٦٧) أي أن يستعملها فقط لتحقيق شروط أفضل في التسوية.

انظر خطب عبد الناصر. ومقالات هيكل

في الفترة من ٦٧ حتى ٧٠

- جيش مصري بدأ يلقي ضربات قوية على العسـكرية الإسرائيلية مما يمكن أن يشكل ضوء وعي لدى الجمـاهير. ومطالبة ذلك الجيش ذاته بمعركة مصيرية وخصوصا بعد أن أثبت هذا الجيش في حرب الاستنزاف أنه قادر على النصـر طالما سمح له بمباشرة القتال.

- تململ واسع في الجماهير في مصر. وعودتهـا إلـى الشارع السياسي بعد نكبة ٦٧.

- مظاهرات الطلبة والعمال. وفقدان عبد الناصر قدرته على التضليل.

فكان لابد لهذا النظام أن يسقط نهائيا ويعلن استسلامية ليس فقط لقرار ٢٤٢ (الأمم المتحدة) ولكن للهيمنة الأمريكية ولدعوة أمريكا إلى العودة إلى المنطقة بشكل مباشر.

* وجه عبد الناصر في ١ مايو ١٩٧٠ من شبرا الخيمة نداء إلى الرئيس الأمريكي نيكسون دعوة إلى العمل على تحقيق تسوية في الشرق الأوسط.

ردت الإدارة الأمريكية بمبادرة روجرز.

نصوص مبادرة روجرز:

١- وقف إطلاق النار لمدة محددة.

٢- التوصل إلى اتفاق سلام ينص:

(أ) اعتراف متبادل بين الأردن وإسرائيل، وبين ج. ع. م وإسرائيل.

(ب) انسحاب إسرائيل من أراض محتلة في ١٩٦٧ عملا بقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢.

*** لاحظ ما يلي:**

١- ورود كلمة اعتراف بشكل صريح.

٢- أن عبد الناصر والملك حسين قبلا المبـادرة. دائمـا عبد الناصر وحسين في خندق واحد!!

٣- استبعاد الاتحاد السوفيتي من التواجد في حل المشكلة وتسليم كل الأوراق لأمريكا وحدها. ممـا يعنـي الوقوع في الحقبـة الأمريكيـة تمهيـدا للحقبـة الإسرائيلية ويعني أن كامب ديفيد في النهاية هـي آخر حلقات مبادرة روجرز.

* أعلن عبد الناصر – في مقالة لهيكل بتاريخ أغسـطس ١٩٧٠ بعنوان (قضايا أساسية للمناقشة وذلك ضمن حـوار عبد الناصر مع الوفد السوداني):

"أن أمريكا وحدها تستطيع أن تضغط على إسرائيل فـي اتجاه الانسحاب وتنفيذ قرار ٢٤٢".

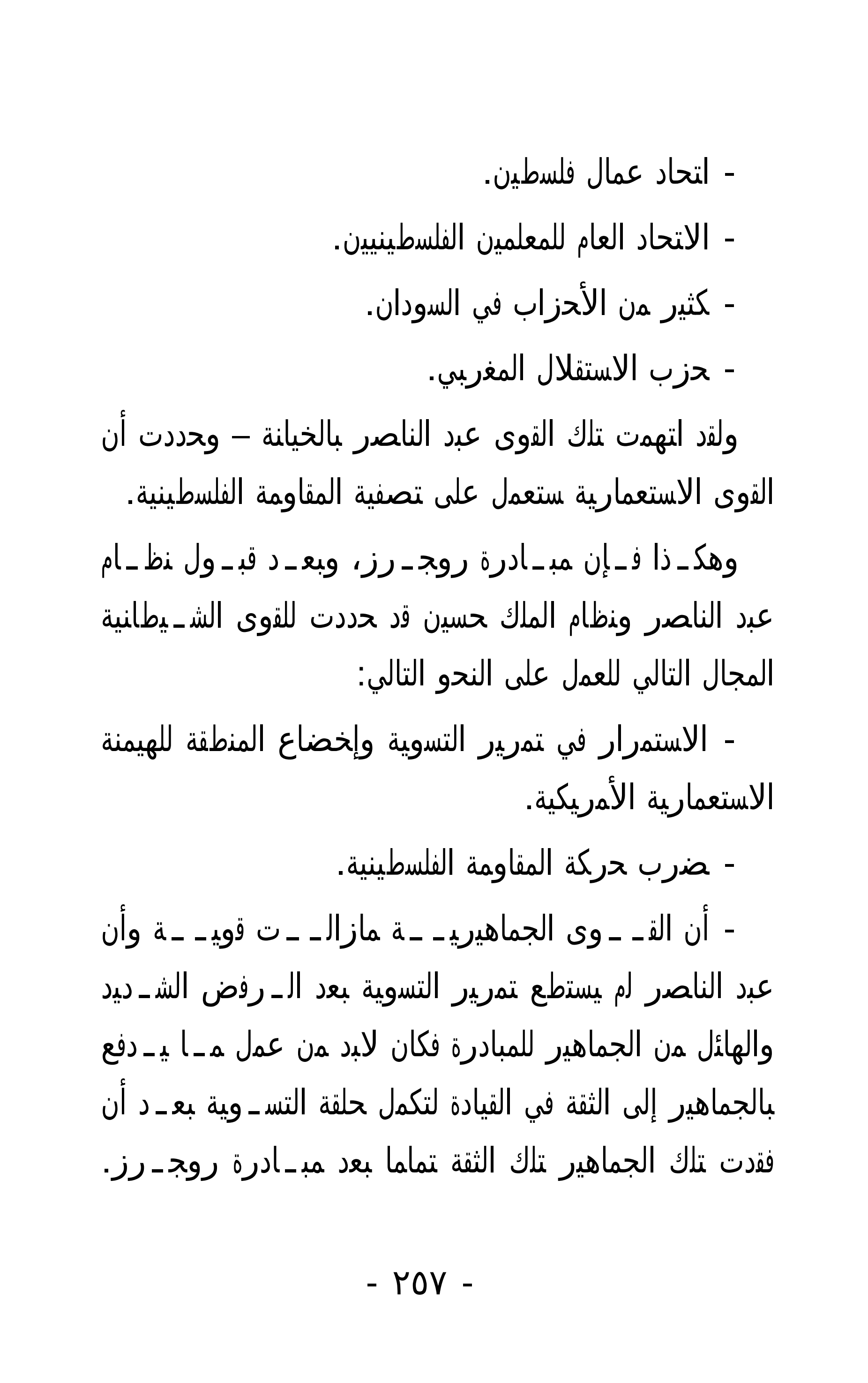
ألا يعني هذا أن ما قاله السـادات مـن أن ٩٩ % مـن أوراق اللعب بيد أمريكا. هو الامتداد الصحيح لتلك الفقرة.

وهكذا وضع عبد الناصر بقبوله مبادرة روجرز الأساس الأول والمتين الذي تحركـت عليـه أمريكـا طـول فتـرة السبعينيات في إسقاط وإخضاع المنطقة للنفـوذ الأمريكـي. وهكذا فإن عبد الناصر قد قطع الخطوة الأولى والأخطر في هذا الاتجاه الذي امتد واتسع في السبعينيات.

رد فعـل الجمـاهير علـى مبـادرة روجـرز وقبـول عبد الناصر لها.

- خرجت الجماهير وبرغم القيود الديكتاتورية الرهيبة في العالم العربي والإسلامي ترفض عبد الناصر وترفض مبادرة روجـــرز وتهتـــف. عبـــد الناصـــر يـــا جبـــان يا عميل الأمريكان. هذا وقد رفضت كل من القـوى التاليـة تلك المبادرة:

- منظمة التحرير الفلسطينية.
- حركة فتح
- الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين
- الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية.
- اتحاد الكتاب الفلسطينيين.



- اتحاد عمال فلسطين.

- الاتحاد العام للمعلمين الفلسطينيين.

- كثير من الأحزاب في السودان.

- حزب الاستقلال المغربي.

ولقد اتهمت تلك القوى عبد الناصر بالخيانة – وحددت أن القوى الاستعمارية ستعمل على تصفية المقاومة الفلسطينية.

وهكـذا فـإن مبـادرة روجـرز، وبعـد قبـول نظـام عبد الناصر ونظام الملك حسين قد حددت للقوى الشـيطانية المجال التالي للعمل على النحو التالي:

- الاستمرار في تمرير التسوية وإخضاع المنطقة للهيمنة الاستعمارية الأمريكية.

- ضرب حركة المقاومة الفلسطينية.

- أن القـوى الجماهيريـة مازالـت قويـة وأن عبد الناصر لم يستطع تمرير التسوية بعد الـرفض الشـديد والهائل من الجماهير للمبادرة فكان لابد من عمل مـا يـدفع بالجماهير إلى الثقة في القيادة لتكمل حلقة التسـوية بعـد أن فقدت تلك الجماهير تلك الثقة تماما بعد مبـادرة روجـرز.

وهكذا فكان لابد من إخراج حرب تحريك. وهذا ما حدث في ١٩٧٣ مما تم شرحه في موضع آخر.

حركة القوميين العرب – الجبهة الشعبية.

كان من المحتوم. بعد إفلاس الاتجاه القومي المتمثل الملك عبد ا والملك حسين (الاتجاه القومي الإقطـاعي) والـذي انحاز بالكامل ضد مصالح الأمة. وبعد إفلاس الاتجاه المتمثل بالناصرية القومية العربية والاشتراكية. أن ينتهـي الاتجـاه القومي أو أن يعيد تشكيل نفسه في أطـر جديـدة محـاولا استيعاب التطور. وحقن نفسه بأيديولوجية أخرى لكي يصبح قادرا على الاستمرار.

ملاحظة:

ليس معنى إفلاس التيار القومي الإقطاعي والتيار القومي الاشتراكي العربي أن قواهم قد غابت عن السـاحة. فلـيس هناك قوة تموت فجأة ولكن معناه أنه أصبح غير قادر علـى تعبئة أحد أو القيام بمهامه فـي ضـرب حركـة الجمـاهير واستقطاب قطاع محدد والمزيـد مـن الخـداع. فالحقيقـة

الواضحة أن حرب ٤٨ قد أنهت التيار الأول وحرب ٦٧ قد أنهت التيار الثاني.

من هذا المنطلق ينبغي أن نفهم حركة القوميين العـرب. فقد بدأت هذه الحركة قومية علـى يـد قسـطنطين زريـق ووجدت مجموعة من الشباب تلتف حول هذه الأطروحـات الموازية حتى تلك اللحظة للتيار الناصري والتيار البعثي مع بعض الاختلافات. إلا أن حـرب ٦٧ وقبـول قـرار ٢٤٢ ومبادرة روجرز قد دفعا بذلك التيار نحو مراجعـة أسسـه النظرية وليطعم نفسه بالماركسية كحل أخيرا. بدلا مـن أن يكون مخلصا مع نفسه ويدرك الأبعاد الحقيقية للصراع.

ملاحظة:

حددنا بشكل واضح أن طبيعة الصراع – طبيعة المرحلة – طبيعة البعد التاريخي وطبيعة عمل الجماهير قـد حـددت وبشكل حاد أن الاتجاه الإسلامي الرسالي يحقـق نتيجتـين هامتين جدا.

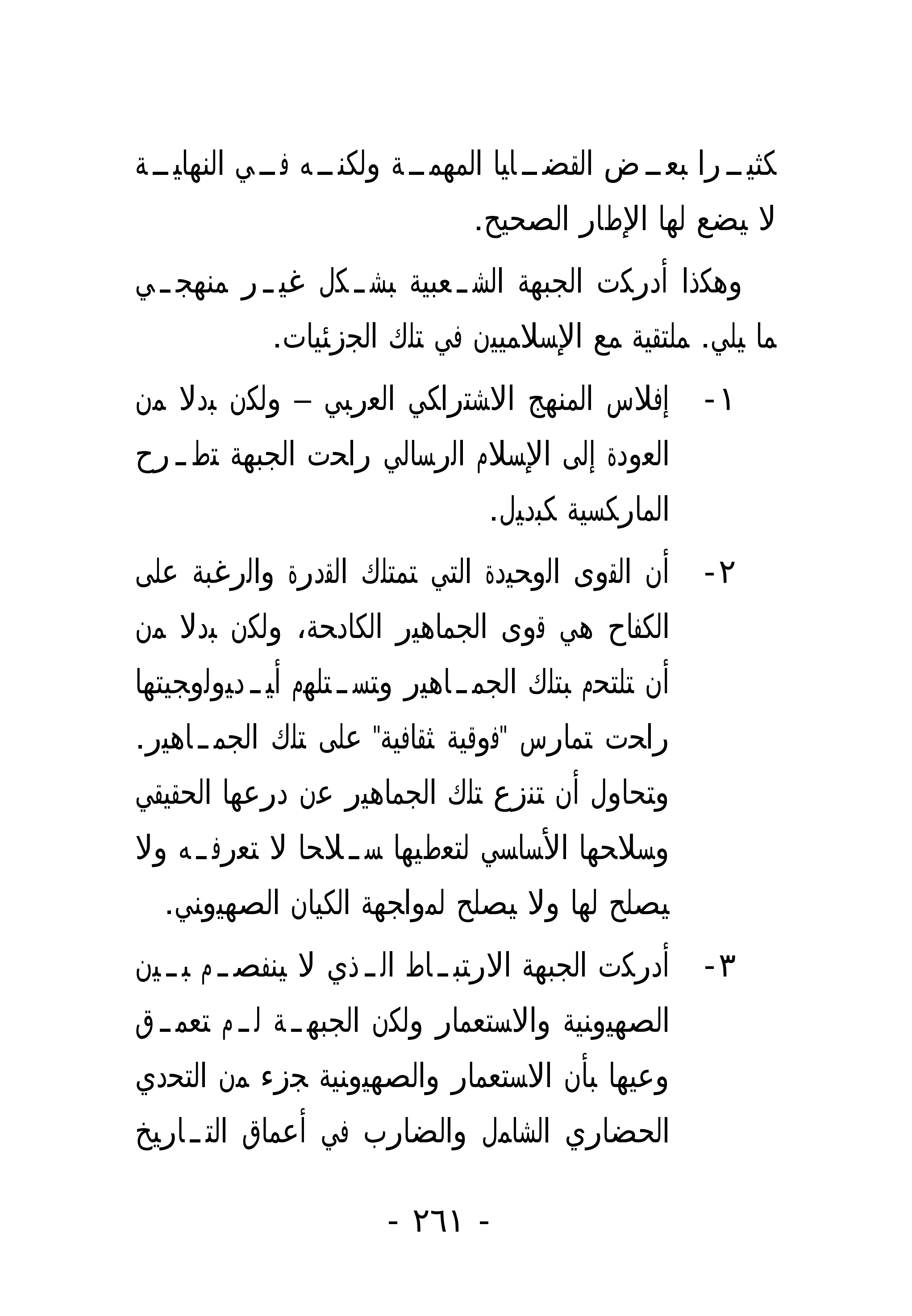
١- يعطي رؤية واضحة للصراع وبالتالي يعصم بتلـك الرؤية من الوقوع في الأفخاخ الاستعمارية المتمثلـة في المفاوضة والمساومة.

٢- يعطي الجماهير الظروف الصحيحة للعمل وبالتـالي القدرة على الرد الصحيح وتحقيق نتائج حقيقية ضـد الكيان الصهيوني والقدرة باستمرار على التجاوب مع التحدي.

وبالتالي فإنه بقدر اقترابك من ذلك المنهج وبقدر طرحك لمقولاته فإن ذلك يجعلك أكثر صلابة ويتأخر سـقوطك فـي الأفخاخ الاستعمارية وعلى هذا الأساس سوف نرصد تجربة الجبهة الشعبية.

الجبهة الشعبية كامتداد لحركة القوميين العرب جاءت في وقت أفلست فيه القوى القومية تماما بعد حرب ٦٧. وهكـذا فقد كان من الضروري إعـادة تقيـيم موقفهـا واكتشـاف أخطائها.

ولكن بدلا من اكتشاف الأخطاء الجوهرية. راحت الحركة تحال وترصد بشكل جزئي. وصحيح أن الشكل الجزئي يمس


كثيـرا بعـض القضـايا المهمـة ولكنـه فـي النهايـة لا يضع لها الإطار الصحيح.

وهكذا أدركت الجبهة الشـعبية بشـكل غيـر منهجـي ما يلي. ملتقية مع الإسلاميين في تلك الجزئيات.

١- إفلاس المنهج الاشتراكي العربي – ولكن بدلا من العودة إلى الإسلام الرسالي راحت الجبهة تطـرح الماركسية كبديل.

٢- أن القوى الوحيدة التي تمتلك القدرة والرغبة على الكفاح هي قوى الجماهير الكادحة، ولكن بدلا من أن تلتحم بتلك الجماهير وتسـتلهم أيـديولوجيتها راحت تمارس "فوقية ثقافية" على تلك الجمـاهير. وتحاول أن تنزع تلك الجماهير عن درعها الحقيقي وسلاحها الأساسي لتعطيها سـلاحا لا تعرفـه ولا يصلح لها ولا يصلح لمواجهة الكيان الصهيوني.

٣- أدركت الجبهة الارتبـاط الـذي لا ينفصـم بـين الصهيونية والاستعمار ولكن الجبهـة لـم تعمـق وعيها بأن الاستعمار والصهيونية جزء من التحدي الحضاري الشامل والضارب في أعماق التـاريخ

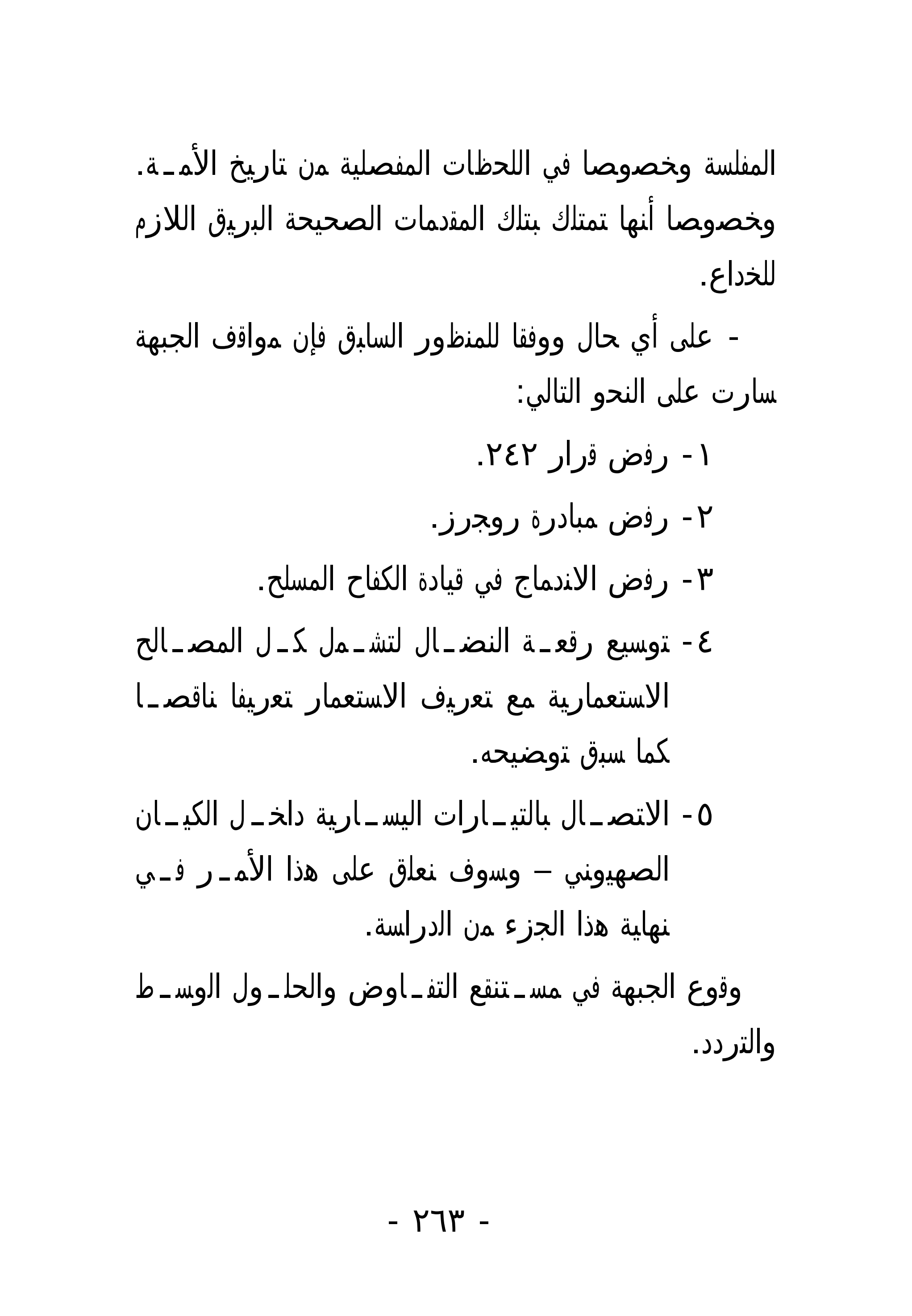
والجغرافية – وأن حضارة الأمة كلها مستهدفة.

وبوقوع الجبهة في تلك الأخطاء فإنها قد مارست دورين في منتهى الخطورة:

٤- سقطت في النهاية في المساومة – وفقدت دورها القتالي.

٥- أنها برغم معرفتها بعض المقدمات الصحيحة – خرجت باستنتاجات خاطئة، وهذا أعطاها قدرا أكبر من القدرة على ضرب حركة الجماهير وممارسة التخدير والتطويق تجاهها على أساس أن المقدمات الصحيحة تعطي للجبهة بعض الزخم والصدق وبمعنى أنها تسير مع الجماهير خطوات إلى الأمام – لتعود وتدفع الجماهير إلى المتاهات والخطوط الجانبية.

* في الحقيقة فإن كل الذين يملكون مقدمات صحيحة أو بعضها دون أن يرتبوا عليها نتائج صحيحة – فإن لهم دورا هاما جدا في إضاعة حركة الجماهير لأنه حين تفقد القوى المفلسة قدرتها على الاستمرار فإن تلك القوى الجديدة التي تمتلك بعض المقدمات الصحيحة تعود لتمارس دور القوى



المفلسة وخصوصا في اللحظات المفصلية من تاريخ الأمـة. وخصوصا أنها تمتلك بتلك المقدمات الصحيحة البريق اللازم للخداع.

- على أي حال ووفقا للمنظور السابق فإن مواقف الجبهة سارت على النحو التالي:

١- رفض قرار ٢٤٢.

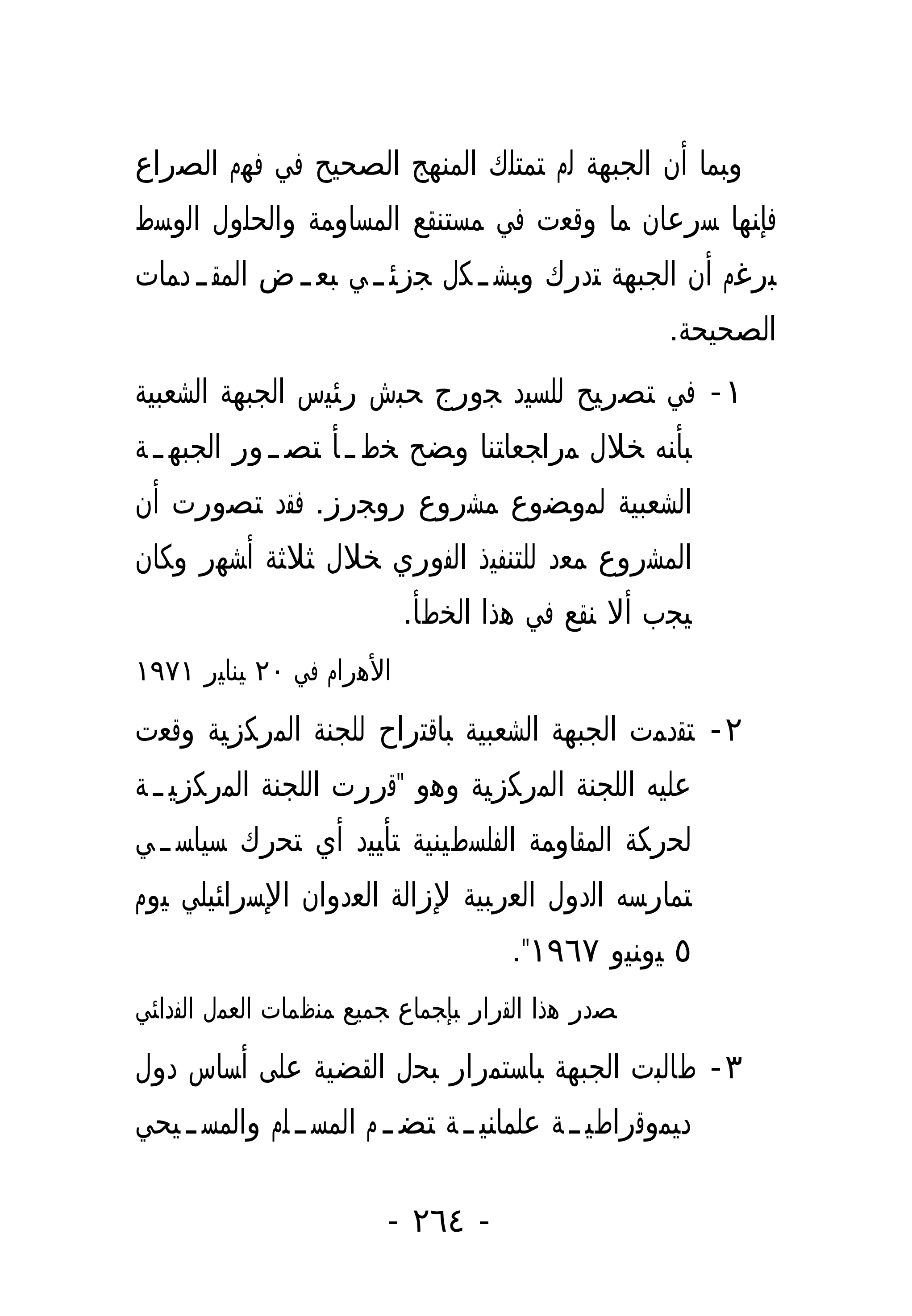
٢- رفض مبادرة روجرز.

٣- رفض الاندماج في قيادة الكفاح المسلح.

٤- توسيع رقعـة النضـال لتشـمل كـل المصـالح الاستعمارية مع تعريف الاستعمار تعريفا ناقصـا كما سبق توضيحه.

٥- الاتصـال بالتيـارات اليسـارية داخـل الكيـان الصهيوني – وسوف نعلق على هذا الأمـر فـي نهاية هذا الجزء من الدراسة.

وقوع الجبهة في مسـتنقع التفـاوض والحلـول الوسـط والتردد.



وبما أن الجبهة لم تمتلك المنهج الصحيح في فهم الصراع فإنها سرعان ما وقعت في مستنقع المساومة والحلول الوسط برغم أن الجبهة تدرك وبشـكل جزئـي بعـض المقـدمات الصحيحة.

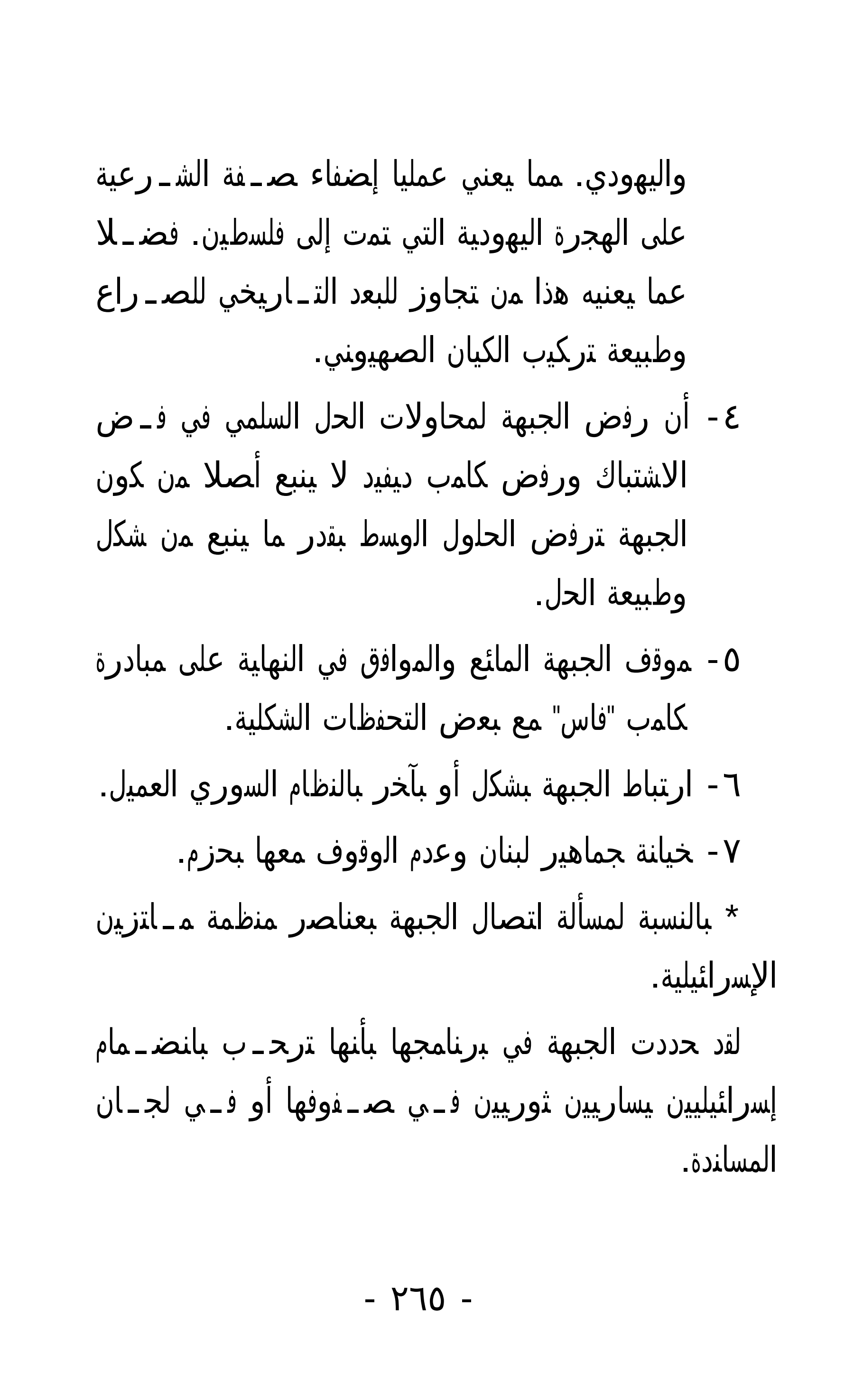
١- في تصريح للسيد جورج حبش رئيس الجبهة الشعبية بأنه خلال مراجعاتنا وضح خطـأ تصـور الجبهـة الشعبية لموضوع مشروع روجرز. فقد تصورت أن المشروع معد للتنفيذ الفوري خلال ثلاثة أشهر وكان يجب ألا نقع في هذا الخطأ.

الأهرام في ٢٠ يناير ١٩٧١

٢- تقدمت الجبهة الشعبية باقتراح للجنة المركزية وقعت عليه اللجنة المركزية وهو "قررت اللجنة المركزيـة لحركة المقاومة الفلسطينية تأييد أي تحرك سياسـي تمارسه الدول العربية لإزالة العدوان الإسرائيلي يوم ٥ يونيو ١٩٦٧".

صدر هذا القرار بإجماع جميع منظمات العمل الفدائي

٣- طالبت الجبهة باستمرار بحل القضية على أساس دول ديموقراطيـة علمانيـة تضـم المسـلم والمسـيحي



واليهودي. مما يعني عمليا إضفاء صفة الشرعية على الهجرة اليهودية التي تمت إلى فلسطين. فضلا عما يعنيه هذا من تجاوز للبعد التاريخي للصراع وطبيعة تركيب الكيان الصهيوني.

٤- أن رفض الجبهة لمحاولات الحل السلمي في فض الاشتباك ورفض كامب ديفيد لا ينبع أصلا من كون الجبهة ترفض الحلول الوسط بقدر ما ينبع من شكل وطبيعة الحل.

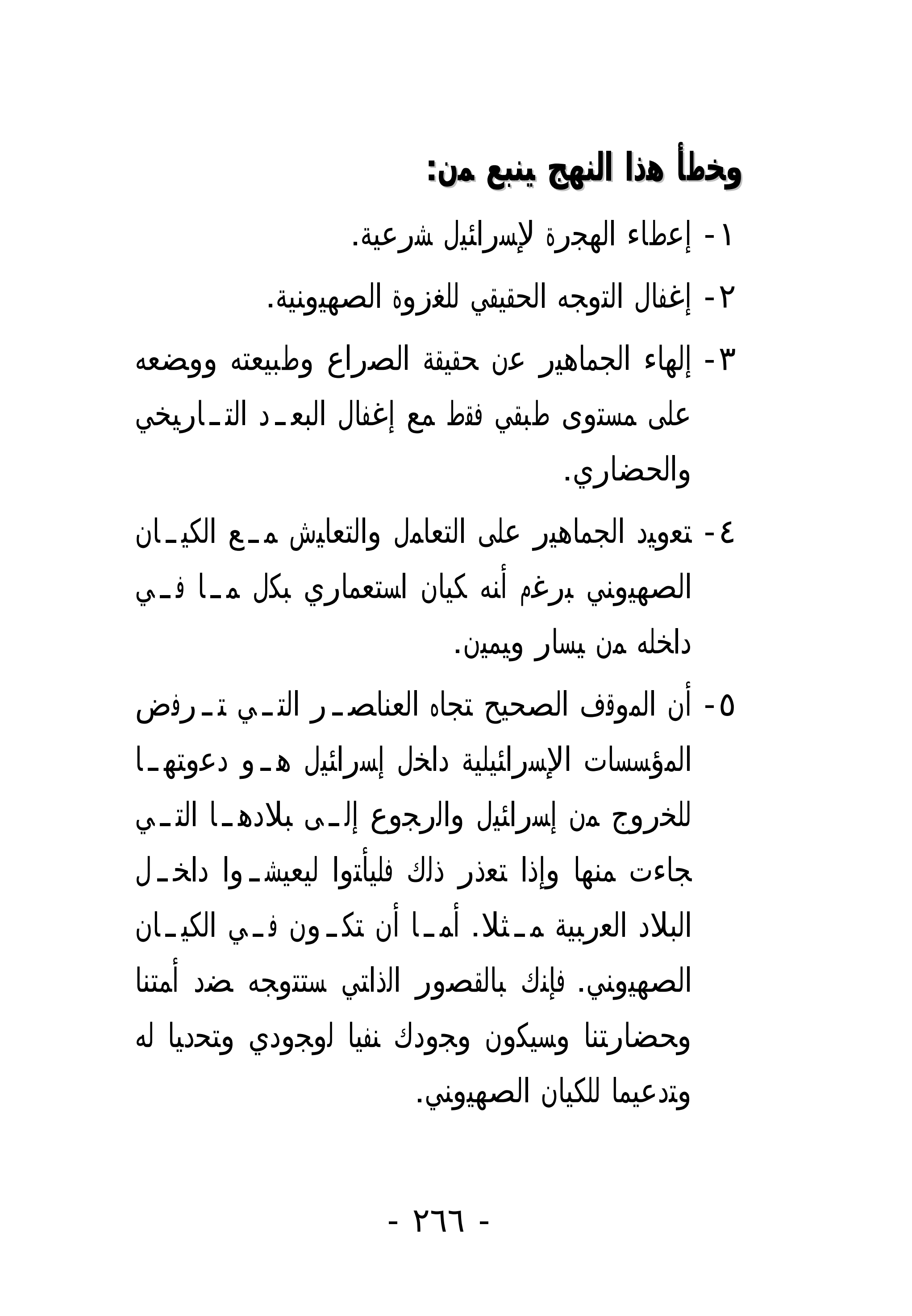
٥- موقف الجبهة المائع والموافق في النهاية على مبادرة كامب "فاس" مع بعض التحفظات الشكلية.

٦- ارتباط الجبهة بشكل أو بآخر بالنظام السوري العميل.

٧- خيانة جماهير لبنان وعدم الوقوف معها بحزم.

* بالنسبة لمسألة اتصال الجبهة بعناصر منظمة ماتزين الإسرائيلية.

لقد حددت الجبهة في برنامجها بأنها ترحب بانضمام إسرائيليين يساريين ثوريين في صفوفها أو في لجان المساندة.



وخطأ هذا النهج ينبع من:

١- إعطاء الهجرة لإسرائيل شرعية.

٢- إغفال التوجه الحقيقي للغزوة الصهيونية.

٣- إلهاء الجماهير عن حقيقة الصراع وطبيعته ووضعه على مستوى طبقي فقط مع إغفال البعـد التـاريخي والحضاري.

٤- تعويد الجماهير على التعامل والتعايش مـع الكيـان الصهيوني برغم أنه كيان استعماري بكل مـا فـي داخله من يسار ويمين.

٥- أن الموقف الصحيح تجاه العناصـر التـي تـرفض المؤسسات الإسرائيلية داخل إسرائيل هـو دعوتهـا للخروج من إسرائيل والرجوع إلـى بلادهـا التـي جاءت منها وإذا تعذر ذلك فليأتوا ليعيشـوا داخـل البلاد العربية مـثلا. أمـا أن تكـون فـي الكيـان الصهيوني. فإنك بالقصور الذاتي ستتوجه ضد أمتنا وحضارتنا وسيكون وجودك نفيا لوجودي وتحديا له وتدعيما للكيان الصهيوني.

إن خطورة تلك الدعوة تنبع أساسا في كونها ضبابا جديدا على وعي الأمة وعلى طبيعة التوجه الصهيوني. مما يجعل ذلك في النهاية إضافة إلى رصيد الصهيونية وسحبا من وعي الجماهير وحركتها.

الحاج أمين الحسيني - ياسر عرفات:

ولكي نقيم ذلك الاتجاه ينبغي علينا أولا أن نحدد قضية في غاية الخطورة لأنها تبرز في اللحظات المفصلية في تـاريخ الأمـة والجمـاهير. ولأنهـا لا تبـرز إلا فـي لحظـات ما قبل النصر النهائي فإما الاستمرار وتحقيق النصر وإمـا تضييع كل جهود الجماهير ونضالها.

ينبغي علينا أن نحدد الفـرق بـين الإسـلام الرسـالي. والإسلام غير الرسالي.

١- الإسلام الرسالي فضلا عن اهتمامه بالعقيدة والفقـه فإنه يدرك التطور التـاريخي للصـراع الإسـلامي الشيطاني. ويدرك دوره كطليعة مسـلمة فـي تلـك اللحظة من عمر الأمـة. ويـدرك مهمـات الأمـة ورسالتها تجاه العالم بأسره في أي لحظة من لحظات

التاريخ.

ولكـن الإسـلام غيـر الرسـالي. لـيس إلا إسـلاما لا يدرك تلك الأبعاد.

٢- الإسلام الرسالي لا يتصرف كبديل عن الأمة ولكـن يتصرف كطليعة لها.

٣- الإسلام الرسالي يمتلك منهجا يفهم به القرآن والسنة والواقع المعاش، والإسلام غيـر الرسـالي يمتلـك مجموعة من النصوص ليس إلا.

٤- الإسلام الرسالي يعرف أن الصراع في تلك اللحظـة ليس إلا حلقة من سلسلة الصـراع الطويـل غيـر مقطوعة الصلة بما قبلها وما بعدها وبالتـالي فهـو يمتلك تفاؤل التاريخ وحيوية المستقبل.

والإسلام غير الرسالي هو ابن الحاضر ورد فعل له.

٥- الإسلام الرسالي ذو توجه جماهيري ورسـالة نحـو المستضعفين وبالتالي يعرف أن حليفه الطبيعي هـو الجماهير المطحونة والكادحة بل ويدرك أن واجبـه تجاه ا يقتضي الوقوف بحزم ضـد كافـة أشـكال الاستبداد السياسي والظلم الطبقي ويقف مـع حـق

الجماهير في الحرية والحياة الكريمة. ويقف مع كل المستضعفين في الأرض.

٦- الإسلام الرسالي يتحرك بنفسية المنتصر. حتى في أحلك الظروف (الحسين مثلا).

والإسلام الغير رسالي يتحرك بنفسية المهزوم واليأس حتى ولو كان في وضع جيد.

٧- الإسلام الرسالي يعرف أن سلاحه الوحيد هو الجماهير الواعية ولذلك فهو يثق فيها ثقة مطلقة.

٨- الإسلام الرسالي يعرف طبيعة القوى الداعمة له ويعرف طبيعة القوى الشيطانية.

والإسلام غير الرسالي يقع في أخطاء قاتلة بالنسبة لهذه المسألة.

٩- الإسلام الرسالي. بلغة العصر. هو التقوى. والتصدي للاستعمار والصهيونية والإقطاع وكافة أشكال والاستبداد.

١٠- الإسلام الرسالي هو عز الدين القسام. والإسلام غير الرسالي هو الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين.

ملاحظة:

الإسلام الرسالي هو منهج، والإسلام غير الرسالي يتوقف على الأشخاص والقيادة فبقدر تقوي القيـادة وقربهـا مـن الإسلام الرسالي يكون إنجاز ذلك التيار وصلابته إلا أنه يقع في النهاية في مطبات خطيرة.

ملاحظة:

الإسلام الرسالي ووفقا للمنظور السابق طويل النفس بـلا حدود ولا يسقط قط في المساومة. ويمتلك حيوية مذهلة.

والإسلام غير الرسالي. محدود القوة والحيوية.

ملاحظة:

الإسلام الرسالي غير قابل للتطعيم بالتشـوهات القوميـة والطبقية والوطنية.

والإسلام غير الرسالي يمكن أن تصيبه التشوهات القومية والطبقية والوطنية وهذه التشوهات قد تكون ضيقة كما فـي حالة الحاج أمين أو واسعة كما في حالة ياسر عرفات.

من هذا المنطلق ينبغي تقييم الحاج أمين الحسيني والسـيد ياسر عرفات.

الحاج أمين الحسيني:

يمتلك الحاج أمين الحسيني إسلام النصوص وبمـا أنـه يمتلك إسلام النصوص فقد وقف مواقف صلبة ضـد كافـة أنواع الحلول الوسط على النحو التالي:

١- رفض مشروع "المجلس التشريعي سنة ١٩٣٥".

٢- رفض مشروع الكتاب الأبيض سنة ١٩٣٩.

٣- رفض قرار التقسيم سنة ١٩٤٧.

٤- المشاركة في ثورة ٣٦ وحـرب ٤٨. مـع عـدة القدرة على الاستمرار.

٥- رفض مشروع ٢٤٢ سنة ١٩٦٧.

وبما أنه غير رسالي. فقد سار على النحو التالي.

- قبول المفاوضة مع الإنجليز، وتشكيل وفود للمشـاركة في ذلك بما أنه لا يـدرك بشـكل قـاطع طبيعـة التوجـه الاستعماري.

* خطورة قبول المفاوضة. رغم عدم قبوله بنتائجها.

تكمن الخطورة في تلك المسألة في أن الاستعمار يلوح بسلاح المفاوضة والوفود في اللحظات الحاسمة والتي يبلغ فيها مد الجماهير ذروته وعلى مقدار مد الجماهير المسلمة يكون التلويح غثا أو ثمينا.

- بعد انتفاضة ٢٠ – ٢٢ صدر الكتاب الأول الأبيض.
- بعد انتفاضة ٣٣ صدر الكتاب الأبيض الثاني.
- بعد ثورة ٣٦ الواسعة صدر الكتاب الأبيض الثالث.

وصحيح أن الحاج أمين الحسيني لم يقبل بنتائج تلك المفاوضات إلا أنه بموافقته على تشكيل الوفود والذهاب للتفاوض رغم صلابته فيها يعني تعطيل حركة الجماهير وفرملتها بدلا من دعمها وتوسيعها ودفعها إلى الأمام للإطاحة بكل المصالح والتوجهات الاستعمارية.

كما أن ذلك يلقي ظلالا من الشك حول دور بريطانيا الاستعماري في ضرب الجماهير المسلمة ومعاملتها كما لو كانت محايدة مما يعطل نمو الوعي لدى الجماهير بطبيعة الصراع التاريخي..

* عدم الثقة بالجماهير وبقدرتها اللامحدودة على تحقيق النصر.

فجرت الجماهير الثورات المتلاحقة، وكان أهمها ثـورة ٣٦ التي كانت من الشمول والاتساع بحيث إنها كانت قادرة على الإطاحة بالصهيونية والاستعمار. وبسبب طبيعة الحاج أمين الحسيني (إسلام غير رسالي) فإنه زحف مع الجمـاهير إلى الأمام ولكنه لم يستطع أن يكمل المسيرة فقبل بالتفاوض وأجهضت الثورة.

* الاعتماد على قوى غير جماهيرية.

لم يستطع الحاج أمين أن يقف بصلابة ضد الإقطاع كمـا يتطلب الإسلام الرسالي. بل واعتمد الحاج أمين أحيانا علـى الأنظمة العربية. وكان أحيانا يثق في بريطانيا وعندما يـئس منها توجه إلى ألمانيا معتمدا عليها.

* عدم مساعدة قوى الإسلام الرسالي:

رفض الحاج أمين مساعدة وتأييد حركة الشيخ عز الـدين القسام عندما طلب منه إعلان الثورة، وخط الكفاح المسـلح سنة ١٩٣٥ وقد يبدو للبعض أن الشيخ عز الدين كان خلافه مع الحاج أمين مسألة تكتيك وأن الحاج أمين كان يشعر بعدم ملائمة الوقت لذلك أو أن ذلك في غير ميعاده.. إلـخ إلا أن تتابع الحوادث ومواقف الحاج تثبت عكس ذلك.

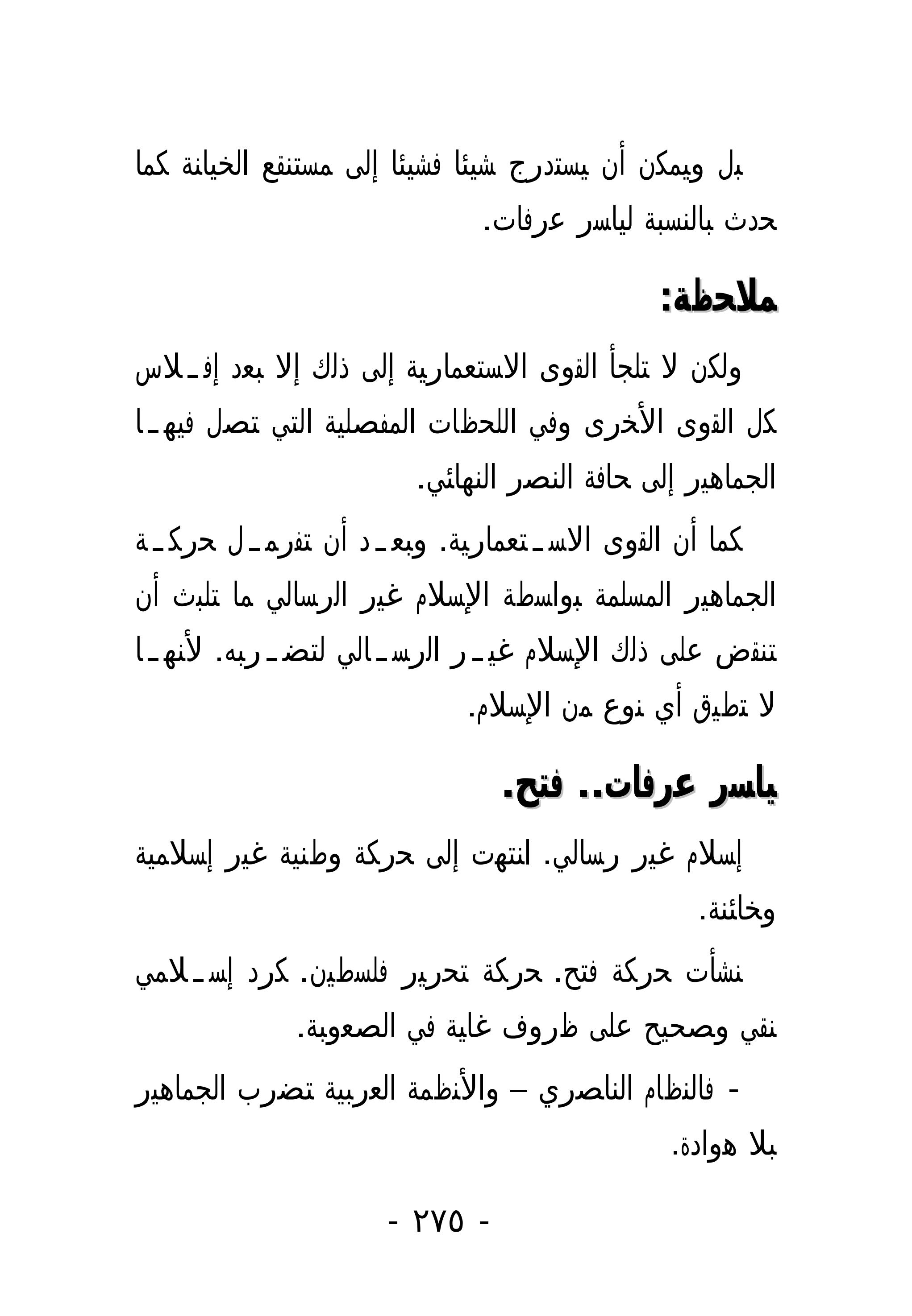
على أي حال. فقد وقف الحاج أمين وبسبب إسلاميته موقفا مبدئيا مع رفض الكيان الصهيوني. ورفض مشاريع التسوية كلها. إلا أنها وبسبب عدم رسالتيه وفقدانه للبعد التاريخي والحضاري للمسألة لم يعتمد على الجماهير وإنما اعتمد على الملوك والرؤساء العرب تارة، وتارة على بريطانيا وتارة أخرى على ألمانيا.

* لعل أخطر ما سقط فيه الحاج أمين من أخطاء هو قبوله بالتفاوض إبان لحظة الذروة في الثورة (١٩٣٦) وبالتالي أضاع كل مكاسب الجماهير المسلمة. وأضاع الفرصة التاريخية في تحقيق النصر.

ملاحظة:

هل يمكن للقوى الاستعمارية استعمال الإسلام الغير رسالي في إضاعة مكاسب الجماهير.

نعم – صحيح أن الإسلام غير الرسالي. أكثر صلابة من كل القوى ويقف مواقف مبدئية. ولكن بسبب فقدان المنهج والطبيعة تكوينه يأتي في اللحظات الحاسمة ويصبح غير قادر على الاستمرار.



بل ويمكن أن يستدرج شيئا فشيئا إلى مستنقع الخيانة كما حدث بالنسبة لياسر عرفات.

ملاحظة:

ولكن لا تلجأ القوى الاستعمارية إلى ذلك إلا بعد إفلاس كل القوى الأخرى وفي اللحظات المفصلية التي تصل فيها الجماهير إلى حافة النصر النهائي.

كما أن القوى الاستعمارية. وبعد أن تفرمل حركة الجماهير المسلمة بواسطة الإسلام غير الرسالي ما تلبث أن تنقض على ذلك الإسلام غير الرسالي لتضربه. لأنها لا تطيق أي نوع من الإسلام.

ياسر عرفات.. فتح.

إسلام غير رسالي. انتهت إلى حركة وطنية غير إسلامية وخائنة.

نشأت حركة فتح. حركة تحرير فلسطين. كرد إسلامي نقي وصحيح على ظروف غاية في الصعوبة.

- فالنظام الناصري – والأنظمة العربية تضرب الجماهير بلا هوادة.

- تطرح الحل السلمي الوسطي "مشروع التقسيم" كحـل للتعايش مع الكيان الصهيوني.

- تطمس كل معالم المواجهـة الصـحيحة (الاشـتراكية العربية – والقومية العربية) بدلا من الإسـلامية – حـرب التحرير الشعبية.

وبعد أن وصلت تلك الأنظمة إلى أقصى خياناتها ونجحت في وضع الجماهير المسلمة تحت الرماد. خرجت فتح ومـن رحم الإسلام الخصب لتصعد باسم الإسلام والجماهير وتقاتل وتطرح العمل الفدائي (العاصفة) كرد على الحقبة الملعونة.

وفي الحقيقة – فإنه عمل فذ – ومـذهل وتـاريخي – أن تظهر فتح والعاصفة في تلك الظروف.

ولقد سارت فتح على الخط الصحيح قبل النكبة. وبعـدها بقليل. بل ووصلت إلى أن تصبح نـواة لحركـة الجمـاهير كالآتي:

١- فلقد رفضت النكسة – وحددت أنهـا ليسـت رد فعل لها كما تريد الأنظمة العربية ولكنها ضـد الكيان الصهيوني بكامله.

٢- رفضت قرار ٢٤٢. بل واتهمت عبـد الناصـر

بالخيانة. وحددت في بيان الرفض ما يلي:

(أ) أن القرار مؤامرة استعمارية تهدف إلى تصفية القضية الفلسطينية وتهدف إلى تصفية حركـة المقاومة.

(ب) أن على الجماهير أن تنتزع حقها في الحرية.

(ج) أن حرب التحرير الشـعبية هـي الطريـق الصحيح.

٣- رفض مبادرة روجرز.

وتضمن بيان المنظمة نفس الأسباب السابقة.

- القوى الشيطانية تتحرك لاستدراج وتصفية المقاومة.

كانت المقاومة في تلك اللحظة – تأخذ موقفـا صـحيحا بسبب جذورها الإسلامية وكانت يمكن أن تكون وخصوصـا بعد انكشاف الوجه العميل للناصرية عقب قبول قرار ٢٤٢، مبادرة روجرز أن تكون نواة تتجمع حولها الجماهير لتطيح بتلك الأنظمة وبالاسـتعمار وبالصـهيونية ولكـن القـوى الشيطانية بدأت تتحرك وتزيد من كثافـة حركتهـا لتصـفية المقاومة وجرها إلى مستنقع الخيانة والتخلي عن الجمـاهير على النحو التالي:

١- محاصـــرة منظمـــة فـــتح منـــذ اليـــوم الأول "قام عبد الناصر باستعمال أحمـد الشـقيري فـي محاولة لتطويق فتح وخط الكفاح المسلح واستبدال ذلك بالشعارات والبيانات الإذاعية – بل إن عبـد الناصر صرح أنه لا يستريح لتلك المنظمة علـى أساس أن جذورها من الإخوان المسلمين.

٢- محاولة عبد الناصر وضع إطـار محـدد حـول المنظمة على أساس أنها رد على النكسة ليس إلا. وبالتالي استخدامها في تحسين ظروف التفـاوض فقط.

٣- (انظر محاولات هيكل في الأهرام للتشـكيك فـي جدوى المقاومة)..

٤- لما لم ينفع ذلك التكتيك. وبعد مبادرة روجرز قـام عبد الناصر بإعطاء الضوء الأخضر للملك حسين لضرب المقاومة في ٦٩، ٧٠ مع العلـم أن عبـد الناصر اعتكف أثناء ضرب المقاومة لمدة أسبوع. وكانت خطته أنه لا يجب تصفية المقاومة بالكامل ولكن جزئيا بحيث تصبح مجرد شكل يساعد فـي

عملية التسوية. لأن ضربها بالكامل سوف يفجـر المنطقة من ناحية ويسقط ورقة من ناحية أخـرى هامة في التسوية أي أن الهدف هو ضرب التوجه الإسلامي – وحـرب التحريـر الشـعبية داخـل المنظمة.

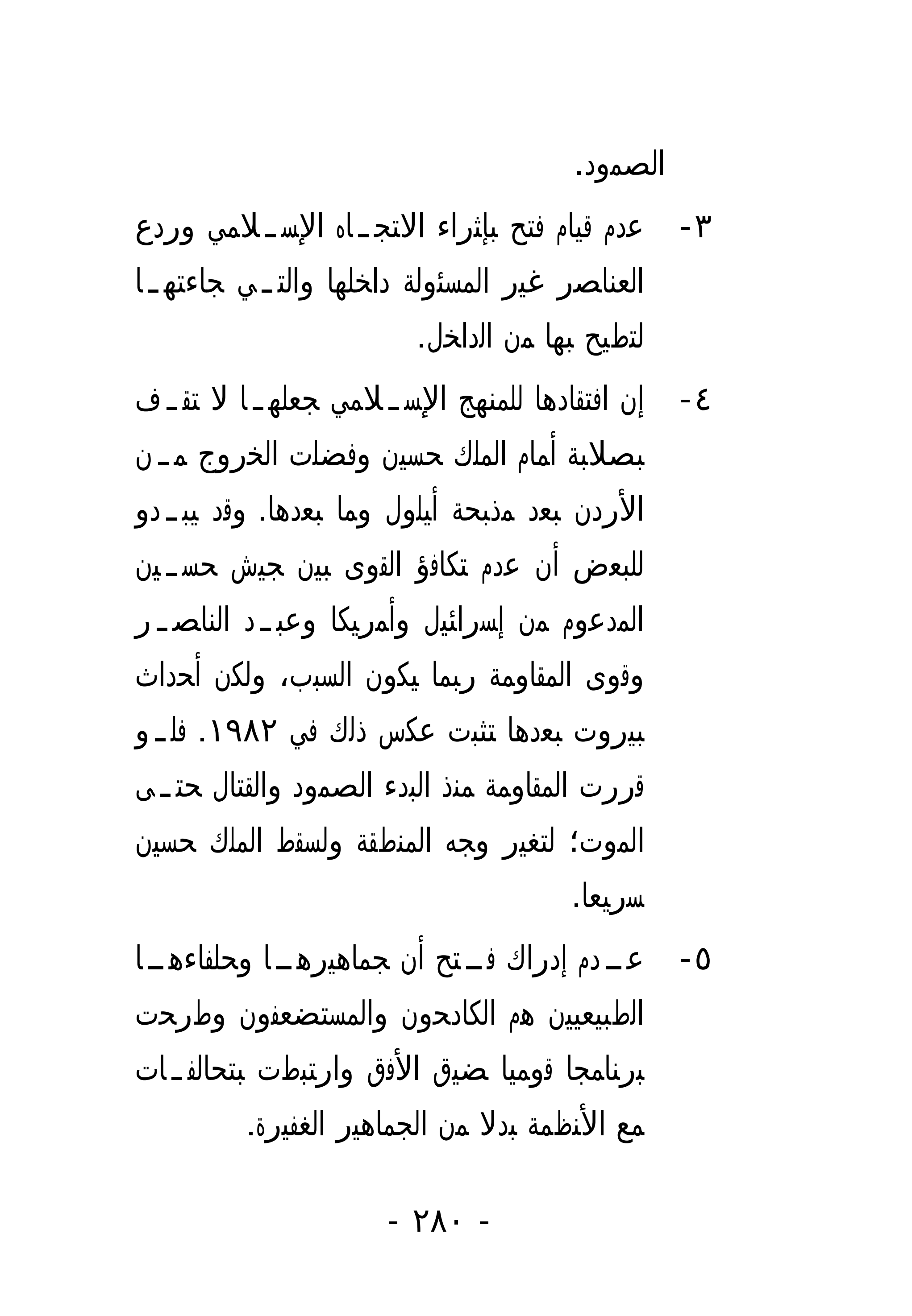
٥- دفع عناصر من داخل المقاومة لتصـرفات غيـر مسئولة ومحاولة دفع المنظمة من الداخل في اتجاه القومية والوطنية.. إلخ.

ولكن لماذا سقطت فتح؟

وبسبب فقدان فتح للرؤية الرسالية للإسلام فإنها:

١- لم تقف بحزم مع الجماهير في حقها فـي الحريـات والحياة الكريمة ورفض استبداد الأنظمة.

٢- ابتعادها عن البعد الإسلامي. إلـى البعـد الـوطني ورفض قبول عناصـر غيـر فلسـطينية داخـل المقاومة برغم أن المقاومة تدرك أن عناصر غير فلسطينية ساهمت فـي إنشـائها (إسـلامية) وأن عناصر إسلامية شاركت معها في أعظم معاركها (معركة الكرامة). وهذا يفقد فتح أهم أبعادها فـي



الصمود.

٣- عدم قيام فتح بإثراء الاتجـاه الإسـلامي وردع العناصر غير المسئولة داخلها والتـي جاءتهـا لتطيح بها من الداخل.

٤- إن افتقادها للمنهج الإسـلامي جعلهـا لا تقـف بصلابة أمام الملك حسين وفضلت الخروج مـن الأردن بعد مذبحة أيلول وما بعدها. وقد يبـدو للبعض أن عدم تكافؤ القوى بين جيش حسـين المدعوم من إسرائيل وأمريكا وعبـد الناصـر وقوى المقاومة ربما يكون السبب، ولكن أحداث بيروت بعدها تثبت عكس ذلك في ١٩٨٢. فلـو قررت المقاومة منذ البدء الصمود والقتال حتـى الموت؛ لتغير وجه المنطقة ولسقط الملك حسين سريعا.

٥- عـدم إدراك فـتح أن جماهيرهـا وحلفاءهـا الطبيعيين هم الكادحون والمستضعفون وطرحت برنامجا قوميا ضيق الأفق وارتبطت بتحالفـات مع الأنظمة بدلا من الجماهير الغفيرة.

ولكن ما هي الخطوات التي تـم بهـا سـقوط المنظمـة النهائي؟

١- التردد في رفض مبادرة روجـرز فـي ٢٠ ينـاير ١٩٧١.

"قررت اللجنة المركزية لحركة المقاومة الفلسطينية تأييـد أي تحرك سياسي تمارسه الدول العربيـة لإزالـة العـدوان الإسرائيلي يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ وصدر هذا القرار الذي يعد بمثابة خط جديد للمقاومة بإجماع آراء جميع منظمات العمل الفدائي خلال عملية مراجعة شاملة أجرتهـا اللجنـة أخيـرا لظروف المقاومة.

٢- طرحت المقاومة تصور الدولة الديموقراطيـة كحـل للمشكلة. وقد تم مناقشة هذا الخطأ الفادح في الجـزء الخاص بالجبهة الشعبية.

٣- استمرت المقاومة (فتح) في السقوط شيئا فشيئا إلـى أن قبلت مبادرة ريجان في ١٩٨٢ – خيانة جماهير بيروت والخروج منها.

٤- قبلت المقاومة وفتح مقررات قمة فاس التي تصـفي القضية نهائيا على أساس قبول قرار ٢٤٢.

٥- سقطت فتح (ياسر عرفات) بالكامـل فـي مسـتنقع الخيانة بالتوجه نحو الملك الخائن حسين والتنسـيق معه وتحركات عرفات في ٨٢، ٨٣، ١٩٨٤.

٦- الاتفاق الأردني الفلسطيني ١٩٨٥.

٧- والبقية تأتي.

إنه نهج تردد. نهج مساومة. نهج خيانة

* * *